الخلافة العباسية

وموقفها من الدول المستقلة في المغرب
بين القرنين الثاني والرابع الهجريين

(١٢٣-٣٦٢هـ - ٧٤٠-٩٧٣م)

الدكتور
ياسر طالب الخزاعلة



دار الخليج

الخلافة العباسية

وموقفها من الدول المستقلة في المغرب بين القرنين الثاني والرابع الهجريين

١٢٣ - ٣٦٢ هـ / ٧٤٠ - ٩٧٣ م

الدكتور
ياسر طالب الخزاعلة



بسم الله الرحمن الرحيم

١٤٣٣هـ-٢٠١٢م

- عنوان الكتاب: الخلافة العباسية وموقفها من الدول المستقلة في المغرب
- المؤلف: د. ياسر طالب الخزاعلة
- الطبعة: الأولى
- رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية: (٢٠١٠/١١/٤٢٢١)



- تلفاكس: ٤٦٤٧٥٥٩ - ٦ - ٩٦٢+
- ص.ب.: ١٨٤٠٣٤، عمان، ١١١١٨، الأردن
- البريد الإلكتروني: daralkhalij@gmail.com
- الفيس بوك: http://www.facebook.com/daralkhalij

يسعدني، اعترافاً مني بالفضل، أن أتقدم بعظيم الشكر وخالص الامتنان لأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور محمد عبده الطالب الحتامله، إذ تعهدني بالرعاية التامة والدائمة والتوجيه المستمر، فكانت إرشاداته وتوجيهاته النور الذي أضاء أمامي سبل البحث العلمي، وجنبني أخطاء ما كنت لأتخلص منها بغير عنايته وتوجيهه.

ولا حدود لشكري وعرفاني وامتناني لجميع أساتذة قسم التاريخ في الجامعة الأردنية الذين على أيديهم تعلمت ومن معين علمهم نهلت، وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور محمد خريسات، والأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري، والأستاذ الدكتور صالح الدرادكة، وكذلك الدكتور يوسف بني ياسين، والدكتورة غيداء كاتبي، والأستاذ الدكتور عبد المجيد الشناق، والأستاذ الدكتور فالح حسين، والأستاذ الدكتور علي محافظة، والأستاذ الدكتور زريف المعايطة، الذين لم يتوانوا لحظة في تقديم المساعدة لي.

كما وأتقدم بالشكر وعظيم الامتنان للأستاذ عيسى أبو قرطومة لطباعته هذا البحث ولما أبداه من حرص واهتمام وتشجيع ومؤازرة.

ويسرني أن أشكر العقيد طاهر الصمادي، والرائد حسن قوقزه، والرائد جميل السمكي والأستاذ يونس طبيشات الذين كان لهم الدور الكبير في تشجيعي، ومؤازرتي، وتسهيل الطريق أمامي نحو آفاق العلم وربوع المعرفة.

كما وأشكر العاملين في المكتبة الظاهرية، ومكتبة جامعة دمشق في الجمهورية العربية السورية ومكتبة الجامعة الأردنية، وجامعة اليرموك، وجامعة آل البيت، ومكتبة بلدية المفرق، وبلدية الزرقاء وأمانة العاصمة لما أبدوه من مساعدة، وتعاون لي، عبر مسيرة بحثي وإعدادي لهذه الأطروحة.

جزاهم الله جميعاً خير الجزاء،،

والله الموفق،،

المؤلف

تقديم

يعالج الدكتور ياسر الخزاعلة في هذا الكتاب جانباً من تاريخ أمة تمكنت من نشر لواء العدل على وجه الأرض. وتنبع أهميته من إبرازه لموضوع فعّال من واقع الدولة الإسلامية في المشرق وهو موقف الدولة العباسية من الدول المستقلة في المغرب بين القرنين الثاني والرابع الهجريين / ١٢٣ – ٣٦٢هـ / ٧٤٠ – ٩٧٣م.

وهذا الكتاب دراسة متخصصة متينة التسلسل قوية الحلقات توضح طبيعة موقف الدولة العباسية (دولة الخلافة الشرعية) من تلك الدول التي استقلت عن جسم الدولة العباسية في المغرب في الفترة المذكورة وهي دولة بني صالح والبرغواطيين والمدراريين ودول الرستميين والأدراسة والأغالبة وأخيراً الدولة الفاطمية، وقدرة تلك الدول في تأسيس دولها والتنظيم والتعامل مع المجتمعات الجديدة، والتي شكلت مراكز إشعاع ومنارات للهداية وملتقى طلاب العلم من المشرق والمغرب، فبددت عتمة الظلمات والجهل، وأنارت الطريق أمام الأمم والسكان المحليين لتضع خطاها على بوابات التقدم والرقي، وتدخل في دين الإسلام عملاً ووجداناً.

تعتبر إفريقية والمغرب مركزاً هاماً للمسيرة الإسلامية، بل يؤكد الكثير من المؤرخين بأنها من أعظم الأمصار التي فتحها العرب وأن فيها ما يعتز به الحق والخير والحكمة. وقد جاء هذا الكتاب ليجسد موقف الدولة العباسية من الدول المستقلة (بين القرنين الثاني والرابع الهجريين / ١٢٣ – ٣٦٢هـ / ٧٤٠ – ٩٧٣م) وهي فترة مهمة للغاية بالنسبة للفتوحات العربية الإسلامية.

لقد تطرق الدكتور الخزاعلة في هذا الكتاب إلى الظروف التي سبقت إنشاء تلك الدول، وإلى طبيعة أرض إفريقية والمغرب العربي، وأجاد في تتبع تأسيس تلك الدول وعلاقاتها بالدولة العباسية، وكان دقيقاً في رصد موقف السكان المحليين في تلك الدول

والمبادئ التي نادت بها تلك الدول، ونتائج ذلك. كما أن المؤلف نجح في التحليل المنهجي لموضوع أسباب قيام تلك الدول وموقف قبائل البربر، والطرق التي بواسطتها استطاعت تلك الدول بسط نفوذها على أرض إفريقية والمغرب.

وقد قام المؤلف بتحليل المبادئ التي قامت عليها الدول المستقلة في المغرب (بين القرنين الثاني والرابع الهجريين / ١٢٣ – ٣٦٢هـ / ٧٤٠ – ٩٧٣م)، وأجاد في عرض مذهب كل دولة، وكيفية إقناع السكان المحليين بالدخول في هذا المذهب الجديد، فتاريخ المغاربة حافل بكل ما يستحق الدراسة والتمحيص، خاصة في تأسيس وتكوين تلك الدول. إلى أن أصبحت دول إفريقية والمغرب من أقوى الدول بل أقوى من دول أوروبا والمشرق وأكثرها مالاً وأعظمها حضارة وأعلاها مستوى حياة، بالإضافة إلى الأندلس.

ويستحق الكاتب الثناء على بحثه هذا الموضوع، لأنه قد أضاف للمعرفة العربية الكثير في تطرقه لهذا الموضوع بهذا التحليل وبهذه المنهجية، حيث بحث بحيادية وبطريقة أكاديمية نزيهة، موضوع تأسيس هذه الدول ومبادئها وموقف السكان المحليين منها، وبالتالي موقف الدولة العباسية من تلك الدول.

حقاً إن هذا الكتاب، يعتبر من أفضل ما كُتب في موضوع الدولة العباسية. وقد أجاد الدكتور ياسر الخزاعلة في اجتياز هذه المهمة الشاقة، واعتقد أنه أضافة للمكتبة العربية وللمؤرخين والمهتمين العرب والأجانب.

أ.د محمد عبده الحتاملة
أستاذ التاريخ الأندلسي
الجامعة الأردنية

مُقَدِّمَة

شهدت الدولة الإسلامية ممثلة بالخلافة العباسية منذ القرن الثاني الهجري /الثامن الميلادي تمزقاً سياسياً أدى إلى ظهور دول مستقلة، لا تدين للخلافة إلا بالولاء الروحي، فقد بدأ أول استقلال خطير عن جسم الدولة الإسلامية منذ دولة بني صالح في (نكور) ٩١-٤٧١هـ/٧٠٩-١٠٨٠م، ثم تبعتها دولة (برغواطة)، من ١٢٣-٤٥١هـ/٧٤٠-١٠٦٠م، ثم بدأت إمامة بني واسول الصفرية في (سجلماسة) سنة ١٤٠هـ/٧٥٧م، وتبعتها الدولة الرستمية سنة ١٦١هـ/٧٧٧م، والدولة الإدريسية سنة ١٧٢هـ/٧٨٨م، ودولة الأغالبة سنة ١٨٤هـ/٧٩٩م، إلى أن جاءت الدولة الفاطمية التي استقلت عن الدولة العباسية سنة ٢٩٦هـ /٩٠٨م، علماً بأن دولة الأغالبة قد قامت باختيار الخليفة العباسي، إلا أن مجرد ظهورها يعدّ ثورة على العصبية، واستقلالاً سياسياً عن الخلافة العباسية، وتصميماً على الاستقلال، الأمر الذي يدعونا للبحث في تلك الدول المستقلة، وظروف استقلالها، وعلاقتها بالدولة العباسية.

وتبحث هذه الدراسة في موقف الدولة العباسية من الدول المستقلة في المغرب بين القرنين الثاني والرابع الهجريين/ الثامن والعاشر الميلاديين، في الفترة ما بين ١٤٠-٣٦٢هـ/٧٥٧-٩٧٣م، وهو جانب من تاريخ أمّة تمكنت من نشر مبادئ العدل على وجه الأرض. وتنبعُ أهمّيتها من حيث إبرازها جانباً فعّالاً من عناصر الدولة العربية الإسلامية في المغرب، وهو الاستقلال عن الخلافة العباسية في المشرق.

وتعدّ هذه الدراسة متخصِّصة، من حيث أنها توضح كيفية نشوء تلك الدول التي استقلت عن جسم الدولة العباسية بين القرنين الثاني والرابع الهجريين، ومن خلال هذه

الدراسة، فإننا نتعرَّف إلى قدرة هذه الدول في التنظيم، والدعوة إلى مبادئها، والتعامل مع السكان المحليين ومجتمعاتها الجديدة وعلاقتها بالدولة العباسية.

ولا يخفى أن أغلب الدراسات التاريخية الحديثة أكدت على المشرق الإسلامي، في حين بقيت جوانب عديدة من تاريخ المغرب الإسلامي بحاجة إلى المزيد من الدراسات والبحث الدقيق، على الرغم من أن دور المغرب الإسلامي لا يقل أهمية عن دور المشرق الإسلامي لأن هناك أيضاً دولاً استقلالية في المشرق انسلخت عن جسم الدولة العباسية.

إن الدراسة والبحث في أسباب استقلال دولة بني صالح في (نكور) والبرغواطيين، وإمامة بني واسول (الدولة المدرارية)، والدولة الرستمية، ودولة الأدارسة، ودولة الأغالبة، والدولة الفاطمية، إذ تحتاج إلى المزيد من البحث والتقصي عن الحقائق التاريخية، ودراسة العديد من أمهات المصادر التي تتناول هذا الموضوع، حتى يمكن للباحث أن يصل إلى الحقيقة - والتي هي غايتنا رغم شح المصادر التي واجهت الباحث، والعمل على كشف ما بقي خافياً، وبذلك تكون الصورة واضحة للخوض في غمار هذا الجانب التاريخي المهم. لذلك فإن الهدف من دراسة موقف الدولة العباسية من تلك الدول المستقلة هو التعرف إلى الأسباب الحقيقية وراء الاستقلال عن الخلافة الشرعية الرسمية، ليس هذا فحسب، بل البحث في المبادئ الحقيقية التي آمنت بها تلك الدول والتي أقامت دولها بناءً على تلك المبادئ، وموقف السكان المحليين، وكيف انضم السكان من البربر إلى تلك الدول، والبحث في موقف الخلافة العباسية من تلك الدول المستقلة والذي هو عنوان بحثنا. لقد قسمتُ هذه الدراسة إلى مقدمة، وأربعة فصول، وخاتمة.

فقد تناول الفصل الأول قيام دولة بني صالح في نكور من ٩١-٤٧١هـ/ ٧٠٩-١٠٨٠م ودولة البرغواطيين من ١٢٣-٤٥١هـ/٧٤٠-١٠٦٠م، على يد صالح بن طريف البرغواطي، وإمامة بني واسول (الدولة المدرارية)، وظروف نشوئها، ومبادئها، وموقف

الدولة العباسية من إمامة بني واسول (المدراريين)، ويتناول الباحث أيضاً قيام الدولة الرستمية الخارجية (أباضية المذهب) ١٣٧-٢٩٧هـ/٧٥٤-٩٠٩م ويبحث في أسباب نشوئها، والتي أسسها عبد الرحمن بن رستم سنة ١٦٠هـ/٧٧٦م، وقد كانت الدولة الرستمية على الحدود الغربية والجنوبية لدولة الأغالبة، وفي هذا البحث سيتم الحديث عن أسباب نشوء هذه الدولة، إذ أننا نرى أنها أنشئت من أجل ممارسة المذهب الأباضي، ونشره بين القبائل، والاستقلال عن جسم الدولة العباسية السنية، ويتناول الباحث أيضاً المبادئ التي نادت بها دولة الرستميين، وموقف السكان المحليين من هذه الدولة، والتي وجدت من يتأثر بهم، ويعتنق فكرهم، ومبادئهم، وكذلك البحث في موقف الدولة العباسية من دولة الرستميين، إذ اتسم هذا الموقف بالعداء التام نظراً لإختلاف المبادئ والمصالح والاستقلال عن جسم الخلافة الشرعية الرسمية.

وفي الفصل الثاني من الدراسة، فقد تناول الحديث عن الأسباب التي أدت إلى قيام دولة الأدارسة ١٧٢-٣١٣هـ/٧٨٨-٩٢٥م، إذ كان من ضمن الأسباب الرئيسة التي أدت إلى قيام هذه الدول بالاستقلال عن جسم الدولة العباسية وهو تضييق العباسيين على أتباع علي بن أبي طالب (الطالبيين) في المشرق، والتنكيل بهم في زمن الخليفة أبي جعفر المنصور ١٣٦-١٥٨هـ ٧٥٤-٧٧٥م، إذ أن الحدود الواسعة، والبعد عن مركز الخلافة كانا من الأسباب الرئيسة التي أدت إلى قيام هذه الدول واستقلالها.

وسيتم الحديث عن المبادئ التي نادت بها الدولة الإدريسية، إذ انها قامت في المغرب الأقصى (فاس وتلمسان) على أساس أنها دولة علوية هاشمية طالبية.

ويتناول الباحث أيضاً موقف السكان المحليين من الدولة الإدريسية، ووقوف قبائل البربر بقوة مع إدريس بن عبدالله العلوي في تأسيس دولته واستقلالها عن جسم الدولة العباسية، وعن موقف الدولة العباسية من الدولة الإدريسية، فقد قطعت الدولة العباسية

جميع صلاتها مع الدولة الإدريسية لإعلان الأدارسة الاستقلال التام عن الخلافة العباسية، ونتيجة لاغتصاب العباسيين لخلافة الأموين، ونتيجة لما حل بالأمويين على أيدي العباسيين، ولم تستطع الدولة العباسية القضاء على الدولة الإدريسية، لعدم قدرتها على الوصول إليها، نظراً للبعد الشاسع، وافتقار العباسيين إلى أسطول بحري لنقل الجيوش إلى المغرب الأقصى.

وفي الفصل الثالث، يتناول الباحث قيام دولة الأغالبة في أفريقية (تونس) ١٨٤-٢٩٦هـ/٧٩٩-٩٠٨م كإحدى الدول المستقلة التي نشأت في المغرب في ظل الدولة العباسية، وفي هذا الفصل سيتم الحديث عن الأسباب التي أدت إلى قيام دولة الأغالبة، والذي كانت نتيجة لنشوء الدولة الرستمية في شمال افريقية (غرب تونس والجزائر) ١٣٧-٢٩٧هـ/٧٥٤-٩٨٥م، وعجز الدولة العباسية عن إرسال الجيوش والعدة للقضاء عليها، وسيتم الحديث في هذا الفصل عن المبادئ التي نادت بها دولة الأغالبة، والتي كانت دولة سنية، وكانت حليفة الدولة العباسية، وقد استخدمها العباسيون من أجل القضاء على الدولة الرستمية الخارجية الأباضية، وسيتم البحث عن موقف السكان المحليين من دولة الأغالبة، والذي كان موقفاً إيجابياً إلى حد ما، مع وجود عدم الرضا في عهد زيادة الله بن الأغلب، ٢٠١-٢٢٣هـ/٨١٧-٨٣٧م إذ ثار عليه أحد الجند وإسمه زياد بن سهل (ابن الصقلية)، نتيجة لسوء سيرة زيادة الله بن الأغلب، وكذلك موقف الدولة العباسية من الدولة الأغلبية، إذ تحالفت الدولة العباسية مع دولة الأغالبة في القضاء على دولة الرستميين التي كانت العدوة الأولى لدولة الأغالبة.

وفي الفصل الأخير من الدراسة (الفصل الرابع)، سيتناول الباحث قيام الدولة الفاطمية ٢٩٦-٣٦٢هـ/٩٠٩-٩٧٣م، والأسباب التي أدت إلى قيام هذه الدولة، واستقلالها عن جسم الدولة العباسية السنية، وعند الحديث عن ذلك فإننا نرى أن نسب الفاطميين (الشيعة

الإسماعيلية)، وادعاء نسب الفاطميين إلى فاطمة الزهراء كان من الأسباب الرئيسة التي أدت إلى قيام الحركة الفاطمية، واستبداد العباسيين، الأمر الذي جعل الفاطميين يستخدمون عقيدة (التقية) وتغيير أسمائهم حتى لا يتم التعرف عليهم، إضافة إلى ذلك فقد كان ضعف الدولة العباسية في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي من الأسباب التي أدت إلى قيام الدولة الفاطمية في المغرب، وإزاحة الدولة العباسية، وقيام دولة فاطمية ذات مذهب شيعي اسماعيلي، كما سيتم الحديث عن المبادئ التي نادوا بها، والتي كان من ضمنها نشر مذهب التشيع بين البربر، والتقية، والوصية أي (النص على ولاية العهد، واستبدال الخلافة بالإمامة، لأن الإمامة سر أودعه الله في آل البيت كما يقولون).

وسيتم البحث أيضاً في موقف السكان المحليين من الدولة الفاطمية، إذ إن الفاطميين اصطدموا بالكثير من الصعاب في نشر المذهب الإسماعيلي الفاطمي؛ لوجود فريقين متنافسين من القبائل البربرية: (زناته) في الغرب، و(صنهاجة) التي تنتمي إليها قبيلة كتامة في الشرق، وكان ذلك عنصراً مساعداً للإضطرابات، والقلاقل، وانتشار الفوضى في المنطقة.

وفي نهاية هذا الفصل سيتم تناول موقف الدولة العباسية من الدولة الفاطمية، إذ أن إنشاء الدولة الفاطمية في الأصل هو تحد صارخ للخلافة العباسية السنية، وقد حارب العباسيون النشاط السياسي والاقتصادي والثقافي للمذهب الفاطمي، وتعاون العباسيون مع الأغالبة حلفائهم في مراقبة نشاط الدولة الفاطمية، وقد احتدم الخلاف بين الخلافة العباسية والدولة الفاطمية حين شاع في بغداد إنكار نسب الفاطميين، واستغلال الخليفة القادر العباسي (٣٨١-٤٢٢هـ) هذه الدعاية لصالح الدولة العباسية، وحشد أنصارهم من سنة وشيعة، إذ وقّعوا على محضر في بغداد سنة ٤٠٢هـ/١٠١١م والذي يتضمن أن الدولة الفاطمية لا تمت إلى فاطمة الزهراء وعلي بن أبي طالب بأية صلة، واتهامهم بالكفر والزندقة.

وفي خاتمة البحث، اعتمدت هذه الدراسة على المنهج التاريخي الذي يعني الاستقصاء المنهجي للحدث، ومن ثم الاطلاع على أكثر من وجهة نظر، ورواية، وبعد مناقشتها ومقارنتها مع غيرها من الروايات، يعتمد أقرب الروايات إلى الدقة العلمية.

وقد تم الاعتماد على المصادر الأقرب إلى الحدث التاريخي/ وبعض المراجع العربية والمراجع باللغة الإنجليزية والفرنسية، والدوريات ورسائل الماجستير والدكتوراه ذات الصلة والتي بإمكان القارئ مراجعتها في قائمة المراجع.

والله وليّ التوفيق ،،،

المؤلف

تمهيـــــد

- مفهوم مصطلح المغـرب :

ما يهمّنا هو معرفة حدود بلاد المغرب في فترة دراسة الدول المستقلة في المغرب بين القرنين الثاني والرابع الهجريين / الثامن والعاشر الميلاديين.

والمراد بلفظ المغرب هو كل ما يقابل المشرق من بلاد، وقد اختلف المسلمون في تحديد مدلولـه، فجعلـه الـبعض شـاملاً لـبلاد شمـال افريقيـة، بالإضـافة إلى اسبانيا الإسـلامية (الأندلس)، وجميع الممتلكات الإسلامية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، مثل: صقلية، وجنوب إيطاليا، وجزيرة سردانيا، وقورسيقا، وجزر البليار، أو الجزر الشرقية[١].

وبلاد المغـرب تـشمل: كـل الأقـاليم الواقعـة غربـاً، والـتي تـشمل شمـال القـارة الأفريقية، والأندلس اعتبرت أيضاً من بلاد المغرب[٢].

والمغرب يقسم إلى أقسام:

١. المغرب الأقصى: ويعرف ببلاد مراكش.

٢. المغرب الأوسط: وهو بلاد الجزائر الحالية.

٣. المغرب الأدنى: وهو بلاد القيروان أو ما يسمى اليوم بتونس[٣].

---

(١) الاصطخري، أبو اسحاق إبراهيم محمد الفاسي، المسالك والممالك، تح، محمد جابر وعبد العال الحسيني، مطابع دار القلم، القاهرة، ١٣٨١هـ، ص ٣٣. وسيشار إليه فيما بعد: الاصطخري، المسالك؛ ياقوت، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت ابن عبدالله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩، ج٥، ص١٦١، وسيشار إليه فيما بعد: ياقوت، معجم البلدان؛ وانظر: العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٤م، ص١١، وسيشار إليه فيما بعد: العبادي، في تاريخ المغرب؛ سالم، السيد عبد العزيز، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٢، ص٣٩-٤٠؛ وسيشار إليه فيما بعد: سالم، تاريخ المغرب.

(٢) ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص٢٦٣؛ وانظر: حتامله، محمد عبده، الأندلس، (التاريخ والحضارة والمحنة)، مطابع الدستور الأردنية، ط٣، ١٩٨٣م، ص٥، ٦، وسيشار إليه فيما بعد: حتامله الأندلس.

(٣) ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٦٠؛ الحميري، أبو عبدالله ابن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح إحسان عباس، مطابع هيلد بيرغ، بيروت، ط٢، ١٩٨٤، ص١٤٤. وسيشار إليه فيما بعد: الحميري، الروض المعطار؛ ابن أبي دينار، أبو عبدالله محمد ابن أبي القاسم الرعيني القيرواني، المؤنس في أخبار افريقية وتونس، دار

ويحدِّد ياقوت الحموي في معجم البلدان افريقية بقوله: (وحدُّ افريقية من طرابلس الغرب من جهة برقة والإسكندرية إلى بجايا، وقيل: مليانه، والمغرب هو ما يلي ذلك من البلاد غرباً ويبدو أن المراد بلفظ المغرب في أول الأمر كان تحديداً جغرافياً، أراد به الذين اتخذوا كل ما يقابل المشرق من البلاد، ومن هنا أدخل فيه بعض المؤرخين مصر والأندلس)[1].

وأهل مصر يسمّون ما عَنْ أيمانهم إذا استقبلوا بلاد المغرب، وبعضهم يخرج الأندلس من بلاد المغرب[2].

وجاء في المؤنس في أخبار افريقية وتونس لابن أبي دينار القيرواني: (أن حدَّ المغرب مِن بحر النيل بالمشرق إلى ساحل المحيط الأطلسي[3].

ويشمل المغرب المناطق التالية:

١. **انطابلس (برقة) فزان:**

وقد احتوت على عدد من الأقاليم، وتشمل على قرى ومدن بين الأسكندرية وافريقيا، ومركز برقة هو أنطابلس، وتحتوي على خمسة أقاليم، فالإقليم المتاخم لمصر هو انطابلس أو بنطابلس[4].

وكانت برقة تشمل في أقاليمها الشرقية على كورة تعرَف باسم لوبية ومراقية[5].

المسيرة، بيروت، ط٣، ١٩٩٣، ص١٧، ١٩. وسيشار إليه فيما بعد: ابن أبي دينار، المؤنس؛ زغلول، سعد عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية الاستقلال (ليبيا وتونس والجزائر والمغرب)، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٩٥، ص٦٩-٧٠.

(١) ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص ٢٢٨؛ حتاملة، الأندلس، ص ٢٦.

(٢) نحاس، وثيقة، نشوء الدويلات في المغرب، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف أ.د عمر فروخ، الجامعة السورية، كلية الآداب، دمشق ١٩٥٤م، ص ٤، وسيشار إليها فيما بعد، وثيقة، نشوء الدويلات.

(٤) ابن أبي دينار، المؤنس، ص١٦.

(٥) – ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٣٦٦، ٣٨٨؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج١، ٦٥.

– المالكيّ، أبو بكر عبدالله ابن عبدالله، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقيا وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم، تح حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥١، ج١، ٢٩؛ وسيشار إليه فيما بعد: المالكيّ، رياض النفوس؛ شميرة، م.ع، لوبية ومراقية، مجلة كلية الآداب والتربية، بنغازي، م١، ١٩٥٨، ص١٣.

أمّا عن حدود برقة الغربية فهي تتداخل في أرض طرابلس[1].

وتنقسم أرض برقة الممتدة من (مسراته إلى الاسكندرية) إلى خمسة أقسام وهي: سرت، وبرقة الحمراء، والجبل الأخضر، والبطنان، وما بين العقبتين، وأخيراً ما بين العقبة الصغرى إلى الإسكندرية، وتسمّى العقبة الصغرى. والأقاليم الجنوبية لطرابلس هي فزّان التي يُضيف إليها البعض إقليم ودّان[2].

وطرابلس تعني كما يقول البكري ثلاث مدن[3]، وطرابلس متصلة باقليم جبل نفوسة في الجنوب الذي يعدّ امتداداً لجبال أطلس أو جبال درن. وعلى ذلك فهي تخرج عن مفهوم كلمة المغرب عند الكثير من الكتاب، وتصبح البداية الحقيقية في بلاد المغرب هي بلاد افريقية[4].

٢. بلاد افريقية (تونس):

والحقيقة أنَّ اقليم افريقية عندَ الكتّاب له معنىً عام وآخرُ خاص، ومعناه العام يكادُ يُقارب بلاد المغرب، فحد افريقيا الشرقي يبدأ عند حدود مصر، وينتهي عند بلاد طنجة، وعندما تعرّف العرب على بلاد المغرب كان صلاحيته حاكم قرطاجنة الرومي تمتد من طنجة حتى ولاية طرابلس[5]، ومركز هذه الولاية كان هو البلاد التونسية التي عرفت عند الرومان باسم ولاية افريقية (Africa) وهي التي عرّبها العرب إلى أفريقية[6]، ويقول الدكتور

---

(١) زغلول، تاريخ المغرب، ج١، ص٦٥.

(٢) ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله، فتوح مصر والمغرب، تح محمد الحجيري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦، ص ٢٠٠؛ البلاذري، أبو العباس، أحمد بن يحيى بن جابر، فتوح البلدان، تح عبدالله أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين: بيروت، ١٩٥٧م، طبعة أوروبا، ص ٢٢٩؛ زغلول، تاريخ المغرب، ص٧.

(٣) اليعقوبي، أحمد ابن أبي يعقوب، ابن جعفر ابن وهب ابن واضح الكاتب، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠، ص٣٤٥-٣٤٦؛ وسيشار إليه فيما بعد: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي؛ زغلول، تاريخ المغرب، ص ٦٦.

(٤) زغلول، تاريخ المغرب، ص٦٦-٦٧؛ مؤنس، حسين، تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر (من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر الميلاديين)ج١، الدار السعودية، جدة، ط١، ١٩٩٠م، وسيشار إليه فيما بعد: مؤنس، تاريخ المغرب.

(٥) ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٣٢٣؛ حتاملة، الأندلس، ص٢٨؛ زغلول، تاريخ المغرب، ج١، ص٦٨.

(٦) ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة كولان ج. س و ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣، ص٥،٦، وسيشار إليه فيما بعد ابن عذاري،البيان؛ الناصري، أبو العباس

حاملة: "فقد أطلق الأغريق على الجزء الشمالي من شمالي افريقية الذي يسكنه العنصر الأبيض اسم ليبو أو ليبيا، بينما أطلقوا على الصحراء بلاد الأحباش السود، وأطلق الرومان إسم افريقية على قرطاجنة وما حولها حيث كانت تلك المنطقة تعرف بولاية افريقية القنصلية، وهو الإسم الذي أطلقه العرب على كل بلاد المغرب باستثناء طرابلس وبرقة ثم اقتصر اسم افريقية في مرحلة تالية على كل ما يلي مصر غرباً حتى بجاية وأطلق اسم المغرب على كل ما يلي بجاية غرباً حتى المحيط الأطلسي". وحدّ إفريقية من برقة إلى طنجة[1].

أمّا المعنى الخاص لولاية أفريقية الأصلية قبل أن تتّسع هذا الإتّساع، وتدخُلُ بقيَّة أمْلاك الدولة الرومانيَّة، فهي تعني البلاد التونسية الحالية، مُضَافاً إليها بعض الأقاليم الشرقية من بلاد الجزائر حتى ولاية قسطنطينة[2]، أما سهول المغرب فيقع معظمها على سواحل المحيط الأطلسي من الغرب، والسواحل الشمالية على المحيط الأطلسي والبحر المتوسط، وهذه السهول تَضِيّقُ كلّما اتجهنا من الغرب إلى الشرق، إذ تزداد اقتراب السلاسل الجبلية من الساحل، وهناك أيضاً سهول داخلية تكونت حول وديان صغيرة تجري فيها الأنهار، وبعض هذه السهول تشتهر بخصوبتها مثل سهلي فاس ومكناس الغنيتين[3].

ويبلغ امتداد بلاد المغرب من المشرق إلى المغرب نحو أربعة آلاف كم، وتنتهي هذه البلاد في الجنوب بالصحراء الكبرى التي تشمل على صحراء (شنقيط)، وهو بلاد مور كاتب الحالية[4].

أحمد ابن خالد السلاوي، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، تح جعفر ومحمد الناصريّ، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٤م، ج١، ص٣٢، وسيشار إليه فيما بعد: الناصريّ، الاستقصا، حاملة، الأندلس، ص٢٨؛ سالم، السيد، عبد العزيز، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس منذ الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، دار المعارف: بيروت، ١٩٦٢، ص ١٣-١٤؛ نيلة، محمد حسن، محاضرات في تاريخ المغرب= =والأندلس، مكتبة كريدية رضوان، بيروت، ١٩٨٢م، ص ٢٨. أنظر: ابن عذاري، البيان، ج١، ص ٥-٦؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص ٣٣؛ حاملة، الأندلس، ص ٢٧-٢٨.

(١) ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٣٢٣؛ وانظر: حاملة، الأندلس، ص٢٨؛ نيلة، محاضرات، ص٢٨؛ زغلول، تاريخ المغرب، ج١، ص٦٨.

(٢) ابن أبي دينار، المؤنس، ص٣٠؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج١، ص٦٨.

(٣) زغلول، تاريخ المغرب، ج١، ص٦٨.

(٤) حاملة، الأندلس، ص٢٧.

والغالب أن معنى لفظ المغرب انتهى عند المؤرخين والجغرافيين إلى أن يشمل كل ما يلي مصر غرباً حتى المحيط الأطلسي، ثم يقسّموه بعد ذلك إلى ممالك، وهي:

١. برقة وطرابلس.

٢. افريقية، أوالمغرب الأدنى، افريقية (تونس) وقاعدتها (القيروان) في صدر الإسلام وقاعدتها في هذا العصر (تونس)[١].

٣. المغرب الأوسط (تلمسان، وجزائر بني مرغنة).

٤. المغرب الأقصى (مراكش وتازه وفاس) و (السوس)[*] وهو أقصى قسم نحو المحيط (الأطلسي)[٢].

- سكان المغرب:

أما عن سكان المغرب فيفرّق المؤرّخون بين ثلاث طوائف من السكان تعمُرُ المغرب قبيل الفتح العربي الإسلامي، فيذكرون الروم، والأفارقة، والبربر[٣].

- مراحل فتح المغرب:

وتتفق بعض المراجع الحديثة على أن الفتح العربي للمغرب والأندلس كان على مرحلتين[٤]:

١. مرحلة الغارات (٢١-٤٩هـ/٦٤٢-٦٦٩م).

---

(١) الناصري، الاستقصا، ج١، ص ٧١.

(*) السوس: بلد في المغرب، كانت الروم تسميها قمونية، مدينتها طنجة، وهناك السوس الأقصى مدينتها طرقلة. أنظر: ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٢٨٠.

(٢) الناصريّ، الاستقصا، ص١٧١ وانظر: لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية : القاهرة، ط٣، ١٩٦٥م، ص ٤٤٣.

(٣) وفيقة، نشوء الدويلات، ص ٥.

(٤) سالم، تاريخ المغرب، ص ٥٥، ١٠٥.

٢. مرحلة الفتح المنظم، وتنقسم إلى فترتين:

أ- الفترة الأولى (٥٠-٦٤هـ).

ب- الفترة الثانية (٦٩-٩٠هـ).

وبعض المراجع الأخرى تقسم مراحل الفتح العربي للمغرب إلى مرحلتين[1]:

١. مرحلة ما بين الفتح والاستكشاف من ٢٢-٥٠هـ/٦٤٣-٦٧٠م.

٢. مرحلة الاستقرار والفتح الدائم من ٥٠-٩٥هـ/٦٧٠-٧١٣م.

- **مرحلة الغارات (برقة وطرابلس):**

لقد بدأ فتح العرب للمغرب في مصر زمن الخليفة عمر بن الخطاب على يد عمرو بن العاص سنة ٢١هـ/٦٤١م، وقد كانت مصر إحدى الولايات الرومانية[2]، والواقع أن فتح مصر أصبح ضرورة بعد فتح الشام وفلسطين وذلك لتأمين الفتوح الإسلامية في الشام، ولتأمين المدينة نفسها مركز الخلافة، ولأنها قريبة من بحر القلزم (السويس حالياً)، والواقع أن مصر والشام ربطتهما من أقدم العصور مصالح سياسية وحربية وتجارية واحدة، وغالباً ما أخضعت مصر والشام في العصور المختلفة لحكم دولة واحدة[3].

وافق الخليفة عمر بن الخطاب على فتح مصر، وأمدَّ عمرو بن العاص بأربعة آلاف مقاتل وقال له: (إني مرسل إليك كتاباً فإن أدركك وأمرتك فيه بالانصراف عن مصر قبل أن تدخلها، وشيئاً من أرضها فانصرف، وان دخلتها قبل أن يأتيك كتابي، فامض لوجهك، واستعن بالله، واستنصره)[4].

---

(١) زغلول، تاريخ المغرب، ج١، ١٢٧.

(٢) ابن عبد الحكم، فتوح مصر،ص ١٣٢-١٣٣؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص٨؛ وانظر: مؤنس، فتح العرب، ص٥٠، وفيقة، نشوء الدويلات، ص٧.

(٣) حامله، جيل المولدين، ص٣٥.

(٤) ابن حبيب، عبد الملك بن حبيب الالبيري، كتاب التاريخ، تح خورجي اغواداي، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، إسبانيا، ١٩٩١م. ص ١٠٧؛ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص١٣٢؛ وانظر: مؤنس، معالم تاريخ المغرب، ص٣٤.

يذكر ابن عذارى أن الخليفة عمر بدأ يمهد لفتح برقة، فبعث إليه نفراً من جنده بقيادة عقبة بن نافع الفهري يستطلعون أحوالها وأخبارها، فيقول ابن عذارى (وجه عقبة بن نافع الفهري إلى منطقتي زويلة[*]، وبرقة، فافتتحها، ثم توجه عمرو بنفسه إلى برقة، فصالح أهلها)[1].

ولا يؤيد ابن عذارى في روايته هذه غير ابن أبي دينار القيرواني، إذ يشير ابن أبي دينار إلى ذلك البعث الاستطلاعي إشارة ضمنية في قوله: (ولما فتح عمرو بن العاص مدينة مصر والاسكندرية، بعث عقبة بن نافع إلى برقة، وزويلة، وما جاورها من أهل البلاد، فصارت تحت ذمة الإسلام، وسار عمرو بن العاص وغزا طرابلس)[2].

وفي إقامة عمرو بن العاص في طرابلس، بعث بسر بن ارطاة، ففتح ودان، وجبال نفوسه، ولم يتجاوز عمرو بن العاص إلى إقليم افريقية، ورجع عائداً إلى مصر[3].

وفي سنة ٢١هـ/٦٤١م فتح عمرو بن العاص الاسكندرية[4]، وقد رأى عمرو بن العاص أنه بفتح الاسكندرية قد قضى على سلطان الروم في مصر[5]، وكان عمرو قد توجه بنفسه إلى برقة فصالح أهلها، وتوجَّه بعد ذلك إلى طرابلس ففتحها بعد أن استغاث

(*) زويلة: مدينة قديمة مسورة تقع في وسط الصحراء على بعد ٧٧٠ كم إلى الجنوب الشرقي من مدينة طرابلس.انظر:الحامدة، جيل للمولدين، ص ٣٥ نقلاً عن ، ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص ١٥٩-١٦٠؛ البكريّ، أبو عبدالله عبدالله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو البكريّ، المسالك والممالك، تح أدريان فان ليوفن واندري فيري، الدار العربية للكتاب والمؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، تونس، ١٩٩٢م، ص١٠-١١؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص١٥٩-١٦٠.

(١) ابن عبد الحكم، أبو القاسم، عبد الرحمن بن عبدالله، فتوح افريقية والأندلس، تح عبدالله أنيس الطباع، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٦٤م، ص٣٠-٣١؛ ابن عذاري، البيان، ج١ص٨.

(٢) ابن عبد الحكم، فتوح افريقية، ص٣٠-٣١؛ ابن عذاري، البيان ، ج١، ص ١٩؛ ابن أبي دينار،المؤنس؛ ص٣٧؛ وانظر: مؤنس، حسين، فجر الأندلس، دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية (٧١١-٧٥٦م) القاهرة: الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٥٩م، ص٣٦-٣٨.

(٣) ابن عذاري، البيان، ج١.

(٤) ابن عبد الحكم، فتوح افريقية، ص٦-١٧؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص١٨؛ وانظر: حامده، الأندلس، ص٣٢؛ جيل المولدين، ص٢٩.

(٥) ابن عذاري، البيان، ج١، ص٨.

أهلها بقبيلة من البربر يقال لها نفوسة، إذ كانوا قد دخلوا معهم في دين النصرانية[1]، وكان ذلك في سنة ٢٢هـ/٦٤٢م[2]. وقد كتب عمرو إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يخبره بما أفاء الله عليه من الفتح والنصر، وأن ليس أمامه إلا بلاد افريقية، وملوكها كثيرة وأهلها كما يقول ابن عذاري (عديدون) وأكثر ركوبهم الخيل، فأمره بالانصراف عنها، فأمر عمرو بن العاص العسكر بالرحيل عائداً إلى مصر[3].

ثم سار عمرو إلى مدينة صبرة، وافتتحها عنوة، وكمّل الفتح إلى برقة، فصالح أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار جزية، وأراد أن يتم سيره إلى افريقيا فمنعه الخليفة عمر بن الخطاب عن ذلك فعاد إلى مصر[4].

ولّما ولّي عثمان بن عفان ﷺ الخلافة عزل عمرو بن العاص عن مصر، وولى عليها عبدالله بن سعد بن أبي السرح[5].

وتقول الروايات أن الهدف من فتح برقة وطرابلس هو نشر الإسلام، ومواصلة الفتوح، وحماية حدود مصر الغربية من خطر الروم (البزنطيين) الذين كانوا يحكمون المغرب الأدنى، إذ كان يخشى أن يحاولوا استعادة مصر عن الطريق الغربي[6].

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج١، ص٨.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج١، ص١٨؛ وانظر: الحتاملة، الأندلس، ص ٣٣.

(٣) ابن عذاري، البيان، ج١، ص١٨؛ وانظر: حتاملة، الأندلس ، ص ٣٣.

(٤) ابن أبي دينار، المؤنس، ص ٣٧؛ وانظر: مؤنس، تاريخ المغرب، ص٨١.

(٥) ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، أسد الغابة في معرفة الصحابة، المطبعة الإسلامية، ١٣٧٧هـ، ج٣، ص١٧٣؛ النويريّ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الإرب في فنون الأدب، تحقيق عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م، ج٢٤، ص٣؛ ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن، يوسف الاتابكي، النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب العلمية، القاهرة، ١٩٢٩م، ج١، ص٧٩.

كان عبدالله بن سعد بن أبي سرح العامري يكتب الوحي لرسول الله (ص) وقد ارتد عن الإسلام، وقد اتخذ الرسول معاوية كاتباً للوحي بعده، وعند فتح مكة استجار عبدالله بن سعد بعثمان بن عفان وأخذ له الأمان من النبي ﷺ. أنظر: ابن عذاري، البيان، ج١، ص٩.

(٦) سالم، تاريخ المغرب، ص٥٥؛ العبادي في تاريخ المغرب، ص٥٨؛ الزاوي، الطاهر أحمد، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، مطبعة المعارف، القاهرة، ١٣٧٣هـ، ص ٤٥.

وخلاصة القول إن فتح برقة قد تمَّ بسهولة ويسر.

وقد استمر عمرو بن العاص في تقدمه حتى مدينة طرابلس في سنة ٢٢هـ/٦٤٢م، وقد كان يحيط مدينة طرابلس أسوار من كل جانب إلا من جهة البحر، وتقدم عمرو بقواته من جهة الشرق وعسكر في مكان مرتفع يشرف على المدينة كما تقول رواية ابن عبد الحكم، وحاصر المدينة شهراً دون طائل[1].

ومهما يكن من أمر، فإنه بعد سقوط طرابلس استولى عمرو على مدينة صبرة سنة ٢٣هـ/٦٤٣ في غربي طرابلس[2].

وتقول رواية ابن عبد الحكم أن عمراً كتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بعد أن فتح بلاد طرابلس، يخبره بما أفاض الله عليه من النصر والفتح، وأنه ليس أمامه إلا بلاد افريقية (تونس)، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن له في غزوها فعل، فكتب إليه ينهاه عن ذلك ويقول : (لا إنها ليست بأفريقية، ولكنها المفرقة)[3].

ويبدو أن الخليفة عمر كان يخشى أن يتهور الجند في تلك البلاد البعيدة، وتنسب الروايات إلى أن الخليفة عمر كتب إلى عمرو بن العاص عن افريقية، إذ قال له: (ولا تقربها فإنها باب من أبواب جهنم)[4].

والظاهر أن أحوال مصر هي التي دفعت عمرو بن العاص إلى العودة إليها تاركاً التقدم إلى افريقية، وعقب رجوع عمرو إلى مصر بقليل لقي الخليفة عمر مصرعه في أواخر سنة ٢٣هـ/٦٤٣م[1].

---

(١) ابن عبد الحكم، فتوح افريقية، ص٣٠-٣١.

(٢) ابن عبد الحكم، فتوح افريقية، ص ٣٢؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص ٦٢؛ حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام (السياسي والديني والثقافي والاجتماعي)، دار الأندلس، بيروت، ط٧، ج٢، ص٢٦١.

(٣) الناصري، الاستقصا، ج١، ص٧٤.

(٤) أبو العرب، تميم محمد بن أحمد التميمي القيرواني، طبقات علماء أفريقية وتونس، تح علي الشابي ونعيم حسن اليافي، الدار التونسية، تونس، ١٩٦٨م، ص٧٢. وسيشار إليه فيما بعد: أبو العرب، طبقات.

وقد سار عبدالله بن سعد على السياسة نفسها التي اتخذها عمرو بن العاص بعد فتح طرابلس، إذ كان يبعث سرايا المسلمين إلى أطراف افريقية لفتحها[٢].

وبعد أن حققت تلك السرايا الأهداف المرجوة منها أصبح يفكر عبدالله بن سعد في غزو أفريقيا بعد أن أرسل لاستشارة الخليفة عثمان، لكن عثمان كان قلقاً من تلك الفتوح[٣]، وشارك في الفتح كبار الصحابة، وسميت هذه الحملة بحملة العبادلة سنة ٢٧هـ/٦٤٨م، وذلك لكثرة من كانوا يسمون باسم عبدالله[٤].

ويورد أبو العرب أعداد من خرجوا من كل قبيلة للغزو، إذ بلغ جيش عبدالله بن سعد الذي آلت إليه القيادة بوصفه أمير مصر عشرين الفاً[٥]. وقد خرج عبدالله بن سعد سنة ٢٧ هـ/٦٤٧م على رأس هذا الجيش الضخم من فسطاط مصر بعد أن استخلف عقبة بن عامر الجهني[٦].

ومن برقة سار عبدالله نحو مدينة طرابلس، وهنا رأى عبدالله بن سعد ألاّ يستنفذ جهوده في حرب طرابلس، فتركها كما ترك مدينة قابس هي الأخرى، وتقدم إلى المكان الذي ستبنى فيه مدينة القيروان وهو المكان المعروف بسبيطلة، وذلك في سنة ٢٨هـ/٦٤٨م[٧].

---

(١) ابن حبيب، كتاب التاريخ، ص١١٠؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص ٢٩٨؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص٨؛ وانظر: حتاملة، الأندلس، ص٣٣؛ جيل المولدين، ص٣٦.

(٢) ابن حبيب، كتاب التاريخ، ص١١٠؛ أبو العرب، طبقات، ص٦٥؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص٩؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج١، ص ١٤٧-١٤٨.

(٣) ابن حبيب، كتاب التاريخ، ص١١١؛ ابن عبد الحكم، فتوح افريقية، ص١٤؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص٩؛ وانظر: حتاملة، الأندلس، ص ٣٢-٣٤.

(٤) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص١٨٣؛ أبو العرب، طبقات، ص ٦٧، ٦٨؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص٨-٩؛ الناصري، الاستقصا، ج١، ص٨٦-٨٧؛ النويري، نهاية الإرب، ج٢٤، ص١٤ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج١، ص١٤٧-١٤٨.

(٥) أبو العرب، طبقات، ص ٦٩-٧٠؛ المالكي، رياض النفوس، ص١٠؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص٩؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج١، ص٧٠.

(٦) المالكي، رياض النفوس، ص١١؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج١، ص٧٠.

(٧) ابن عبد الحكم، فتوح افريقية، ص٣١٢؛ النويري، نهاية الإرب، ج٢٤، ص١٥ وانظر: حتاملة، الأندلس، ص٣٤؛ مؤنس، حسين، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ٣٥. وسيشار إليه فيما بعد: مؤنس، معالم تاريخ.

-موقعة سبيطلة(*) (Supetula):

كانت الخطوة التالية في فتح العرب للمغرب بعد ذلك بأربع سنوات أي في سنة ٢٧-٢٨هـ/٦٤٧-٦٤٨م بقيادة عبدالله بن سعد(١).

وقبل لقاء العرب للبيزنطيين ذهب رسل عبدالله ابن أبي سرح إلى جرجير الفرنجي يعرضون عليه الإسلام، أو الخضوع للعرب ودفع الجزية، وفشلت المفاوضات وتقرر القتال، وبلغت قوات جرجير مائة وعشرين ألفاً من الجند(٢)، ورواية أخرى تقول أن عدد جيش البيزنطيين قد بلغ مائتي ألف مقاتل، وكان مع جرجير ابنته(٣).

ويقول الناصري في (الاستقصا) أن جرجير قد أعلن جائزة مقدارها مائة وعشرون ألف دينار لمن يقتل ابن أبي سرح، وأن يزوجه ابنته، ويستعمله على بلاده، ولكن عبدالله بن الزبير قد أعلن دعاية مضادة تقول أن من يقتل جرجير فله مائة ألف، ويزوجه ابنته، ويستعمله على بلاده(٤).

وقبل بداية المعركة كانت خطة عبدالله بن الزبير أن يقوم مجموعة من جيش المسلمين من أبطالهم بعمليات كر وفر، والهجوم على جيش جرجير الرومي في خيامهم، لبث الذعر والرعب بينهم، وقتل العدد الوافر منهم(٥).

ورتب عبدالله بن الزبير خطة عسكرية جديدة تتلخص في تقسيم القوات العربية إلى قسمين: الأول ينازل الجيش البزنطي، بينما يكون القسم الآخر كميناً عليه، ليفاجئ

(*) سبيطلة: مدينة تقع على بعد سبعين ميلاً من القيروان على الطريق بين سوسة وجبال الأوراس. أنظر: ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ١٨٧.

(١) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص ٣١٢؛ البلاذري، فتوح البلدان، ج٤، ص ٢٥٥؛ وانظر: الخاملة، الأندلس، ص ٣٥.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج١، ص١٠؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج٢٤، ص١٦؛ وانظر: حاملة، الأندلس، ص٣٥؛ مؤنس، تاريخ المغرب، ص٨١.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١، ص٨٥؛ وانظر: مؤنس، حسين، فتح العرب للمغرب، مطبعة مصر، القاهرة، (د.ت)، ص ٨٧. وسيشار إليه فيما بعد: مؤنس، فتح العرب.

(٤) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص٧٥.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص ٧٥-٧٦.

العدو بعد أن يرهقه القتال. ونجحت الخطة فعلاً، وتمكن الكمين من ترجيح كفة القوة العربية، وانتهى القتال بمقتل جرجير، وأسر ابنته[1].

وكانت نتيجة المعركة أن هزمت قوات الروم، وقتل جرجير، وأخذت ابنته سبية[2]، وبهذا فإن المسلمين قد حاصروا سبيطلة وفتحوها[3].

وهكذا انتهت معركة سبيطلة بانتصار المسلمين، وانهزام القوات الرومية الفرنجية، وقتل جرجير (حاكم افريقية)، وقد أتبع عبدالله ابن أبي السرح ذلك بحصار مدينة سبيطلة نفسها، وسقطت المدينة، وغنم العرب فيها مغانم كثيرة لم يشهدوا لها مثيلاً من قبل، وقد أرسل ابن أبي السرح بخبر الفتح مع عبدالله بن الزبير إلى المدينة، وهناك أعلن انتصار القوات العربية في افريقية في مسجد الرسول ﷺ وفي حضرة الخليفة عثمان بن عفان وكبار الصحابة[4].

واستمر عبدالله بن سعد في حربه ضد الروم، إذ قام بحملة أخرى سنة ٣٣هـ/٦٥٢م، وذلك بعد أن نكث أهلها العهود المبرمة بينهم وبين جيش المسلمين، وقد أخضعهم عبدالله بن سعد وأقرهم على الإسلام ودفع الجزية[5].

- مرحلة الفتح المنظم :

قبل بداية مرحلة الفتح المنظم في بلاد المغرب فقد توجهت إلى المغرب على أيام معاوية بن أبي سفيان حملة قام بها معاوية بن حديج سنة ٤٥ هـ / ٦٦٥م[6].

---

(١) المالكيّ، رياض النفوس، ج١، ص١٤.

(٢) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص ٣١٣-٣١٤؛ المالكيّ، رياض النفوس، ج١، ص١٢؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٧٦؛ وانظر: مؤنس، فتح العرب، ص٩١.

(٣) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص٣١٢؛ المالكيّ، رياض النفوس، ج١، ص١٣؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص٧٦؛ وانظر: حتاملة، الأندلس، ص٣٥.

(٤) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص ٣١٢؛ المالكيّ، رياض النفوس، ج١، ص ١٥-١٦؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١٣؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج٢٤، ص٦.

(٥) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، م٤، ص٢١٧؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١، ص٨٠؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج١، ص١٦٢؛ مؤنس، فتح العرب، ص ١٠٥.

(٦) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص٣٢٩؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص١٦؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص٧٧؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج٢٤، ص١٠؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص٣٩؛ وانظر: مؤنس، فتح العرب، ص١١٥؛ حتامله، الأندلس، ص٣٧.

ووصل الجيش إلى جنوب قرطاجنة في موضع يقال له قونيه(قمونية)[1]، وتقع في الموضع نفسه الذي تقوم عليه القيروان[2]، وهو المكان نفسه الذي التقى فيه عبدالله بن سعد وجريجوريوس (جرجير)[3].

وكان مع معاوية بن حديج عبدالله بن عمر عندما أرسله معاوية بن أبي سفيان إلى افريقية، وكذلك عبدالله بن الزبير بن العوام، وعبدالملك بن مروان، ويحيى بن أبي الحكم بن العاص، وعدد من أشراف من قريش[4].

يذكر ابن أبي الحكم أن معاوية بن حديج غزا افريقية ثلاث غزوات (أما الأولى فكانت سنة ٣٤هـ قبل مقتل عثمان، وأعطى مروان الخمس في تلك الغزوة، وهي غزوة لا يعرفها الكثير، والثانية سنة ٤٠هـ، والثالثة سنة ٥٠هـ)[5].

ثم بعث بن حديج السرايا ودوّخ البلاد، وبعث عبدالله بن الزبير إلى سوسة فافتتحها، ثم بعث عبدالملك بن مروان إلى جلولاء[*] (Gouloulis) فافتتحها كذلك[6].

وأرسل كذلك معاوية بن حديج جيشاً في البحر في مئتي مركب إلى صقلية ففتحوها، وسبوا، وغنموا، وأقاموا شهراً، وانصرفوا بغنائم كثيرة. وبعث معاوية بالخمس إلى معاوية بن أبي سفيان[7].

---

(١) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص ١١٨؛ لم تذكر قمونية في معجم البلدان لياقوت الحموي ولا البكريّ ولا الإدريسي، وحدد ابن عبد الحكم موضعها بأنها مدينة القيروان، وربما كانت إلى شمالها قليلاً. لتنظر: ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص ٣٢٨؛ أبو العرب، طبقات، ج١، ص ١٥؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج٢٤، ص١٠؛ وانظر: مؤنس، فتح العرب، ص١١٥.

(٢) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص ٣٢٨؛ سالم، تاريخ المغرب، ص ٩٦.

(٣) سالم، تاريخ المغرب، ص ٩٦.

(٤) ابن أبي دينار، المؤنس، ص ٣٩.

(٥) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص ٣٢٩.

(*) جلولاء أو جلولا على مقربة من القيروان الحالية، تبعد عنها أربعة وعشرين ميلاً، وهي مدينة كبيرة وحصن بيزنطي قديم واصله البيزنطي Couloulis أحد عارس المضبة، وقال البكريّ أنها غنية كثيرة الأشجار والثمار وبها قصب السكر، أما الأدريسي فيسميها جلولة ويقول: (إنها مدينة صغيرة عليها سور بها عين ماء جارية). لمزيد من التفاصيل حول ذلك أنظر: المالكيّ، رياض النفوس، ج١، ص١١٨؛ البكريّ، المسالك والممالك، ج٢، ص ٦٨٥؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٧٧؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج٢٤، ص١٠؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص٣٩.

(٦) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص٨٧؛ وانظر: مؤنس، فتح العرب، ص١٢٣.

(٧) ابن أبي دينار، المؤنس، ص ٤٠.

وترتب على ذلك انتشار نفوذ العرب ودخول عدد كبير من أهل البلاد في الإسلام والذي نلاحظه أن الغزو سيظل حتى ذلك الوقت غزواً مؤقتاً بمعنى أنها حملات كان الهدف منها هو الاستكشاف، والاستيلاء على المغانم والأسلاب، وذلك أن معاوية بن حديج لم يلبث أن عاد هو الآخر إلى مصر دون أن يترك والياً في افريقية[1].

واستمرّت ولاية معاوية بن حديج على مصر وافريقية حتى سنة ٥٠هـ/٦٧٠م، إذ فصلهما معاوية بن أبي سفيان إلى ولايتين، وأمر معاوية بن حديج على مصر، بينما وجه إلى افريقية والياً آخر هو عقبة بن نافع الفهري[2].

وفي عهد عقبة بن نافع (٥٠-٦٤هـ) بدأ الفتح المنظم والمستمر لشمالي افريقيا، وقد اعتمد في ذلك على عدد من القادة المشهورين مثل: بسر بن أرطاة، وشريك بن سمي المرادي، وزهير بن قيس البلوي[3].

والحقيقة أن ولاية عقبة بن نافع كانت نقطة تحول في الفتح العربي للمغرب، وذلك لأنها تفرق بين مرحلتين، مرحلة حملات الاستكشاف، والبحث عن الغنائم ومرحلة الاستيطان الدائم للبلاد.

يذكر الكندي في (الولاة والقضاة) أن عمرو بن العاص بعث جيشاً على رأسه عقبة بن نافع يغزو لواته ومزاته في سنة ٤١هـ أثناء ولايته العامة، فهزمهم أكثر من مرة في نواحي طرابلس، وفرض عليهم شروطاً جائرة (كما تقول الرواية) حيث قال لهم: (إن شئنا أقررناكم وإن شئنا بعناكم)[4].

---

(١) المالكيّ، رياض النفوس، ج١، ص١٨-١٩؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص١٩؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص٧٨؛ابن أبي دينار، المؤنس، ص ٤٠؛ وانظر: حتامله، جيل المولدين، ص٤٢.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج١، ص١٩،١٧؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج٢٤، ص١١؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص٣٠؛ وانظر: حتامله، جيل المولدين، ص٤٢.

(٣) ابن عبد الحكم، فتوح افريقية، ص ١٤؛ ابن عذاري، البيان، ج١ ص١٩؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص٥٠؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص١٩؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج١٤، ص٢١؛ وانظر: حتاملة، الأندلس، ص٣٨؛ مؤنس، فتح العرب، ص١٣٥.

(٤) الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف، كتاب الولاة والقضاة، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨، ص ٣٢. وسيشار إليه فيما بعد: الكندي، كتاب الولاة.

ولقد سبق حملة عقبة بن نافع هذه غزوة أخرى أرسلها عمرو بن العاص وعلى رأسها شريك بن سمي المرادي وذلك سنة ٤٠هـ/٦٦٠م وهدفها إخضاع قبيلة لواته، وأتبع شريك ذلك بغزو قبيلة مزاته، وألحق بهم أكثر من هزيمة[١].

وفي سنة ٤٢هـ/٦٦٢م فتح غدامس[٢]، وفي سنة ٤٣هـ/٦٦٣م غزا عقبة بن نافع وافتتح مواضع من بلاد السودان، وافتتح ودان، وهي من حيز برقة[٣].

وقام كذلك عقبة بحملة في الصحراء الجنوبية، في فزان وما وراءها من الواحات في سنة ٤٦هـ/٦٦٦م، وذلك قبل توليته افريقية سنة ٥٠هـ/٦٧٠م وبنائه مدينة القيروان[٤].

ومهما يكن من أمر، فإن عقبة خرج من غدامس من أرض سرت ومعه أربعمائة فارس، وبرفقته بسر بن أرطاة وشريك بن سمّي المرادي، وهما ممن خبروا حرب الصحراء، كما سبق وأن رأينا، ومعه أربعمائة بعير، وثمانمائة قربة، وأخذ عقبة ملكهم، وقطع أذنه حتى لا يفكر بمحاربة المسلمين[٥].

وهكذا انتهت اول حملة في صحراوات جنوب طرابلس، وعاد عقبة محمّلاً بالمغانم والأسلاب إلى غدامس، ومرّ بزويلة بعد خمسة أشهر، وبعد أن استراح عقبة وأصحابه قام بحملة أخرى، اخترق فيها أرض مزاتة وقفصة، فافتتحها ثم افتتح قسطيلية، وبعد ذلك انصرف إلى القيروان[٦].

---

(١) الكندي، كتاب الولاة ، ص ٣٢؛ ابن الأثير، لبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، الكامل في التاريخ، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م، ج٣، ص٢٣٤؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص١٠٧.

(٢) الكندي، كتاب الولاة ، ص ٣٢؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص١٠٧.

(٣) الكندي، كتاب الولاة ، ص ٣٢.

(٤) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص ٣٣؛ البكريّ، ص١٣، ١٤؛ وانظر: مؤنس، فتح العرب، ص١٣٦؛ خطاب، محمود شيت، قادة فتح المغرب العربي، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٢م، ص٩٩، وسيشار إليه فيما بعد: خطاب، قادة فتح.

(٥) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص ٣٣؛ وانظر: خطاب، قادة فتح، ص٩٩.

(٦) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص ٣٣٢؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص٤٢؛ وانظر: مؤنس، فتح العرب، ص١٣٦.

لقد طهّر عقبة بهذا الفتح كل المقاومات المعادية، بين برقة وافريقية، فأصبحت هذه المنطقة خالصة للمسلمين حرية أن تكون قاعدة رصينة تنطلق منها القوات الإسلامية لفتح افريقية حتى المحيط الأطلسي[1].

ويبدو أن عقبة لم يكن يسعى إلى الاستيلاء على المدن أو المراكز الحصينة، وإنما كان همه الجهاد لنشر الإسلام، وإن قال ياقوت أنه فتح بلاد المغرب[2].

اختط عقبة بن نافع مدينة القيروان، وبنى بها المسجد الجامع، وبنى الناس مساكنهم ومساجدهم[3]، نظراً لموقعها الاستراتيجي لبعدها عن الساحل حتى لا يعرض العرب لغارات أهل البلاد من البربر، ويكون في مأمن من غارات الأسطول البيزنطي.[4]

عزل معاوية بن أبي سفيان عقبة عن افريقية، وجعلها لمسلمة بن مخلد الأنصاري الذي كان على مصر (ومسلمة بن مخلد أول من جمعت له مصر والمغرب)[5].

واستعمل مسلمة على افريقية مولىً له يقال له أبو المهاجر، فقدم افريقيا، وأساء عزل عقبة، واستخف به، وكان ذلك سنة ٥٥هـ/٦٧٥م[6].

---

(١) شاكر، محمود، موسوعة الفتوحات الإسلامية، دار أسامة: عمان، ط١، ٢٠٠٢م ص ١٣٢. وسيشار إليه فيما بعد: شاكر، موسوعة الفتوحات.

(٢) ماجد، عبد المنعم، التاريخ السياسي للدولة العربية (عصر الخلفاء الأمويين)، مكتبة الأنجلو المصرية: القاهرة، ط٢، ١٩٦٠، ص ١٧٨. وسيشار إليه فيما بعد، ماجد، التاريخ السياسي.

(٣) ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٤٢١؛ الدباغ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن علي بن عبدالله الأنصاري، الأسدي، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تونس، ١٣٢٠هـ، ج١، ص ٧٠.

(٤) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١٩-٢٠؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج٢٤، ص١٢.

(٥) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص ٢٦٥؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج٢٤، ص١٣.

(٦) ابن الأثير، أسد الغابة، ج٣، ص١٨٣، ١٨٤؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص٢١؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج٢٤، ص١٣؛ وانظر: حتامله، الأندلس، ص٣٩؛ مؤنس، فتح العرب، ص ١٥٨؛ معالم تاريخ، ص ٤٠-٤١.

- مدينة اوذان أو بتكيروان. وقد اختلفت صور كتابة هذا الإسم بين بتكروان أو تكروان وتاكروان وتكرر ودكرور. أنظر: أنظر: حتاملة، الأندلس، ص ٣٩.

ويقول النويري: (فلما وصل أبو المهاجر كره أن ينزل في الموضع الذي اختطه عقبة، فنزل عنه بمسافة ميلين، واختط مدينة سمّاها البربر (بتكيروان)(*) فأخذ في عمارتها، وأمر الناس أن يخربوا القيروان، ويعمّروا مدينته، وتوجه عقبة إلى معاوية بن أبي سفيان)[1].

في سنة ٥٥هـ علم أبو المهاجر بتكوين حلف ضدٌ المسلمين يضم بربر اوريه البرانس والروم[2]، لذلك بدأ أبو المهاجر بمهاجمة بربر أورية، وأحلافهم الذين كانوا يضربون في نواحي تلمسان، حتى يقضي على مقاومتهم[3]، خرج أبو المهاجر على رأس جيش من المسلمين متجهاً إلى مراكز أورية وأحلافها من البرانس، وفتح البلاد التي مرّ بها نحو تلمسان ومنها العيون التي سميت باسمه (عيون أبي المهاجر)[4]، وفي نهاية الأمر قضى أبو المهاجر على الحلف القائم بين أورية والروم، إذ انضمت كسيلة وبربرأوريه إلى جانب المسلمين وافتتح ميله سنة ٥٩هـ/٦٧٨م[5].

وفي عام ٦٠هـ/٦٧٩م توفي معاوية بن أبي سفيان[6]. واستخلف ولده يزيد بعده، فولى يزيد عقبة بن نافع الفهري افريقية سنة ٦٢هـ/٦٨١م، فثار عقبة حنقاً على أبي المهاجر، فلما وصل افريقية أوثقه بالحديد، وأمر بتخريب مدينته التي بناها وأعاد الناس إلى القيروان[7].

(*) مدينة اوذان أو بتكيروان. وقد اختلفت صور كتابة هذا الإسم بين بتكروان أو تكروان وتاكروان وتكرر ودكرور. أنظر: أنظر: حاملة، الأندلس، ص ٣٩.

(١) ابن عذاري، البيان، ج١، ص١٢٢؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج٢٤، ص١٣.

(٢) العدوي، إبراهيم أحمد، الأساطيل العربية في البحر الأبيض المتوسط، دار النهضة، القاهرة، ١٩٥٧م، ص ٤٧-٥٥؛ سالم، تاريخ المغرب، ص ١٢٩.

(٣) مؤنس، فتح العرب، ص ١٧٢؛ سالم، تاريخ المغرب، ص ١٢٩.

(٤) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص ٨٠؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص ١٣٠.

(٥) ميله: مدينة تقع شرقي قلعة حماد، وهي مدينة حسنة كثيرة الاشجار والثمار وهي مدينة محصنة، تقع على البحر المتوسط، أنظر: ابن خياط، خليفة، العصفري، تاريخ خليفة بن خياط، دمشق، ١٩٦٧، ص٢٧٢، ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص ٢٤٥؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١، ص ١٥٢.

(٦) ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم، الإمامة والسياسة، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٣، ١٩٨١م، ج١، ص٢٠٢-٢٠٣. وسيشار إليه فيما بعد: ابن قتيبة، الإمامة.

(٧) ابن قتيبة، الإمامة، ج١، ص٢٠٢-٢٠٣.

وقام عقبة بن نافع على رأس قواته التي بلغت عشرة آلاف رجل، بعد أن استخلف عمر ابن علي القرشي، وزهير بن قيس البلوي، ومعهما بعض قواته التي تبلغ ستة آلاف رجل، وقام بحملة كبرى، وصل في حملته إلى أقصى الجنوب الغربي للمغرب الأقصى[1].

وقد اتخذ عقبة بن نافع الطريق الصحراوي فخرج من القيروان، واتجه نحو شمال الأوراس، ولكنه ترك القلاع التي كانت هناك دون أن يدخلها، مثل قلعة باغاية وقلعة بادس، ثم استمر في الاتجاه نحو مدينة طنجة ماراً بإقليم تاهرت (شرق وهران). وهناك وجد نفسه أمام تحالف من الروم والبربر، لم يعرف له العرب مثيلاً[2].

وقد حدثت معركة بين الجانبين، ولكن القتال انتهى بانهزام الروم إلى المدينة، وغنم العرب أموالهم وسلاحهم[3]، وقتل خلق كثير من الروم وسبيت نساؤهم[4].

وقد نشر الإسلام في صحراء مراكش، بعد أن فتحها عقبة وبنى مسجداً في منطقة درعة[5]، ثم فتح مدينة نفيس[6].

وبعد ذلك عرج على منطقة تفللت وسجلماسة ثم إلى الجنوب الغربي من منطقة وادي نفيس، حيث أقام مسجداً جامعا، ورباطاً يعرف باسم (رباط شاكر)[*]، ثم صعد نحو الشمال من أراضي برغواطة، ثم نحو الصحراء في طريق عودته إلى القيروان[7].

---

(١) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص ٣٣٠؛ المالكيّ، رياض النفوس، ج١، ص ٢٢؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج٢٤، ١٣.

(٢) المالكيّ، رياض النفوس، ج١، ص ٢٣.

(٣) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ٢٦-٢٧؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج٤، ص١٤.

(٤) النويريّ، نهاية الإرب، ج٢٤، ص ١٤؛ وانظر: حتاملة، الأندلس، ص ٤١.

(٥) حتاملة، محمد عبده، جيل المولدين، (د.مط)، عمان- الأردن، ط١، ٢٠٠٣م،ص ٦٢.

(٦) مدينة نفيس: مدينة قديمة كثيرة المياه والثمار، وحولها أعداد كبيرة من البربر. أنظر : البكريّ، المسالك، ص ١٦٠؛ مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تح سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، دار النشر الثقافية : الدار البيضاء، ١٩٨٥م، ص ٢٠٨؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص ٣٦؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥٧٨؛ وانظر: حتاملة، جيل المولدين، ص ٦٢.

(*) يسمى هذا الموقع حتى اليوم باسم سيدي شيكر. أنظر:سالم، تاريخ المغرب، ص ١٤٠.

(٧) ابن عذاري، البيان، ج١، ص٢٧-٢٨.

ثم رحل من هناك إلى سرنو ببلاد دكاله[1]، فوجد فيها قوماً دعاهم إلى الإسلام فامتنعوا، فاشتبك معهم في قتال وانتهى بقتل جماعة كبيرة من جنوده، فسمّى هذا الموقع باسم (مقبرة الشهداء)[2]، ثم مضى من دكالة إلى بلاد هسكورة، وقاتل سكان هذه النواحي وشتتهم، وعبر نهر أم الربيع، وأوغل في البلاد شرقاً حتى دخل المغرب الأوسط، وما زال يواصل سيره إلى القيروان، حتى أوشك دخول المغرب الأدنى[3].

وفي موضع آخر يقول: (ثم زحف ابن الكاهنة ((كسيلة)) إلى القيروان يريد عمر بن علي وزهير بن قيس، فقاتلاه قتالاً شديداً، فهزم ابن الكاهنة، وقتل أصحابه)[4].

ولمّا بلغ زهير بن قيس البلوي ما حلّ بالمسلمين اراد الانصراف عن القيروان إلى مصر، إلا أن المسلمين شجعوه على استئناف القتال، ففعل، غير أنه لم يتمكن من مجابهة كسيلة، بعد أن التف حوله جمع كبير من البربر[5]، (وزحف إلى القيروان فانقلبت افريقية ناراً) وسقطت القيروان بيد كسيله[6]. سنة ٦٤هـ/٦٨٣م[7]، وأصبح كسيلة سيد افريقية وحاكمها[8].

وفي سنة ٦٩هـ/٦٨٨م توجه زهير بن قيس البلوي على رأس جيش إلى القيروان لتخليصها من أيدي البربر، وعندما اقترب من المدينة خرج كسيلة منها، والتقى الجيشان في موقع يقال له ممش أو (ممس)[*] Mamma، إذ انتصر جيش زهير بن قيس البلوي، ومن ثم عاد إلى القيروان، فأعاد تنظيمها، وترتيب إدارتها، ثم تركها آمنة[9].

---

(١) المصدر نفسه، ج١، ص ٢٨.
(٢) المصدر نفسه، ج١، ص ٢٨.
(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٢٨.
(٤) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص٣٣٥؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص٣٠؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص٨٤؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج٢٤، ص١٧؛ ولنظر: حتاملة، الأندلس، ص٤٢.
(٥) ابن الأثير، أسد الغابة، ج٤، ص١٤٢؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص ٣٠-٣١؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج٢٤، ص١٧.
(٦) المالكيّ، رياض النفوس، ج١، ص ٩؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج٢٤، ص١٧.
(٧) المالكيّ، رياض النفوس، ص٩؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١ : ص ٨٤؛ المالكيّ، رياض النفوس، ص٩.
(٨) النويريّ، نهاية الإرب، ج٢٤، ص١٧.
(*) ممش أو ممس Mamma : مدينة بيزنطية قديمة، تقع على مرتفع من هضبة، تتصل بجبال أوراس. أنظر : المالكيّ، رياض النفوس، ج١، ص٣٠؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج٢٤، ص ١٧.
(٩) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ٣١-٣٣.

وقد قتل زهير بن قيس سنة ٦٩هـ/٦٨٨م بعد معركة بينه وبين جموع كبيرة بينه وبين جموع من البيزنطيين كانوا قد هاجموا برقة[١].

اختار عبد الملك بن مروان حسّان بن النعمان لحكم افريقية فكانت خطته التي تنقسم إلى قسمين : فهو يبدأ بتوجيه نشاطه ضد البيزنطيين، ثم يتبع ذلك بمحاولة القضاء على البربر، ودارت معارك عنيفة بين العرب والروم، وكان العرب شديدي الوقع على أعدائهم، ولم يستطع الروم الصمود أمامهم، فاستقر رأيهم على الفرار منها، وذهب كثير منهم إلى صقلية، ورحل البعض الآخر للأندلس[٢]. فلمّا تمّ القضاء على الروم سأل عمّن بقي من الملوك فدلّوه على زعيمة جبل الأوراس وهي الكاهنة، وقتل الروم والبربر قتلاً ذريعاً، والتقى حسان ولم يتبع الروم الذين لجأوا إلى مدينة باجة هاربين خائفين، وكذلك البربر الذين هربوا إلى مدينة بونه، وعاد حسان إلى القيروان[٣].

وانتهت حملة حسان بالنجاح بعد سقوط العاصمة الأفريقية القديمة (قرطاجنة)[٤].

اتجه حسان نحو جبل أوراس لمحاربة الكاهنة (دهيا بنت ماتية) زعيمة ثورة البربر سنة ٧٨هـ/٦٩٧م، وبلغ الكاهنة خبر مسيره، فرحلت عن جبل أوراس، وأسرعت إلى حصن باغاية، وأخرجت الروم منه حتى لا يتحصن فيه حسان، وأقبل حسان، ولما وصله الخبر نزل بوادي العذاري(نهر البلاء)[٥].

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج١، ص٣٣؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج٢٤، ص١٧؛ ابن أبي دينار، تاريخ افريقية، ص٥٢.
(٢) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ٣٤-٣٥.
(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٣٤-٣٥؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج٢٤، ص١٩؛ وانظر: السنوسي، محمد بن علي الإدريسي، الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية، وزارة الإعلام والثقافة، طرابلس، ليبيا، ١٩٦٨م، ص٣٤.
(٤) ابن عبد الحكم، فتوح افريقية، ص٦٣؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص٣٤-٣٥؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج٢٤، ص١٨.
(٥) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص ٢٣٨؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج٢٤، ص١٩.

وحدثت معركة شديدة بين قوات حسان وبين الكاهنة وأتباعها أدت إلى هزيمة حسان بن النعمان وقتل الكثير من جيش حسان الكثير، وتم أسر ثمانين رجلا، منهم خالد بن يزيد القيس الذي تبنته الكاهنة وسمي هذا المكان وادي العذاري بنهر البلاء[1] لشدة ما وقع بجيش المسلمين من بلاء في تلك الواقعة[2].

وتبعت الكاهنة ورجالها حسان حتى خرج من قابس وترك افريقية[3]، وأقام حسان في الموضع الذي يعرف باسم (قصور حسان) سنوات، وأصبحت الكاهنة سيدة على افريقية، وقد أطلقت الأسرى العرب، وأحسنت اليهم، وأعادتهم إلى حسان، باستثناء خالد بن يزيد القيسي الذي اتخذته ابناً لها[4].

كانت الكاهنة قد ملكت افريقية خمس سنين من هزيمة حسان، وتيقنت بأنه لا بد وأن يعود بعد حين، فبدأت في سياسة التخريب، وقد قالت للبربر: (ان العرب إنما يطلبون من افريقية المدائن والذهب والفضة، ونحن انما نطلب منها المزارع والمراعي فما نرى لكم إلا خراب افريقية، حتى ييأسوا منها، ويقل طمعهم فيها)[5].

وصمم حسان على محاربة الكاهنة وأتباعها، وتم اللقاء بين حسان والكاهنة[6] فاقتتلوا قتالاً شديداً الأمر الذي أدى إلى هزيمة البربر ومن ورائهم الكاهنة التي قتلت[7] وقد سمي المكان الذي قتلت فيها الكاهنة بئر الكاهنة[8].

---

(١) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص ٣٣٨؛ الرقيق القيرواني، إبراهيم بن القاسم، تاريخ افريقية والمغرب، تح المنجي الكعبي، نشر رفيق السقطي، مطبعة الوسط، تونس، ١٩٦٧م، ص١٥٧؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص٣٦.

(٢) الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية، ص١٥٧؛ ابن عذاري، البيان، ج١؛ ص٣٦؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج٢٤، ص١٦؛ وانظر: حتاملة، الأندلس، ص٤٥.

(٣) الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية، ص ٥٦-١٥٧؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج٢٤، ص٣٧؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص٣٦-٣٧؛ مؤنس، فتح العرب، ص ٢٥٧، حتاملة، الأندلس، ص٤٥.

(٤) الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية، ص٦١.

(٥) المصدر نفسه، ص ٦١؛ حتاملة، الأندلس، ص ٤٥.

(٦) الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية، ٦١.

(٧) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص٣٣٨.

(٨) المصدر نفسه، ص ٣٣٨؛ الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية، ص٦٣-٦٤؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج٢٤، ص٢٠.

وبعد أن قضى حسان على الكاهنة رأى أن يتجه إلى قرطاجنة، وفرض الحصار عليها، ولم يستطع الروم الوقوف أمام العرب ففروا في سفنهم، ودخل حسان المدينة عنوة، وقرر حسان أن يهدم قرطاجنة[1].

وبدأ حسان يوجه أنظاره إلى عمران القيروان، فبدأ ببناء مسجدها وتم ذلك سنة ٨٤هـ/٧٠٣م[2].

وفكّر في تشييد مدينة تحل محل قرطاجنة، حيث قام ببناء مدينة تونس، وكان اسمها في الأول (ترشيش)، ويقال لبحرها ومرساها (رادس)[3].

وفعلاً تم بناء تونس التي ورثت تراث قرطاجنة تتويجاً لأعمال حسان في المغرب، وبعد ذلك كله رجع حسان إلى دمشق سنة ٨٩هـ/٧٠٧م[4]، وقد ولّي موسى بن نصير من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك أعمال المغرب سنة ٨٦هـ/٧٠٥م[5].

أمّا عن تاريخ توليته فقد اختلفت الروايات في تحديده، فخليفة بن خياط يقول إن توليته موسى المغرب كانت سنة ٧٨هـ/٦٩٧[6]، بينما يذكر ابن عبد الحكم أن توليته سنة ٧٩هـ/٦٩٨م. وفي الاستقصا للناصري أن توليته كانت سنة ٧٧هـ/٦٩٦م، أما ابن الأثير فيحدد توليته سنة ٨٦هـ/٧٠٥م وهي الرواية المتفق عليها[7].

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ٣٨.

(٢) المالكيّ، رياض النفوس، ج١، ص ٣٧؛ البكريّ، المسالك، ج١، ص٦٧٣.

(٣) البكريّ، المسالك، ج١، ص٦٩٣.

(٤) زغلول، تاريخ المغرب، ج١، ص٢٠١-٢٠٢.

(٥) ابن حبيب، كتاب التاريخ، ص١٣٦؛ ابن قتيبة، الإمامة، ج٢، ص٦٠-٦١، ابن عذاري، البيان، ج١، ٣٩-٤٠، الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، دول الإسلام، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٦٨هـ؛ وانظر: مؤنس، معالم تاريخ، ص ٥٨؛ الختاملة، الأندلس، ص٤٦.

(٦) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ق١، ص ٣٥٦-٣٥٧.

(٧) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص٩٧.

بدأ موسى بن نصير ولايته بإخضاع قبائل البربر والتي خرجت عن سلطان المسلمين[١]، فأول فتوحه زغوان[*] ونواحيها التي بينها وبين القيروان مسيرة يوم كامل[٢]، وقد غزا موسى بن نصير القيروان وسبى منهم سبياً عظيماً يقدر بعشرة آلاف، وهو أول سبي دخل القيروان في ولاية موسى بن نصير، وغزا هوارة وزناته وصنهاجة (قبائل بربرية)[٣].

وعندما خرج موسى غازياً من افريقية إلى المغرب الأوسط وولاية طنجة، هربت منه القبائل البربرية نحو الغرب، وتبع البربر وقتلهم قتلاً ذريعاً، وسبى منهم سبياً عظيماً حتى انتهى إلى السوس الأدنى، وقد استعمل على طنجة وأعمالها مولاه طارق بن زياد البربري[*][٤]، وكان موسى بن نصير يلقب (بأمير القيروان)[٥].

وذكر أن موسى بن نصير بعث إثر بيعته للوليد زرعه بن أبي مدرك[*] إلى قبائل من البربر، فلم يلق حرباً منهم، فرغبوا في الصلح منه، فوجه رؤساءهم إلى موسى بن نصير، فقبض رهونهم[٦]، وعقد لعياش بن أخيل حملة هاجمت صقلية، ودخلت مدينة سرقوسة (فغنمها وجميع ما بها) وعاد سالماً[٧].

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج١، ص٤٠؛ النويري، نهاية الارب، ج٢٤، ص٢١.

(*) زغوان: في أوائل القرن الرابع للميلاد كان الرومان قد أعادوا تقسيم بلاد المغرب، فقد قسمها ديو كليسيانوس Dioclitien (٢٨٤-٣٠٥م) إلى ثماني ولايات لتسهيل إدارتها وتيسير السيطرة على الولاة فالبروقنصلية أصبحت ثلاث ولايات هي زغوان وعاصمتها قرطاج، وفراق وعاصمتها سوسة، وطرابلس وعاصمتها لبدة. أنظر: ابن عذاري، البيان، ج١، ص٤٠.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ٤١؛ عبد الوهاب، حسن حسني، خلاصة تاريخ تونس، مطبعة دار الفنون، تونس، ط٣، ١٣٥٣هـ ص٥٥.

(٣) الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية، ص١٦٩؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص٤٨.

(*) وهو طارق بن زياد بن عبدالله بن ولغو ورفهوم بن نبرغاسن بن ولهاص بن يطوفت بن نفزاو، ذكر أنه من سبي البربر وكان مولى موسى بن نصير. أنظر: ابن عذاري، البيان، ج١، ص ٣٧.

(٤) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ٤٢؛ وانظر: السنوسي، الدرر السنية، ص ٤٢.

(٥) المراكشي، محي الدين عبد الواحد بن علي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة: القاهرة، ط١، ١٩٤٩م، ص، ٩ وسيشار إليه فيما بعد: المراكشي، المعجب.

(*) زرعة بن أبي مدرك: كان له دور كبير في فتح شمالي افريقية وإرساء الإسلام في أنحاء واسعة من تلك المنطقة. وشهد لهذا القائد بالكفاءة. أنظر: ابن عذاري، البيان، ج١، ص ٤٢.

(٦) ابن عذاري، البيان، ج١، ص٤٢.

(٧) المصدر نفسه، ج١، ص٤٢.

وقد سيّر ابنه مروان على راس خمسة آلاف إلى السوس الأقصى، كما أرسل قائده زرعة بن أبي مدرك إلى بربر مصمودة في الأطلس العليا[1].

وبعد أن أتم موسى اخضاع المغرب الأوسط والمغرب الأقصى، فكّر في الاستيلاء على مدينة طنجة التي كانت تحت حكم الأمير الرومي يليان الغماري [*] (Julian) من أيام عقبة بن نافع وكان بها بطون البتر والبرانس من البربر ممن لم يكن دخل في الطاعة[2].

وقد فتح المغرب الأقصى إلا إقليم سبتة؛ لأنها كانت مدينة منيعة، وقرر موسى بن نصير العودة إلى افريقية، إذ استعمل طارق بن زياد على طنجة [3].

ومهما يكن من أمر فإن فتح بلاد المغرب قد انتهى حوالي سنة ٩٠هـ/٧٠٨م وبعد سنتين شرع المسلمون في فتح بلاد الأندلس[4].

والخلاصة: فإن الفتح العربي للشمال الافريقي كان من أصعب الفتوحات الإسلامية مراساً وأشدّ شكيمة، ولم يكن لبعده عن مركز الخلافة الإسلامية أي دور، وإنما لصعوبة التعامل مع سكان الشمال الافريقي وهم البربر، إذ لم يتمكن العرب من استمالتهم بسهولة، فالعرب لا يقلون شجاعة عن البربر، ولكن هناك أسباباً أخرى لصعوبة فتح الشمال الافريقي منها: أن الولاة العرب لم يحسنوا في الغالب معاملة البربر،

---

(١) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص٩٦.

(*) يقول ابن خلدون أن اسمه يليان، وقد يكون يوليان حاكماً بيزنطياً لولاية طنجة، ولكن بسبب ضغط الأحداث وبعد المسافة عن عاصمة البزنطيين القسطنطينية من ناحية، وانهيار مواقعهم في شمالي افريقية من ناحية أخرى جعلته يمد يده إلى اسبانيا القوطية لحمايته وتعزيز قوته. وعلى الأرجح أن يوليان حكم سبته والجزيرة الخضراء أيضاً، كما يذكر ابن الأثير في سن مبكرة وقد يكون أقام فترة طويلة في أرض المغرب حتى توثقت علاقته بالبربر، واستطاع أن يكسب صداقاتهم واختلط بهم، وصار واحد منهم. أنظر، الحتاملة، الأندلس، ص ٤٨ عن ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص ١٢١؛ وابن خلدون، العبر، ج٤، ص ١٤٩.

(٢) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص ٣٤٥؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص٨٢.

(٣) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص ٣٤٥.

(٤) الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م، ص١٧؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص ٤٢، ج٢، ص٥-٨؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص٩٦؛ وانظر: كحيلة، عبادة بن عبد الرحمن رضا، المغرب في تاريخ الأندلس والمغرب، المطبعة الإسلامية الحديثة: القاهرة، ط١: ١٩٩٧م، ص٢٩.

ما يسر بعد ذلك لبعض المذاهب ومنها المذهب الأباضي الخارجي من التسرب إلى شمال افريقية، إذ وجد فيه بعض البربر متنفساً من الضغط الذي لاقوه من الولاة الأمويين.

ومن أسباب صعوبة الفتح أيضاً وعورة أراضي الشمال الأفريقي، إذ أنها كثيرة الجبال والأنهار والغابات، فلم يصادفوا مثل ذلك في الشام ولا في جزيرة العرب، ولا مصر، وبلاد فارس، ذلك الأمر صعّب عملية إرسال الجيوش بمعداتها ومؤونتها إلى شمال افريقية.

وقد كان الهدف من الفتح في عهد عمر بن الخطاب هو نشر الإسلام، وإقراره في البلاد التي يتم افتتاحها وفي عهد عثمان وعلي بن أبي طالب، ثم تناقص هذا الهدف قليلاً في عهد بني أمية باستثناء عهد عمرو بن العاص، حيث كان هدف معاوية ابن أبي سفيان من الفتح هو وضع حد للسيطرة الرومانية في العالم، وإرهاق البربر بالضرائب، ومعاملتهم كأرقاء.

الفصل الأول

دول بني صالح والبرغواطيين والمدراريين والرستميين

- دولة بني صالح في نكور من (٩١- ٤٧١هـ/٧٠٩- ١٠٨٠م).
- دولة البرغواطيين من (١٢٣- ٤٥١هـ/٧٤٠- ١٠٦٠م).
- إمامة بني واسول (المدراريين) (١٤٠- ٢٩٧هـ / ٧٥٧- ٩٠٩م).
- الدولة الرستمية الخارجية (١٣٧- ٢٩٧هـ/٧٥٤- ٩٠٩م).

الفصل الأول

دولة بني صالح والبرغواطيين والمدراريين والرستميين

قبل نشوء دولة الرستميين في المغرب الأوسط سنة ١٦١هـ/٧٧٧م كانت هناك دولاً مستقلة وهي:

- دولة بني صالح في نكـور (٩١ – ٤٧١هـ / ٧٠٩ – ١٠٨٠م):

إن بني صالح هم من نسل صالح بن منصور الذي بنى حفيده سعيد مدينة نكور في شمال المغرب الأوسط، وكان يلقب صالح بن منصور بالعبد الصالح، وكان موسى بن نصير قد منحه مدينة نكور إقطاعاً له، وثبت له الإقطاع الوليد بن عبد الملك[1].

وقد اتخذ صالح بن منصور لقب أمير وحكم نحو ثلاثين سنة (٩١-١٢٣هـ/٧٠٩-٧٤٠م) وعلى يديه أسلم بربر نكور وهم صنهاجة وغمارة، ثم ارتد أكثرهم، وقدموا على أنفسهم رجلاً يسمى داوود ويعرف بالرندي (وكان من نفزة)، ثم قتلوا داوود، وأرجعوا صالحاً، فبقي إلى أن مات في منطقة بتمسامان[2].

وقد استمرت هذه الأسرة تحكم هذه الناحية حتى سنة ٤٧٣هـ/١٠٨٠م، عندما استولى يوسف بن تاشفين على نكور وخلع آخر أمراء بني صالح، وقد كانت علاقاتهم

---

(١) مجهول، الاستبصار، ص١٩٧؛ مؤنس، تاريخ المغرب، م١، ص٢٣٧.

(٢) مؤنس، تاريخ المغرب، م١، ص٢٣٧.

جيدة مع الأمويين أصحاب الأندلس، وحتى أن الأدارسة لم يبطشوا بهم نظراً لإخلاص قبائل غمارة لهم[1].

- **دولة برغواطة (١٢٣ – ٤٥١هـ / ٧٤٠ – ١٠٦٠م):**

في سنة ١٢٣-١٢٤هـ كانت ابتداء دولة برغواطة وهي إحدى قبائل البربر الكبيرة، وقد استمرت دولتهم أربعة قرون من ١٢٣هـ - ٤٥١هـ، وقد اختلف الناس في نسب برغواطة فبعضهم يلحقه بزناته، وبعضهم يقول أن متنبئهم صالح بن طريف، أنه يهودي الأصيل من سبط شمعونه بن يعقوب (عليه السلام) نشأ برباط - حصن من عمل شذونه من بلاد الأندلس- ثم رحل إلى المشرق وقرأ وتعلم على يد عبيد الله المعتزلي[2]. وكان يحكمها متنبئها صالح بن طريف البرغواطي، "يقال أنه يهودي الأصل من سبط شمعون بن يعقوب (عليه السلام)، نشأ برباط حصن من بلاد شذونه من بلاد الأندلس، ثم رحل إلى المشرق، وقرأ وتعلم على يدي عبدالله المعتزلي. وقد اشتغل بالسحر وجمع منه فنوناً وقدم المغرب فنزل بلاد تامسنا فوجد فيها قبائل جهالاً من البربر، فأظهر لهم الصلاح والرشد، وخلبهم بلسانه وسحرهم بنير نجاته فصدقوه واتبعوه فادعى النبوة وشرع لهم شرائع ووضع لهم قرآناً. فكان يقال لمن تبعه ودخل في دينه برباطي ثم عربته العرب فقالوا برغواطي فسمّوا برغواطة". ابتداءً من سنة ١٢٥هـ في خلافة هشام بن عبدالملك بن مروان، وكان صالح قد شهد مع أبيه طريف حروب ميسرة المطغري كبير الصفرية، وكان طريف يكنى أبا صبيح، وهو من كبار أصحاب ميسرة المطغري، ويقال إنه ادعى النبوة أيضاً، ثم توفي سنة ١٢٧هـ، وخلفه ابنه صالح[3].

---

(١) المرجع نفسه، م١، ص٢٣٧.

(١) أنظر: الناصري، الاستقصا ج٢ ص١١٤؛ وانظر: مؤنس، تاريخ المغرب، ص٢٢٢.

(٣) الناصري، الاستقصا، ج٢، ص١١٥؛ مؤنس، تاريخ المغرب، ج١، ص٣٧٤.

وكان صالح بن طريف قد خرج إلى المشرق سنة ١٧٤هـ، بعد أن حكم برغواطة سبعاً وأربعين سنة، وقد وعد البرغواطيين أن يرجع إليهم في صورة المهدي المنتظر، أو بدولة السابع من ملوكهم، وكان قد أوصى بشريعته إلى ابنه إلياس بن صالح[1].

وكان صالح بن طريف قد أمر ابنه إلياس ألا يظهر ديانته حتى يظهر أمره، وينتشر خبره، ويقتل من خالفه، وأمره بموالاة أمير المؤمنين في الأندلس[2].

وقد تولى ابنه إلياس الحكم خمسين سنة، حيث كتم شريعته إلى سنة ١٧٣هـ[3]، وكان إلياس يظهر الإسلام، ومتظاهراً بالعفاف والزهد، ولكنه كان يخفي شريعته حسب وصية والده[4].

وبعد إلياس بن صالح بن طريف تولى حكم البرغواطيين يونس بن إلياس، وكان إلياس قد أظهر دينهم ودعا إلى كفر البرغواطيين، وقتل كل من لم يطعه، وحرق مدائن تامسنا، ويقال إنه حرق ثلاثمائة وثمانين مدينة[5].

ثم رحل يونس بن إلياس إلى المشرق، وقام بأداء فريضة الحج، التي لم يفعلها أحد من قبله ولا من بعده، وتوفي سنة ٢٨٦هـ، حيث حكم البرغواطيين مدة أربع وأربعين سنة[6].

وقد تولى الحكم بعد يونس بن إلياس أبو غفير محمد بن معاذ بن إليسع بن صالح بن طريف، حيث استولى على ملك برغواطة، واشتدت شوكته، وتوفي سنة ٣٢٩هـ[7].

---

(١) الناصري، الاستقصا، ج٢، ص١٥؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص٥٧.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج١، ص٥٧.

(٣) ابن عذاري، البيان، ج١، ص٥٧.

(٤) الناصري، الاستقصا، ج٢، ص١٦.

(٥) المصدر نفسه، ج٢، ص١٦.

(٦) المصدر نفسه، ج٢، ص١٦.

(٧) الناصري، الاستقصا، ج٢، ص١٦.

وتولى بعد أبي غفير ابنه أبو الأنصار عبدالله بن أبي غفير، حيث سار على نصيحة والده في المحافظة على ديانة وشريعة برغواطة وتوفي سنة ٣٤١هـ[١].

وتولى الحكم بعده أبو منصور عيسى بن أبي الأنصار، وهو ابن اثنتين وعشرين سنة، فسار على منهج آبائه وادّعى النبوة، واشتد أمره، وعلا سلطانه، ودخلت تحت حكمه وسيطرته قبائل المغرب، وكان جيشه يفوق الثلاثة آلاف من برغواطة، وعشرة آلاف من القبائل الأخرى[٢].

وتوفي أبو منصور عيسى بن أبي الأنصار ٣٦٩هـ على يد بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي الذي زحف إلى المغرب، وأخضع قبائل زناتة الذين هربوا إلى سبتة، إذ قام بقتال برغواطة[٣].

وكانت بداية النهاية للدولة برغواطه على يد زعيم المرابطين عبدالله بن ياسين الجزولي، إذ سار في جيوش المرابطين، وكان أمير برغواطه آنذاك هو أبو حفص عبدالله من ذرية أبي منصور عيسى بن أبي الأنصار عبدالله بن أبي غفير محمد بن معاذ بن اليسع بن صالح بن طريف[٤].

وقد تولى الأمن بعد عبدالله ين ياسين المرابطي أبو بكر بن عمر، حيث جددت له البيعة، وقد زحف إلى البرغواطيين، وصمم على حربهم، وقتل منهم الكثير، وسبى منهم حتى هربوا وتفرقوا في البلاد، وقد أسلم الباقون منهم، وقام أبو بكر بن عمر بمحو دعوتهم من المغرب وجمع غنائمهم، وقسمها بين المرابطين[٥].

(١) الناصري، الاستقصا، ج٢، ص١٧.
(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص١٧.
(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص١٧-١٨.
(٤) الناصري، الاستقصا، ج٢، ص١٨-١٩.
(٥) المصدر نفسه، ج٢، ص١٩.

وكان حدود دولة برغواطة كل ريف تامسنا، ومعظم حوض سبو، وكان أهم فروع برغواطة زواغة، ومطماطة، وبنو يورغ، وبنو معمر، وهذه المجموعة البرغواطية المصمودية كانت منازلها تمتد شمالاً حتى منطقة أحفى[1].

وهكذا نرى أن دولة برغواطة قد قامت ما يقارب أربعة قرون، وتحت أنظار الدولة العباسية، بعيد قيامها سنة ١٣٢هـ وانهيار الدولة الأموية.

ولكن الغالب أن أهل السنة (الدولة العباسية) قد قاموا بتشويه صورة طريف مؤسس دولة برغواطة وأولاده، والمبالغة في تصوير خروجهم عن الإسلام؛ لكي ينفروا الناس منه ومن حركته، ويبعثوا في نفوسهم الحماس لمحاربتهم.

- **إمامة بني واسول (المدراريين) في سجلماسة (١٤٠ – ٢٩٧هـ / ٧٥٧ – ٩٠٩م):**

شهدت افريقية قبل قيام دولة الأغالبة سنة ١٨٤هـ/٧٩٩م وبعده ثورات متعددة، وكان الهدف منها القضاء على السلطة العربية، وقيام دولة البربر المسلمين[2].

فالعرب في المشرق الإسلامي الذين أنفوا حكم الأمويين من خوارج وغيرهم كانوا لا يجدون متنفساً لثورتهم إلا بالالتحاق بالبربر لتنفيذ أهدافهم، وذلك بالانقضاض على السلطة التي تنازعتها العصبيات، لذلك نمت بينهم الدعوة الخارجية صفرية[*]،

(١) مؤنس، تاريخ المغرب، م١، ص٢٧٥.

(٢) أبو العرب، طبقات، ص٧-٨.

(*) الصفرية: هم أتباع زياد بن الأصفر، ويقال هم قوم نهكتهم العبادة فاصفرت وجوههم، ويتصفوا بالاعتدال والمسالمة والبعد عن التطرف في الأحكام، فلم يكفروا القاعدين عن القتال، ولم يسقطوا الرجم ولم يحكموا بقتل أطفال المشركين وتكفيرهم وتخليدهم في النار. لمزيد من التفاصيل، أنظر: أبو زكريا، يحيى بن أبي عمر، سير الأئمة وأخبارهم، تح إسماعيل العربي، بيروت، لبنان، ١٩٨٢م، وسيشار إليه فيما بعد: أبو زكريا، سير؛ ص ٢٥-٢٦؛ الدرجيني، أبا العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشايخ في المغرب، تح إبراهيم كلامي، (د.ط) الجزائر، ١٩٧٤م، وسيشار إليه فيما: طبقات؛ الشماخي، أحمد بن سعيد بن عبد الواحد، كتاب السير، تح أحمد بن سعيد السيابي، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، عُمان، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، وسيشار إليه فيما بعد: الشماخي، السير؛ وانظر: التميمي، أيمن خالد سليمان، السجون في العصر العباسي، (١٣٢-٣٣٤هـ/ ٧٥٠-٩٤٥م)، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: أ.د محمد خريسات، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٩٧م.

وأباضية(*) إلى أن قاموا بتكوين دولة بني زيري في القرن الخامس الهجري، فلقد قام البربر الصفرية بثورة قادها ميسرة المدغري سنة ١٢٢هـ/٧٣٩م للاستقلال عن الحكم الأموي[١].

ومن بعد ميسرة المطغري قام شخص آخر بالثورة واسمه عكاشة الصفري سنة ١٢٤هـ/٧٤١م، لكن ثورته هزمت على يد حنظلة بن صفوان، ثم خرج عبد الرحمن بن حبيب الفهري الذي ادعى الولاية لنفسه، فانضم إلى البربر، إذ تغلبوا على القيروان سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م، واضطر حنظلة إلى الرحيل[٢].

وفي سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م استولى عبد الرحمن بن حبيب الفهري على القيروان[٣] وعندما ولي عبد الرحمن بن حبيب ثار عليه بعض العرب ومن تلك الثورات ثورة عروة بن الوليد الصدفي الذي استولى على تونس وثورة عرب الساحل، وثورة البربر في الجبال، وثورة ثابت الصنهاجي بباجة(*) الذي استولى عليها، وثورة أخرى في طرابلس، الأمر الذي أدى إلى الفوضى، والإرباك، والقلق بين أهل المغرب[٤].

وفي عام ١٣٢هـ/٧٤٨م سقطت الدولة الأموية بمقتل مروان بن محمد، وقامت الدولة العباسية على أنقاضها، إذ أعلن عبد الرحمن بن حبيب الولاء والطاعة للخلافة العباسية، وأقام الدعوة العباسية[٥].

(*) الأباضية: نسبة إلى عبدالله بن إباض. حيث لعب دعاة المذهب الأباضي في عُمان والمغرب دوراً حاسماً في ترسيخ جذور المذهب الأباضي. لمزيد من التفاصيل، أنظر: ابن الصغير، المالكيّ، أخبار الأئمة الرستميين، تح محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦م؛ الدرجيني، طبقات، ج١، ص١٩؛ الشماخي، السير، ص١١٣.

(١) أبو العرب، طبقات، ص ٧-٨.

(٢) أبو العرب، طبقات، ، ص ٧-٨.

(٣) النويريّ، ج٢٤، ص٣٤.

(*) باجة: مدينة في افريقية تعرف بباجة القمح، لكثرة حنطتها، وهي كثيرة الأنهار، وهي على جبل يقال له عين شمس، وفيها عيون الماء العذب ومن تلك العيون عين يقال له عين شمس. لمزيد من التفاصيل أنظر: ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٣١٤، ٣١٦، ٣١٥.

(٤) النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٤-٣٥.

(٥) المصدر نفسه، ج٢٤، ص٣٥.

ولما تولى أبو جعفر المنصور الخلافة بعد أن توفي أبو العباس السفاح سنة ١٣٦هـ/٧٥٢م كتب إلى عبد الرحمن بن حبيب يدعوه إلى الطاعة، إذ أعلن عبد الرحمن ابن حبيب الطاعة والولاء للخلافة العباسية، وأرسل بهدية إلى الخليفة وكتب إليه: (ان افريقية اليوم إسلامية كلها، وقد انقطع السبي منها والمال، فلا تطلب المال مني)[١].

وكان كتاب عبد الرحمن بن حبيب إلى أبي جعفر المنصور قد أغضب الخليفة العباسي المنصور، وكان رد عبد الرحمن بن حبيب أن خطب بالناس في المسجد إذ سبّ أبا جعفر المنصور وقال: (إني ظننت أن هذا الخائن) وفي نهاية الأرب للنويري (الخائر) يدعو إلى الحق والعدل، ويقوم به حتى تبين لي خلاف ذلك من إقامة الحق والعدل.

وقد قام عبد الرحمن بن حبيب بخلع الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور إذ قال في خطبته أمام الناس: (وأنا الآن قد خلعته كما خلعت نعليَّ هاتين) وقذفهما وهو على المنبر، وأمر بخلع أبي جعفر المنصور، وعدم إطاعته، وأمر بتخزيق وخرق سواده، وهو أول سواد ليسى في افريقية)[٢].

وأمر عبد الرحمن بن حبيب كاتبه خالد بن ربيعة أن يكتب كتاباً بخلعه، ويقرأ على المنابر في سائر بلاد المغرب[٣]، وفي سنة ١٣٧هـ/٧٥٣م قتل عبد الرحمن بن حبيب على يد أخيه إلياس بن حبيب حيث استغل إلياس غضب أبي جعفر المنصور، إذ قام بخلع الإمرة من أخيه عبدالرحمن بن حبيب، وعلى الفور وبعد مقتل عبد الرحمن بن حبيب أعاد إلياس بن حبيب الدعوة والطاعة والولاء للخلافة العباسية[٤].

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج١، ص٦٧؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤،ص٣٥.
(٢) ابن عذاري، البيان، ج١، ص٦٧؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١١٩؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٥.
(٣) ابن عذاري، البيان، ج١، ص٦٧؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١١٩؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٥.
(٤) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١١٩؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٥.

وبعد مقتل عبد الرحمن بن حبيب فرّ ابنه حبيب إلى تونس، رغم كل المحاولات للإمساك به، وكان عمّه عمران بن حبيب والياً على تونس من قبل أخيه عبد الرحمن بن حبيب، وحدثت معركة بينهما بعد أن اتفق حبيب بن عبد الرحمن وعمه عمران على محاربة عمه إلياس، وعبد الوارث بن حبيب، واقتتلوا سنة ١٣٧هـ/٧٥٣م وفي سنة ١٣٨هـ/٧٥٤م عقد صلح بينهما على أن يكون لحبيب بن عبد الرحمن مناطق قفصة، ونفزة، وقسطيلية، ويكون لعمران بن حبيب تونس، وصطفورة، والجزيرة، وتكون سائر افريقية لإياس بن حبيب[1].

إلا أن إلياس بن حبيب غدر بأخيه عمران فقتله، وقام باسترجاع تونس، وقيل غرّبه إلى الأندلس، وعاد هو إلى القيروان، فأرسل إلى الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور يعلن له الطاعة والولاء، وبذلك خلص المغرب كله له[2].

إن مقتل عمران بن حبيب أدى إلى استياء وغضب حبيب بن عبد الرحمن ما جعل حبيباً يصمم على مقتل عمه الياس، وفعلاً تم له ذلك سنة ١٣٨هـ/٧٥٤م، إذ كانت ولاية إلياس على افريقية نحو سنة وستة أشهر[3].

وكان اخوة الياس بن حبيب قد لاذوا بقبيلة ورفجومة البربرية (وهم بطن من بطون نفزه)، وهم من غلاة الصفرية، وقد نزلوا في كنف الأمير عاصم بن جميل أمير قبيلة ورفجومة إذ قام بتوفير الحماية، والنصرة لهم[4].

---

(١) الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية، ص١٤٠؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص٦٩؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٢٠؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٧؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص٢٤٨-٢٤٩.

(٢) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٢٠.

(٣) ابن عذاري، البيان، ج١، ص٧٠؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٢١؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٧؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص٢٥١.

(٤) ابن عذاري، البيان، ج١، ص٧٠؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٢١؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٧؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص٢٥١.

ونتيجة لذلك حدثت معركة بين حبيب بن عبد الرحمن وعاصم بن جميل، انهزم على أثرها حبيب[1].

وبعد ذلك، حدثت معركة بين حبيب بن عبد الرحمن ووالي عاصم بن جميل على القيروان عبدالملك بن أبي الجعد اليفرني بعد أن قتل حبيب عاصم، إذ قتل حبيب بن عبد الرحمن سنة ١٤٠هـ/، وقد بلغت ولايته عشرين سنة وبضعة أشهر[2].

وكانت قبيلة ورفجومة البربرية قد سيطرت على افريقية بعد مقتل حبيب وعاصم بن جميل إذ دخلوا القيروان، وقتلوا كل من كان فيها من قريش، وسامت من بقي منهم سوء العذاب، ثم قام بعد ذلك أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمج المعافري، وكان ثائراً من طرابلس وأراد قتال قبيلة ورفجومة إذ انتصر عليهم، ثم رجع إلى القيروان[3].

وقد ولي أبو الخطاب عبدالأعلى بن السمح عبد الرحمن على القيروان، ثم مضى إلى طرابلس، إذ صارت طرابلس وافريقية كلها في يده، إلى أن وجه أبو جعفر المنصور سنة ١٤٤هـ محمد بن الأشعث لمحاربتهم، وتخليص افريقية منهم[4].

ونتيجة لذلك فقد حدثت معركة كبيرة بين أبي الخطاب وأصحابه وقوات محمد بن الأشعث في منطقة تاورغا إلى الشرق من طرابلس ومسراته، وكانت نتيجة المعركة أن قتل أبو الخطاب، وانهزم البربر، وكان ذلك سنة ١٤٤هـ/٧٦٠م[5].

وهكذا أصبحت افريقية والمغرب بعد انقراض دولة بني حبيب الفهري في قبضة وسيطرة الخوارج الأباضية، والصفرية.

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج١، ص٧٠؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٧؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص٢٥١.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج١، ص٧٠؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٧-٣٨؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص٢٥١.

(٣) الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية، ص١٤١؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص٧١؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٨؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص٢٥٣.

(٤) الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية، ص١٤٢؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص٧١؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٩.

(٥) ابن عذاري، البيان، ج١، ص٧٢؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٤٠؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص٢٥٥.

نشأت دولة بني مدرار ملوك سجلماسة في خضم الاضطرابات التي حصلت في المغرب في فترة الحروب بين أبي الخطاب وعبد الملك بن أبي الجعد اليفرني، إذ اجتمعت الخوارج الصفرية من مكناسة في المغرب الأقصى، فنقضوا طاعة العرب، وولّوا عليهم عيسى بن يزيد بن الأسود من موالي العرب ورؤوس الخوارج[١].

وقام الخوارج الصفرية، واختطوا مدينة سجلماسة سنة ١٤٠هـ/٧٥٦م، وقد أصبح عيسى بن يزيد بن الأسود أميراً على الخوارج الصفرية نحو خمسة عشر سنة، وكان له شأن بين الخوارج الذين بنوا مدينة سجلماسة[٢].

وبعد خمس عشرة سنة خلع الصفرية طاعة عيسى بن يزيد، وقتلوه، وبايعوا شخصاً آخر اسمه أبو القاسم سمغون بن سمكو بن واسول بن مصلان المكناسي جد المدراريين[٣].

وكان أبو القاسم سمغون بن سمكو بن واسول أباضياً صفريا، وكان يعلن طاعته وولاءه للدولة العباسية، إذ كان يخطب في عمله لأبي جعفر المنصور والمهدي.

وقد توفي أبو القاسم سمغون بن سمكو سنة ١٦٧هـ/٧٨٣م[٤] وعندما توفي أبو القاسم سمغون بن سمكو ولّي بنو مدرار عليهم ابنه إلياس، وكان يدعى أبا الوزير، ثم خلعوه سنة ١٧٤هـ/٧٩١م[٥]، وبعد خلع إلياس بن أبي القاسم ولوا مكانه أخاه إليسع بن

---

(١) البكريّ، ج١، ص٨٣٥؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٢٤.

(٢) البكريّ، المسالك، ج٢، ص٨٣٥؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص٧١؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٢٤.

(٣) وكان والد أبي القاسم سمكو بن واسول قد أدرك التابعين إذ ارتحل إلى المدينة ليتحقق من طلبة العلم، وأخذ العلم عن عكرمة مولى بن عباس، وكان أباضياً صفرياً. أنظر: البكريّ، المسالك، ج٢، ص٨٣٨؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١٢٤؛ مجهول، الاستبصار، ص٢٠١؛ ابن الأثير، ج٥، ص٣٩.

(٤) البكريّ، المسالك، ج١، ص٨٢٨؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٢٥؛ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد المغربي، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٩٦٥م. وسيشار إليه فيما بعد: ابن خلدون، العبر. العبر، ج٦، ص١٣٠؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص٤١٢.

(٥) البكريّ، المسالك، ج٢، ص٨٣٨؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٢٥؛ ؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص١٣٠؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص٤١٢.

أبي القاسم بسمغون، وكان يكنى بأبي المنصور – وكان صفرياً – وفي عهده استفحل ملك بني مدرار في سجلماسة، وهو الذي بنى سور سجلماسة، واختط بها المصانع والقصور[1].

وكان إليسع بن أبي القاسم جباراً فظاً غليظاً، وقد أخضع إليسع قبائل البربر المجاورة بسجلماسة، وقهرهم، وأخذ خمس معادن منطقة درعه، وقد توفي سنة ٢٠٨هـ/٨٢٣م[2]، ويعتبر إليسع بن أبي القاسم هو المؤسس الحقيقي لدولة المدراريين، وتولى الأمر من بعده ابن مدرار.

ولمدرار ولدان اسم كل واحد منهما ميمون، أحدهما من أروى بنت عبد الرحمن بن رستم وصاحب تاهرت، ومؤسس الدولة الرستمية، والآخر لامرأة بغي، وكان يعرف ـ بالأمير ـ وجرى بينهما صراع وحروب، وقد استمرت الحروب بينهما مدة ثلاث سنوات، وكان أبوهما مدرار قد توفي سنة ٢٥٣هـ/٨٦٧م[3].

وتولى الأمر من بعده الأمير ميمون بن مدرار (بن الرستمية)، وكان أباضياً، ولم يطل عهده فقد توفي سنة ٥٧٠هـ/٨٨٣م[4].

وكان ميمون بن الرستمية قد استبد بالحكم، واساءة السيره في عهد والده، فخلعوه، وأعادوا مدرار للحكم، ثم أراد مدرار باعادة ابن ميمون ابن الرستمية فخلعوه، ونصبوا بعد ذلك ابنه ميمون بن التقيه (البغي)، وكان يعرف بالأمير، إذ ظل قائماً بالإمارة حتى توفي في سنة ٢٦٣هـ/٨٧٦م[5].

وكان سجلماسة في عهد مدرار ذات نماء، وتطور، وازدهار[6].

---

(١) البكريّ، المسالك، ج٢، ص٨٣٨؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٢٥؛ ولنظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص٤١٢.

(٢) البكريّ، المسالك، ج٢، ص٨٣٨؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص١٥٧؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٢٥.

(٣) البكريّ، المسالك، ج٢، ص٨٣٩؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٢٥.

(٤) البكريّ، المسالك، ج٢، ص٨٣٩؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٢٥.

(٥) البكريّ، المسالك، ج٢، ص٨٣٩؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٢٥.

(٦) ابن عذاري، البيان، ج١، ص١٥٧.

وقد تولى الأمر من بعد ميمون بن مدرار، محمد بن ميمون بن مدرار وكان أباضياً، ولم يطل عهده، إذ توفي سنة ٢٧٠هـ[١].

وتولى الأمر بعده عمه إليسع بن مدرار سنة ٥٧٠هـ، الذي تلقب بالمنتصر، وهو الذي سجن عبيد الله المهديّ بسجلماسة وابنه أبا القاسم، عندما عرف عنه أنه هو الذي قام بدعوة الفاطميين، إلى أن زحف اليه أبو عبدالله الشيعيّ، وتغلب عليه، وقتله، ودخل سجلماسة سنة ٢٩٦هـ، وخلص المهديّ وابنه أبا القاسم، وأقام على سجلماسة إبراهيم بن غالب المزابي من رجال كتامة[٢].

وكان الخليفة المعتضد بالله العباسي[*] قد أوعز إلى إليسع بن مدرار هذا بالقبض على عبيد الله المهدي وابنه، فبحث عنهما، وأودعهما السجن إلى أن أطلق سراحهما كما ذكرنا أبو عبدالله الشيعيّ سنة ٢٩٦هـ، حيث قبض على إليسع بن مدرار، وقتله[٣].

وقد بايع أهل سجلماسة من بعده الفتح بن ميمون الأمير - وكان أباضياً - وكان يلقب بالرسول وذلك سنة ٢٩٨هـ، وظل الفتح يقوم بأمر سجلماسة إلى أن توفي في رجب سنة ٣٠٠هـ[٤].

---

(١) البكريّ، المسالك، ج٢، ص٨٣٩؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص١٥٧؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٢٥.

(٢) البكريّ، المسالك، ج٢، ص٨٣٩؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص١٥٧؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٢٥؛ عماد الدين إدريس، ابن الحسن بن عبدالله الأنف، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، تح محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥م، ص١٥٢-١٥٣. وسيشار إليه فيما بعد: عماد الدين إدريس، تاريخ الخلفاء.

(*) المعتضد بالله: أحمد أبو العباس ابن ولي العهد الموفق طلحة بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد، ولد في ذي القعدة سنة ٢٤٢هـ وقيل ٢٤٣هـ وأمه اسمها صواب وقيل حرز وقيل ضرار، بويع له بالخلافة في رجب سنة ٢٧٩هـ بعد عمه المعتمد، كان شجاعاً مهيباً، وافر العقل، وأيامه أيام أمن ورخاء لقب بالسفاح الثاني. أنظر: السيوطي، الحافظ جلال الدين، عبد الرحمن، تقديم عبدالله مسعود، دار القلم، حلب ١٩٩١م، ص ٣٤١-٣٤٢.

(٣) البكريّ، المسالك، ج٢، ص٨٣٩؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص١٥٧؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٢٦.

(٤) البكريّ، المسالك، ج٢، ص٨٣٩؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٢٦.

وانتقل حكم دولة المدراريين من بعده لأخيه أحمد بن ميمون الأمير، وبقي يحكم حتى زحف مصالة بن حبوس الكتامي قائد الشيعة العبيديين حتى حاصر سجلماسة، وافتتحها عنوة سنة ٣٠٩هـ[١].

وقد ولّي مصالة بن حباسة أمر سجلماسة إلى المعتز بن محمد بن سارو بن مدرار حتى توفي سنة ٣٣١هـ[٢].

وتولى أمر سجلماسة بعد المعتز ابنه أبو المنتصر سمغو بن محمد وكان مدة ولايته ثلاث عشر سنة إلى أن قام ابن عمه محمد بن الفتح بن الأمير بمحاربته، وانتصر عليه، وأخرجه من سجلماسه[٣].

وكان محمد بن الفتح (الشاكر لله) سنياً على المذهب المالكيّ، حسن السيرة، عادلاً، وكان قد سك على الدراهم اسمه، وسميت بالدراهم الشاكرية، وقد تسمى بأمير المؤمنين سنة ٣٤٢هـ، إذ خرج من سجلماسة بعد أن اقتربت جيوش أبي تميم معد مع جوهر الكاتب ـ قائد المعز الفاطميّ ـ في جموع صنهاجة وكتامه إلى المغرب الأقصى سنة ٣٤٧هـ، فسيطر على سجلماسة، وفر محمد بن الفتح إلى حصن تسكرات (على بعد اثني عشر ميلاً من سجلماسة)[٤].

وقد قبض على محمد بن الفتح بينما كان يحاول دخول سجلماسة متخفياً، وقد أسر، وأخذ إلى الخليفة العباسي المهدي وتوفي سنة ٣٥٤هـ/٩٦٥م في سجن رقادة[٥].

---

(١) البكريّ، المسالك، ج٢، ص٨٣٩؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٢٦.

(٢) البكريّ، المسالك، ج٢، ص٨٣٩؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٢٦.

(٣) البكريّ، المسالك، ج٢، ص٨٣٩؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٢٦.

(٤) البكريّ، المسالك، ج٢، ص٨٤٠؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٢٦.

(٥) البكريّ، المسالك، ج٢، ص٨٤٠؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٢٦.

وقد انقرضت دولة بني مدرار سنة ٣٦٦هـ، عندما قتل أبو محمد المعتز على يد حزرون بن فلول الزناتي، إذ استولى على سجلماسة[1].

وهكذا طويت صفحة التاريخ السياسي لمدينة سجلماسة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي.

*** المبادئ التي نادوا بها:**

ينتسب الصفرية إلى زياد بن الأصفر أحد قادة الخوارج في المشرق _ وقد سمّوا بهذا الإسم لأنهم قوم أنهكتهم العبادة فاصفرّت وجوههم _ ويقفون موقفاً متوسطاً بين الأزارقة وهم غلاة الخوارج الذي كفّروا ما سواهم من المسلمين، والأباضية الذين لم يكفروا ما سواهم من المسلمين[2].

ويذهب الخوارج الصفرية إلى عدم تكفير القاعدين عن القتال، ويفرقون بين الكبائر التي تؤدي بعضها إلى الكفر[3].

والصفرية أكثر فرق الخوارج تسامحاً واعتدالاً مع مخالفيهم لمذهبهم إذا ما قورنوا بفرق الأزارقة في المشرق وفرقة الحرورية، فالصفرية والأباضية لا يرون إباحة دماء المسلمين ولا يرون جواز سبي النساء والذرية، بل لا يرون قتال أحد سوى جيش السلطان[4].

والإمامة عندهم حق لأي مسلم أهل لها، عربياً كان أم غير عربي[5].

---

(١) الناصري، الاستقصا، ج١، ص١٢٧.

(٢) المبرد، الإمام أبي العباس، أخبار الخوارج (من كتاب الكامل في اللغة والأدب والنحو والتصريف) دار الفكر، بيروت، (د.ت)، ص٧٨. وسيشار إليه فيما بعد: المبرد، أخبار الخوارج.

(٣) المصدر نفسه، ص٧٨.

(٤) العبادي، أحمد مختار، في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت)، ص٢٢٧.

(٥) كحيلة، ص٦٠.

* **موقف الدولة العباسية من المدراريين:**

قامت دولة بني مدرار رسمياً سنة ١٤٠هـ/٧٥٧م عندما اختطوا مدينة سجلماسة العاصمة السياسية لدولتهم، إذ كانت هذه المدينة إذ ذاك تحت ظل الخلافة العباسية وقد أسسها أبو القاسم سمغون بن سمكو بن واسول المكناسي الزناتي حتى يكون مركزاً لإمامته[١].

إن صفرية مكناسة عندما بايعوا عيسى بن يزيد الأسود من موالي العرب أقاموه أميراً عليهم لمدة خمس عشرة سنة، ثم خلعوه، وولوا عليهم أبا القاسم سمغون بن سمكو بن واسول، وكان سمغون بن سمكو على ولاء وطاعة للدولة العباسية، حيث كان يخطب للخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، ثم لابنه المهدي[٢].

ومن بعد أبي القاسم سمغو بن سمكو تولى الإمامة ابنه ابن الياس بن أبي القاسم (الملقب بأبي الوزير) الذي سار على خطا والده في الدعوة والولاء والطاعة للخلافة العباسية[٣].

وفي سنة ١٧٤هـ خلع إلياس بن أبي القاسم، وتولى أخوه إليسع وكنيته (أبو منصور) ـ وكان صفرياً ـ في عهده استفحل سلطان بني مدرار في سجلماسة، وكان أبو منصور موالياً وكاتباً للخلافة العباسية كأسلافه[٤].

وفي سنة ٢٠٨هـ تولى الحكم ابن الياس واسمه مدرار، ولقبه (أبو المنتصر)، وكان مدرار على علاقة بالدولة الرستمية[٥].

---

(١) البكري، المسالك، ج٢، ص٨٣٧؛ مجهول، الاستبصار، ص٢٠١؛ الناصري، الاستقصا، ج١، ص١٢٤.

(٢) البكري، المسالك، ج٢، ص٨٣٧؛ مجهول، الاستبصار، ص٢٠١؛ الناصري، الاستقصا، ج١، ص١٢٤.

(٣) البكري، المسالك، ج٢، ص٨٣٨؛ الناصري، الاستقصا، ج١، ص١٢٥.

(٤) الناصري، الاستقصا، ج١، ص١٥٥.

(٥) البكري، المسالك، ج٢، ص٨٣٨؛ الناصري، الاستقصا، ج١، ص١٢٥.

والمعلوم لدينا أن الدولة الرستمية كانت على عداء دائم مع الدولة العباسية مذهبياً وسياسياً.

وكانت الدولة العباسية تقف موقف المتفرج، عندما حصل صراع بين أبناء مدرار ميمون ابن أروى الرستمية وميمون بن التقية (البغي)، الملقب بالأمير إذ دام هذا الصراع ثلاث سنوات، اعتنق أهل مواطن سجلماسة من مكناسة الإسلام على المذهب الصفريّ، ثم انتزوا مع المنتزين على الدولة الأموية على إثر قيام ميسرة المدغري بفتنة، وكان من زعماء الصفرية في هذه النواحي عيسى ابن يزيد الأسود المكناسي الصفريّ، وكان صاحب ماشية في جنوب بلاد المغرب، وكان يقيم بها في أرض سجلماسة ويتردد عليها[(١)].

وكان عيسى قد نزل في أرض سجلماسة سنة ١٣٨هـ، بخيامه وماله، واجتمعت الناس حوله من قبائل زناتة، وكان عددهم يزيد على أربعة آلاف حيث سكنوا معه[(٢)].

وكان كبير قبائل زناتة أبو القاسم سمغون بن واسول المكناسي الزناتي قد بايع عيسى بن يزيد[(٣)].

وكان كبير قبائل زناتة، ويبدوا أن ذلك كان رائقاً للدولة العباسية خاصة وأن ميمون بن مدرار ابن الرستمية كان أخواله من بني رستم الذين كانوا على عداء مذهبي وسياسي مع الدولة العباسية[(٤)].

---

(١) ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبدالله محمد التلمساني الغرناطي، أعمال الأعلام (تاريخ المغرب العربي)، تح: مصطفى أبو ضيف أحمد، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٨٥م، ص١٣٨-١٣٩. وسيشار إليه فيما بعد: ابن الخطيب أعمال الأعلا (تاريخ المغرب)؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص٥٨٣.

(٢) ابن الخطيب، أعمال الأعلام (تاريخ المغرب)، ص١٣٨-١٣٩؛ ابن خلدون، العبر ج٦، ص١٣٠؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص٥٨٣.

(٣) ابن الخطيب، أعمال الأعلام (تاريخ المغرب)، ص١٣٩؛ ابن خلدون، العبر ج٦، ص١٣٠؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص٥٨٣.

(٤) البكريّ، المسالك، ج٢، ص٨٣٨؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٢٥؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص١٣١؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١٤٣.

وكان الخليفة العباسي المعتضد بالله قد أوعز إلى إليسع بن محمد (المنتصر) هذا بالقبض على عبدالله المهدي وابنه أبي القاسم مؤسسي الدعوة الشيعيّة في المغرب وقد بحث عنهما إليسع، وقبض عليهما، وأودعهما السجن، وذلك سنة ٢٩٦هـ[١].

وعندما نزل عبدالله المهدي سجلماسة تحدث الناس أن هذا الرجل له شأن من الشأن، ووقع له في قلب كل من رآه الهيبة والجلالة، وقيل لليسع بن المنتصر بن مدرار: (أنه قد دخل بلدك رجل جليل من كبار تجار الشرق)، ووصف له، ولهج الناس بذكره، وقد أكرمه إليسع بن مدرار، وكان عبيدالله المهدي قد أخبر إليسع بنسبه، وقال: (أنا من أولاد الحسن بن علي)، وكتم أمره[٢].

وأقام عبيدالله في سجلماسة وكتب دعاته تصل إليه، وأبو عبدالله الشيعيّ يعلمه بما يهيئ الله إليه من النصر على الأعداء (العباسيين) وعلو الأمر للأولياء، وعندما فضح أمره وعلم الخليفة العباسي بذلك أوعز إلى إليسع بإيداعه السجن وابنه أبي القاسم[٣].

من ذلك نرى أن الدولة العباسية كانت على اتصال دائم بالدولة المدرارية الذين كانوا يقدمون الولاء والطاعة للدولة العباسية، وبذلك فرضت الدولة العباسية ودولة الأغالبة بما قام به إليسع بن مدرار.

وعندما سمع أبو عبدالله الشيعيّ بما فعله إليسع بن مدرار بالمهدي وابنه أرسل إليه رسلاً منهم محمد بن حي اليشكري، ويعلى بن باطيط الرماني، إلا أن إليسع قد أمر بحبسهما، وقرر أبو عبدالله الشيعيّ بتعبئة عساكره لفك أسر المأسورين، وكان إليسع بن مدرار قد هرب ودخل أبو عبدالله الشيعيّ مدينة سجلماسة، وحرر المأسورين وعلى رأسهم عبدالله المهدي[٤].

---

(١) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٥٥-١٥٦؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١٤٥.

(٢) عماد الدين إدريس، تاريخ الخلفاء، ص١٥٣.

(٣) المصدر نفسه، ص١٥٣-١٥٤؛ عب، محمود قاسم، الحياة الفكرية في عهد الأغالبة (١٨٤-٢٩٦هـ/ ٨٠٠-٩٠٩م)، رسالة ماجستير، إشراف أ.د عبد الواحد ذنون طه، جامعة الموصل، العراق، ١٩٨٩م، ص١٠٩.

(٤) مجهول، الاستبصار، ص٢٠٤؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٢٦؛ عماد الدين إدريس، تاريخ الخلفاء، ص١٥٩.

وبايع أهل سجلماسة بعد إليسع الفتح بن ميمون الأمير، وكان أباضياً، فتوفي سنة ٣٠٠هـ وولي أخوه أحمد بن ميمون الأمير، واستقام أمره إلى أن زحف إليه مصالة بن حبوس -قائد الشيعة العبيديين- في جموع من أهل كتامة البربر سنة ٣٠٩هـ، ودخل مصالة سجلماسة وقبض على أحمد بن ميمون الأمير(١).

وقد دعا المعتز بن محمد بن ساور بن مدرار الذي جاء بعد أحمد بن الأمير ميمون بن مدرار للشيعة الذين كانوا على عداوة متواصلة مع الدولة العباسية حتى سنة ٣٢١هـ، وولى ابنه محمد بن المعتز، ثم جاء بعده المنتصر سمكو(٢).

وولي محمد بن المعتز سجلماسة بعد أبيه، حيث أيّده عبيدالله الشيعيّ، وبقي على سجلماسة حتى توفي سنة ٣٢١هـ، وولي بعده أخوه سمغون الملقب بالمنتصر(٣).

وكان المنتصر صغيراً لا يتجاوز من العمر ثلاث عشرة سنة، إذ ثار عليه ابن عمه محمد بن الفتح بن ميمون بن مدرار في سنة ٣٣٢هـ وقام بإخراج المنتصر من سجلماسة، وقطع الدعوة عند الخلفاء الفاطميين، ودعا إلى نفسه(٤).

وكانت وفاة محمد بن الفتح سنة ٣٥٤هـ، إذ غدر به قوم من مطغرة(*)، حيث كان يحسس الأخبار، وقبض عليه، وأحضره إلى جوهر الصقليّ الذي حبسه، وحمله إلى القيروان، وقد حكم احدى عشرة سنة، وبعدها انتهت الدولة المدرارية(٥).

وثار على المنتصر محمد بن الفتح بن ميمون الأمير الذي رفض المذهب الخارجي، ونادى بالدعوة العباسية، وأخذ بمذهب أهل السنة على المذهب المالي وقد تلقب بالشاكر بالله كما ذكرنا سابقاً(٦).

---

(١) البكريّ، المسالك، ج٢، ص٨٣٩؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٢٦.

(٢) البكريّ، المسالك، ج٢، ص٨٤٠؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٢٦.

(٣) ابن الخطيب، أعمال الأعلام (تاريخ المغرب)، ص١٤٧؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص٥٨٩.

(٤) ابن الخطيب، أعمال الأعلام (تاريخ المغرب)، ص١٤٧؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص٥٨٩.

(٥) ابن الخطيب، أعمال الأعلام (تاريخ المغرب)، ص١٤٩؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص٥٨٩.

(٦) البكريّ، المسالك، ج٢، ص٨٤٠؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٢٦.

وفي سنة ٣٤٧هـ فرّ محمد بن الفتح من سجلماسة بعد أن زحف عليه جوهر الكاتب قائد المعز العبيديّ والذي دخل سجلماسة[١].

وكانت دولة بني مدرار قد عاصرت الدولة الأغلبية في فترة حكمها، وعلى الرغم مما كان بينهما من العداء السياسي والمذهبي، فإنه لم يحدث بينهما أي تصادم عسكري لوجود دولة حاجزة بينهما وهي دولة بنو رستم في تاهرت[٢]، وذلك بعد مائة وستين سنة[٣].

وهكذا فإننا نرى أن دولة بني مدرار قد وقفت موقفاً وسطاً بين القوى المتصارعة بالمغرب وهي الدولة الرستمية، ودولة الأغالبة، ودولة الأدارسة، ولم تتخذ دولة بني مدرار موقفاً عدائياً من الدولة العباسية، بل اعترف (المدراريون) بسلطان الخلافة، وعملوا على مداراة الأغالبة، وتوثيق صلتهم بالرستميين على الرغم من الاختلافات المذهبية بينهم.

ولم تنجح (سجلماسة) رغم وقوعها اعتصامها بصحراء المغرب الجنوبية وموازانة سياستها مع بنو رستم والأغالبة في النجاة مما آلت إليه على أيدي الفاطميين.

- **الدولة الرستمية الخارجية (١٦١-٢٩٦هـ/٧٧٧-٩٠٨م):**

*** الأسباب التي أدّت إلى قيام الدولة الرستميَّة ١٦١هـ/٧٧٧م**

في سنة ١٤٠هـ/٧٥٧م سيطرت على افريقية بعض القبائل الصفرية، وذلك بعد قتل حبيب بن عبد الرحمن الفهري (والي افريقية/تونس) على يدي عاصم بن جميل أمير قبيلة ورفجومة، وكان كاهناً يدعي النبوة، ومقتل عاصم على يدي عبد الملك بن أبي الجعد اليفرني سنة ١٤٠هـ/٧٥٧م[٤].

---

(١) البكريّ، المسالك، ج٢، ص٨٤٠؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٢٦.

(٢) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٢٦.

(٣) ابن الأبار، أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي، الحلة السيراء، تح: د. حسن مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م، ج١، ص١٩٢، وسيشار إليه فيما بعد: ابن الأبار الحلة السيراء، الحلة السيراء، ج١، ص١٩٢.

(٤) ابن عذاري، البيان، ج١، ص٧٠؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٢٢؛ النويريّ، نهايةالأرب، ج٢٤، ص٣٨.

وكانت قبيلة ورفجومة قد عانت في افريقية الفساد إذ ظلموا، وأفسدوا، وسفكوا الدماء وهتك الحرمات، الأمر الذي جعل الكثير من سكان افريقية يفرون إلى طرابلس بعد أن ساموا أهلها سوء العذاب[1].

ثم قام أحد الأباضية ويدعى أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري وكان أحد ثوار طرابلس إذ استولى عليها، وأراد التوجه إلى القيروان لقتال ورفجومة، إذ خرج له عبد الملك بن أبي جعدة بجموع ورفجومة، وحصل بينهم قتال، وذلك في شهر صفر سنة ١٤١هـ/٧٥٨م وكانت نتيجة القتال أن هزمت ورفجومة[2].

وكان عبد الأعلى بن السمح قد ولى على القيروان عبد الرحمن بن رستم[3]، وتوجه عبد الأعلى بن السمح إلى طرابلس[4].

ولما سيطرت الصفرية من الخوارج على افريقية بعد أن قتلت ورفجومة من قتلت من عربها، خرج جماعة من عرب القيروان، منهم عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، ونافع بن عبد الرحمن السلمي، وأبو البهلول بن عبيدة وغيرهم إلى أبي جعفر المنصور يستنجدونه، ويستنصرونه على البربر، وأفعالهم الشنيعة، فقام أبو جعفر المنصور بتولية محمد بن الأشعث مصر، وأبي الأحوص عمرو بن الأحوص افريقية (تونس)[5].

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج١، ص٧٠؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٢٣؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٨.

(٢) أبو زكريا، السير، ص٦٩؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص٧٠-٧١؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٢٣؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٨.

(٣) أبو زكريا، السير، ص ٦٩؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص٧٠-٧١؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٢٣؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٨.

(٤) أبو زكريا، السير، ص٦٩؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص٧١؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٢٤؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٩.

(٥) أبو زكريا، السير، ص٧١-٧٢؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص٧١؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٢٧؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٩.

وحدث تصادم وقتال بين جيش أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري وجيش أبو الأحوص العجلي الذي أقبل ومعه جيش من العباسيين، والتقوا بمنطقة مقداس على شاطئ البحر المتوسط، وكانت نتيجة المعركة أن انهزم أبو الأحوص وجيشه في هذه المعركة، وعاد أبو الخطاب إلى طرابلس[1].

وحصلت معركة أخرى بين جيوش محمد بن الأشعث الذي أمره أبو جعفر المنصور بالمسير لمحاربة وقتال أبي خطاب، وكان أبو جعفر المنصور قد أوعز إلى الأغلب بن سالم التميمي والمحارب بن هلال الفارسي والمخارق بن غفار الطائي وأمرهم بالتوجه لقتال أبي الخطاب، وكان عدد جيش ابن الأشعث أربعين ألفاً[2].

وكان أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح قد جمع ما يقارب سبعين ألفاً، واستقدم أبو الخطاب عبد الرحمن بن رستم من القيروان، وقدم عبد الرحمن بن رستم ومعه جيش كبير[3].

والتقى الجيشان وحدثت معركة سرت(*)، وقد قتل ابن الأشعث أبو الخطاب في هذه المعركة[4].

وعلم عبد الرحمن بن رستم بخبر مقتل أبي الخطاب، فولى هارباً إلى تاهرت هو وأهله وولده عبد الوهاب، وكان أباضية تاهرت (المغرب الأوسط) قد بايعوه بالإمامة، وقد شرع عبد الرحمن بن رستم ببناء مدينة تاهرت[5].

---

(١) أبو زكريا، السير، ص ٧٢-٧٣؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص٧١؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٢٧؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٩.

(٢) أبو زكريا، السير، ص٧١-٧٣؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص٧١؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٢٧؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٩.

(٣) أبو زكريا، السير، ص٧٣؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص٧١؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٢٧؛ النويريّ، نهاية الأرب ج٢٤، ص٣٩.

(*) سرت: مدينة على ساحل البحر المتوسط بين برقة وطرابلس الغرب، أنظر: ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٢٠٦.

(٤) أبو زكريا، السير، ص٧٤؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص٧٢؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٢٨؛ النويريّ، نهاية الأرب ج٢٤، ص٤٠.

(٥) أبو زكريا، السير، ص٧٥؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص٧٢؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٢٨؛ النويريّ، نهاية الأرب ج٢٤، ص٤٠.

وكان محمد بن الأشعث قد هزم من تبقى من فلول جيش أبي الخطاب الذين كانوا بقيادة أبي هريرة الزناتي إذ كان عددهم ستة عشر ألفاً[1].

وفي سنة ١٤٥هـ اشتغل محمد بن الأشعث ببناء سور مدينة القيروان، وكان قد بعث إلى زويلة ودان ففتحها، وقتل من بهما من الأباضية وعلى رأسهم عبدالله بن حيان الأباضي الذي كان على راس زويله، وهدأت أحوال افريقية في هذه السنة[2].

وفي هذه السنة ١٤٥هـ، تولى أمر طرابلس أبي حاتم يعقوب بن لبيد الملزوزي، وكان يرسل الصدقات والأموال التي يجمعها للإمام عبد الرحمن بن رستم[3].

وفي سنة ١٥١هـ ولي أبو جعفر المنصور عمر بن حفص هزارمرد على افريقية عندما قتل الأغلب بن سالم سنة ١٥١هـ[4].

وكان أبو حاتم قد توجه إلى القيروان لحصارها والسيطرة عليها وقد حاصرها ثمانية أشهر فقاتله عمر بن حفص بمن معه أشد قتال، إذ حاصرهم حصاراً اقتصادياً، وطال الحصار ثم بلغه أن أبا جعفر المنصور قد وجه حملة لإنقاذه وهي حملة يزيد بن حاتم المهلبي، وخرج عمر بن حفص، فقاتل حتى قتل سنة ١٥٤هـ[5].

ومجمل القول، إنه في سنة ١٥٥هـ، حدثت معركة في طرابلس بين قوات أبي حاتم الملزوزي ويزيد بن حاتم، انهزم على إثرها البربر، وقتل أبو حاتم ثائراً لعمر بن حفص الذي قتل[6].

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج١، ص٧٢.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج١، ص٧٣؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٢٨؛ النويريّ، نهاية الأرب ج٢٤، ص٤٠.

(٣) أبو زكريا، السير، ص٧٨؛ الدرجيني، طبقات، ج١، ص٣٨؛ وانظر: وانظر: إسماعيل، محمود، الخوارج في المغرب الإسلامي، دار صادر، بيروت، ١٩٧٦م، ص٦٦.

(٤) ابن عذاري، البيان، ج١، ص٧٥؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٣٠؛ النويريّ، نهاية الأرب ج٢٤، ص٤٢.

(٥) أبو زكريا، السير، ص٨٢-٨٣؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص٧٥-٧٦؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٣١.

(٦) أبو زكريا، السير، ص٨٣-٨٤؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص٧٨؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٣٢؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٤٦.

وكان عبد الرحمن بن حبيب بن عبد الرحمن الفهري مع أبي حاتم، فلحق بكتامة، فبعث يزيد يطلب المخارق بن غفار فحاصره ثمانية أشهر ثم انتصر، فقتل جماعة ممن معه، وهرب الباقون، ونجا هو حيث هرب إلى الأندلس[1].

وكانت حروب الخوارج مع العرب منذ مقتل عمر بن حفص إلى انتهائها عام ٣٧٥هـ حروباً شرسة[2].

وفي سنة ١٥٧هـ ولت قبيلة ورفجومة عليهم رجلاً يقال له أبو زرجونه، فبعث إليهم يزيد بن حاتم رجل يقال له يزيد بن مجزأة فهزموه، فتوجه إليهم ابن المهلب ـ وكان والياً على منطقتي الزاب وطبنة ـ وأذن له والده بالزحف إلى ورفجومه، وذهب معه العلاء بن سعيد بن ودان المهلبي فأوقع بهم، وقتلهم، وانتصر عليهم[3].

ولم يزل أمر الخوارج بالمغرب ـ أيام يزيد بن حاتم ـ في تناقض، وفوضى إلى أن اضمحلت دياناتهم وافترقت جماعتهم[4].

وفي سنة ١٦٠هـ/٧٧٦م استطاع عبد الرحمن بن رستم، وبكل جدارة من تأسيس دولة بني رستم بن بهرام (الدولة الرستمية) وعاصمتها تاهرت[5].

وقد اختلفت الروايات في أصل بهرام، فالبكري يقول: (أنه بهرام بن ذي شرار بن سابور بن بايكان بن سابور بن ذي الاكتاف الملك الفارسي)[6].

---

(١) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٣٢.

(٢) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٣٢.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص١٣٢-١٣٣.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص١٣٢-١٣٣.

(٥) أبو زكريا، سير، ص٨٥-٨٦؛ الدرجيني، طبقات، ج١، ص١١؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص١٧٢؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٩٢-١٩٣؛ وانظر: دبوز، محمد علي، تاريخ المغرب الكبير، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٦٣م، ج٣، ص٢٥١.

(٦) البكريّ، أبو عبيد الله عبدالله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو البكريّ، المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب، تح عبد الرحمن الحجي، دار الإرشاد، بيروت، ١٩٦٥م، ص٦٧. وسيشار إليه فيما بعد: البكريّ، المغرب؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص١٦٢.

ويقول ابن خلدون: (أنَّ بهرام هو من ولد رستم أمير الفرس بالقادسية)[1]، أمَّا ابن عذاري فيقول عن بهرام: (وكان مولىً لعثمان بن عفان)[2].

أمَّا عن قدومه إلى افريقية فتقول رواية الشماخي أنَّ أباه رستم رحل إلى مكة وبرفقته زوجته وابنه عبد الرحمن لأداء فريضة الحج واقترنت امرأته برجل من أهل القيروان حيث صحبها وابنها عبد الرحمن معه عند عودته إلى بلده[3].

ويعدّ عبد الرحمن بن رستم من حملة العلم الخمسة، أحدهم أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، وعاصم السدراتي، واسماعيل بن درار الغدماسي، وأبو داؤود القبلي، ونشأ عبد الرحمن بالقيروان، فلما بلغ مبلغ الرجال وتعلم نظر إليه رجل من أهل الدعوة، وقال له: (يا فتى إن كنت طالباً ما أراك تطلبه فاقصد إلى أبي عبيد مسلم ابن أبي كريمة التميمي تجد عنده ما رجوت)[4]. وقد أخذ عبد الرحمن بن رستم علمه عن أبي عبيدة بن مسلم التميمي[5].

خرج عبد الرحمن بن رستم من العراق في اتجاه المغرب، رغم أن موطنه كان في الحجاز[6]، وتتفق المصادر الأباضية حول الرواية التي تقول أنَّ أمّ عبد الرحمن لمّا توفي زوجها تزوجت حاجاً مغربياً من القيروان، فأخذ الأم وابنها إلى القيروان[7].

---

(١) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص١٢١؛ وانظر: نيلة، محاضرات، ص٢٥٠.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج١، ص١٩٦؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٨.

(٣) الشماخي، ج١، ص١٢٢.

(٤) أبو زكريا، سير، ص٥٨-٥٩.

(٥) المصدر نفسه، ص٥٨-٥٩.

(٦) أبو زكريا، سير، ص٤٠.

(٧) المصدر نفسه، ص٣٥؛ الدرجيني، طبقات، ص١٢٣.

نشأ عبد الرحمن بن رستم مؤسِّس الدولة الرستمية وترعرع وأخذ نصيباً من العلم في القيروان المدينة العربية الأولى في المغرب، ولا شكَّ في أنَّ عبد الرحمن وصل إلى هذه المنطقة أواخر القرن الأول الهجري وبداية القرن الثاني الهجري[1].

ويروي الدرجيني لنا اتصال ابن رستم وهو في مقتبل الشباب بسلمة بن سعيد الداعية الأباضي، وتعلقه بتعاليمه، ويقول عن الإمام أفلح عن أبيه عبد الوهاب عن جدّه عبد الرحمن، أنه قال: (أول من جاء يطلب مذهب الأباضية ونحن بقيروان افريقية سلامة بن سعد قال: قَدِم علينا من أرض البصرة... فسمعتُ سلمة يقول: وَدَدْتُ أن نظهر هذا الأمر... يوماً واحداً من أول النهار إلى آخره، فلا آسف على الحياة بعده، فقام عبد الرحمن مجتهداً في ذلك الأمر)[2].

وقد ظلَّ عبد الرحمن بن رستم بالقيروان إلى قدوم محمد بن الأشعث الخزاعي بقواته إذ فرَّ منها إلى المغرب الأوسط سنة ١٤٤هـ/٧٦١م، وكان في ذلك أولى خطوات تأسيس الدولة الرستمية الأباضية[3].

ومهما يكن من أمر فإن عبد الرحمن بن رستم استطاع ويكل جدارة تأسيس دولة بني رستم (الدولة الرستمية) الأباضية وذلك سنة ١٦٠هـ/٧٧٦م في عاصمته تاهرت[4].

---

(١) إسماعيل،الخوارج، ص١٤٥؛ بحاز، إبراهيم بكير، الدولة الرستمية (دراسة الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية)، (د.مط)، بيروت، ط١، ١٩٨٥م، ص٩٤.

(٢) الدرجيني، طبقات، ج١، ص١١-١٢؛ الشماخي، سير، ص١٢٣؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص٣٧٤.

(٣) أبو زكريا، سير، ص٤٦؛ الدرجيني، طبقات، ج١، ص٣٥.

(٤) أبو زكريا، سير، ص٨٥-٨٦؛ الدرجيني، طبقات، ج١، ص١٩-٢٠ وما بعدها؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص١٧٢؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٩٢-١٩٣؛ وانظر: دبوز، تاريخ المغرب، ج٣، ص٢٥١، ٢٩٥، ٣٠٦ وما بعدها؛ الباروني، سليمان، مختصر تاريخ الأباضية،(د.مط)، تونس، ١٩٩٠م، ص٣٠. وسيشار إليه فيما بعد: الباروني، مختصر؛ معمر، علي يحيى، الأباضية في موكب التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦م، ص٢٢؛ إسماعيل، الخوارج، ص١٠٣؛ السامرائي، خليل إبراهيم، إمامة الدفاع الثانية عند خوارج المغرب العربي، مجلة التربية والتعليم، ع٤، بغداد، ١٩٨١م، ص٩٧-٩٨.

وكان عبدالرحمن بن رستم قد اختطَّ مدينة تاهرت سنة ١٤٤هـ بعد فراره من القيروان[1].

وبقي عبد الرحمن بن رستم بالقيروان إلى أن قدم محمد بن الأشعث بالقوات العباسية فخرج لنداء أبي الخطاب، ولكنه عاد من قابس عندما رأى هزيمة الأباضية قبل أن يفر من القيروان خفية نحو المغرب الأوسط سنة ١٤٤هـ/٧٦١م، ورغم ما تقوله بعض الروايات من أن ابن رستم بنى مدينة تاهرت عقب فراره سنة ١٤٤هـ أو بعدها بقليل، فالأقرب إلى الصحة أن ابن رستم لم يفكر في ربط مصيره واتباعه بالمغرب الأوسط إلا بعد أن فشلت محاولاته في العودة من جديد إلى افريقية، وبعض الروايات الأباضية تؤيد بناء مدينة تاهرت سنة ١٦٠هـ أي بعد أكثر من خمس عشرة سنة من فرار عبد الرحمن من القيروان[2].

وكانت الدولة الرستمية تحدّ الدولة الأغلبية (حلفاء العباسيين) من الجنوب والغرب، وكان العداء بين الدولتين سياسياً ومذهبياً، ذلك لأن الخوارج الأباضية يَعُدّون مَن يخالفهم من الكفار[3].

ولّما كثر الأباضية من المغربَين الأدنى والأوسط وتركزوا في نقطة واحدة التفوا حول عبد الرحمن بن رستم، وقد رأوا ضرورة وجود عاصمة يأوون إليها ويتحصّنون بها فاقترحوا أن تكون تاهرت[4].

---

(١) النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٤٠؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص١٢١؛ وانظر: زكار، سهيل، الدولة الرستمية، مجلة الدراسات التاريخية، ع١٢، آيار (مايو) ١٩٨٣م، جامعة دمشق ص ٨٠-٨١.

(٢) أبو زكريا، سير، ص٨٥-٨٦.

(٣) البغداديّ، عبدالقادر بن طاهر بن محمد، الفرق بين الفرق، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة بولاق، القاهرة، (د.ت) ص١٠٢، وسيشار إليه فيما بعد: البغداديّ الفرق.

(٤) أبو زكريا، سير، ص٨٥-٨٦؛ الدرجيني، طبقات، ج١، ص٤١؛ الشماخي، السير، ص١٣٩؛ وانظر: الباروني، سليمان بن عبدالله النفوسي،الأزهار الرياضية في ائمة وملوك الأباضية، مطبعة الأزهار الرياضية، القاهرة، (د.ت)، ج٢، ص٥، هامش١، ٣. وسيشار إليه فيما بعد: الباروني، الأزهار؛ إسماعيل، الخوارج، ص٢٥٦؛ جهلان، عدوان، الفكر السياسي عند الأباضية (من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف أطفيش) ١٢٣٦-١٣٣٢هـ/ ١٨١٨-١٩١٤م إشراف أ.د أبو عمرو آل الشيخ، رسالة ماجستير، عمان/ مسقط ١٩٨٧م، ص ٤٩.

ذلك أن الاباضية قرروا بناء مدينة يتحصنون فيها ويُعدّ مكاناً صالحاً، إذ أن ذلك الموضع يمتاز بجودة الهواء، وكثرة المياه والخصب، وهو قابل للعمارة ومأمون من العدو[1].

وتاهرت تقع وسط الجبال، ولم يكن من السهولة دخولها إلا من الناحية الجنوبية حيث كان هناك طريق طويل يصل في النهاية على جبل نفوسة، كذلك كانت الأرض حول تاهرت خصبة ووفيرة المياه[2].

وكان موقع المدينة يمتاز كذلك بالأشجار الكثيفة، ومرتعاً للسباع والوحوش، وعندما تم اختيار موقع العاصمة، تم تأسيس المسجد الجامع، ثم اختطوا دوراً، وقصوراً، وبيوتاً[3].

وتاهرت تقع على نهر كبير يأتيها من ناحية القبلة، يسمى (مينه منياس) عند ابن خلدون، ولها نهر آخر يجري من عيون تجتمع يسمَّى (تاتش)، ومنه تشرب أرض تاهرت وبساتينها[4].

وينفرد البكري برواية دون غيره، إذ يذكر أنَّ الأباضية في أول الأمر توجهوا إلى تاهرت القديمة أو العليا حسبما يفهم من كلامه، فلمَّا أرادوا بناءها من جديد أو ربما توسيعها، ووضع سور لها، كانوا كلما بنوا شيئاً في الليل وجدوه وقد هُدِم في الصباح على أيدي بربر صنهاجة أصحاب الأرض الذين رفضوا البيع، فعزفوا عن ذلك الموضع، وانتقلوا إلى موضع تاهرت الحديثة، وتقع على بعد خمسة أميال من تاهرت القديمة إلى الغرب[5].

وذكر الجغرافيون محاسنها، وخاصة الأنهار القريبة منها نهر (مينة) الذي يأتيها من جهة القبلة، ونهر (تاتش) وهذا الأخير يجتمع من عيون عديدة، ومنه يشرب أهل تاهرت[6].

---

(١) الباروني، الأزهار، ج٢، ص٥-١٦؛ الشماخي، السير، ج١، ص١٣٩.
(٢) الاصطخري، المسالك، ص٣١؛ وانظر: كحيله، المغرب، ص٥٤؛ زكار، الدولة الرستمية، ص٧٦-٧٧.
(٣) البكريّ، المغرب، ص٦٧؛ أبو زكريا، سير، ص ٥٣؛ ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص٨؛ الدرجيني، طبقات، ج١، ص٤١؛ الشماخي، السير، ص١٣٩؛ وانظر: الباروني، الأزهار، ج٢، ص٢.
(٤) مجهول، الاستبصار، ص١٧٨؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٨؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص١٢١.
(٥) البكريّ، المغرب، ص ٦٧؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص١٩٦؛ وانظر: اسماعيل، الخوارج، ص١٤٨-١٤٩.
(٦) البكريّ، المغرب، ص٦٦-٦٧.

ومن الأسباب التي دفعت عبد الرحمن بن رستم لاختيار وفرة المياه، وخصب الأراضي والأشجار الكثيفة ووجود الأنهار، وجودة الهواء، وكذلك لأنها مأمونة من الأعداء، ولكن هناك أسباب أخرى:

أولاً: تقليد عبد الرحمن بن رستم للمدراريين الخوارج الصفرية الذين بنو عاصمتهم (سجلماسة) في جوف الصحراء، واستطاعوا أن يكونوا في مأمن من هجمات وغارات القوات العباسية، فلا عجب أن عبد الرحمن بن رستم اختار هذا الموضع الذي يقع على تخوم الصحراء والبعيدة عن القيروان مركز أعدائه بنحو تسع عشرة مرحلة[1].

ثانياً: مركز تاهرت التجاري، إذ أنه يربط تجارة الشمال بتجارة الجنوب[2].

ثالثاً: اختيار عبد الرحمن بن رستم لتاهرت لكي يستطيع أن يتحكم في القبائل الصحراوية البدوية، بحيث لا يمكنها الهروب منه؛ لأنه يقبض عليها من الوسط[3].

وقبل أن نختتم هذا الجانب، وجب علينا أن نعرف معنى كلمة (تاهرت) فهي كلمة بربرية وهي تعني (محطة) أو (إقامة)[4].

---

(١) ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي البغداديّ النصيبي، صورة الأرض، مكتبة دار الحياة، بيروت، (د.ت)، ص٨٤-٨٥؛ الاصطخري، المسالك، ص٣٧.

(٢) بحاز، الدولة الرستمية، ص٨٦-٩٤.

(٣) بحاز، الدولة الرستمية، ص٨٦-٩٤.

(٤) الجيلالي، عبد الرحمن محمد، تاريخ الجزائر العام، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠م، ج١، ص٢٢٠؛ بحاز، الدولة الرستمية، ص١٨٩ جورج مارسية، دائرة المعارف الإسلامية (مادة تاهرت)، طبع في جيهان: طهران-الجمهورية الإيرانية (د.ت)، ج٤، ص٥٢٥.

ومجمل القول؛ إن من الأسباب الرئيسة التي أدّت إلى قيام الدولة الرستمية في المغرب الأوسط (الجزائر):

(١) أن تكون هذه المنطقة دولة أباضية تمارس المذهب الأباضي.

(٢) نشر هذا المذهب بين القبائل في المنطقة تستظل بهذه الدولة جميع القبائل المعتنقة لهذا المذهب من المغربين الأدنى والأوسط، وتعدّ هذه الدولة ثمرة جهود علماء المذهب الأباضي في المشرق والمغرب وتتويجاً للثورات الأباضية ضد الولاة الأمويين والعباسيين في المغرب العربي[١].

(٣) الاستقلال عن الدولة العباسية واجتماع الفرق الأباضية في دعوة واحدة، ولم يكن الدين إلا شعاراً لإخفاء هذا الهدف، ولإعطاء موقف الاستقلال نوعاً من الشرعية[٢].

(٤) ولأن مدينة تاهرت قد أصبحت مركز اجتماع الخارجين الهاربين: أي أن من الأسباب التي أدّت لقيام الدولة الرستمية إيجاد ملجأ آمناً للدعوة الأباضية، وهرباً من التعذيب والموت وخوفاً من جبروت الدولة العباسية[٣].

ونالت الدعوة الأباضية والإمامة الجديدة من خوارج المغرب الأدنى والأوسط، خاصة من سكان جبل نفوسة وأهل جزيرة جربة، وبلغت هذه الأخبار مسامع واهتمام الخوارج في المشرق، خاصة في البصرة وعُمان، فجمع خوارج البصرة (أموالاً عظيمة وبعثوا بها مع نفر من ثقاتهم)[٤].

---

(١) الدرجيني، السير، ص٨٥-٨٦

(٢) ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص١٢-١٣؛ الكعاك، عثمان، سلسلة كتاب البعث، الكتاب الخامس، ط١، (د.م)، ١٩٥٦م، ص٩٦.

(٣) وفيقة، نشوء الدويلات، ص١٥.

(٤) ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص٣٢؛ وانظر: زكار، الدولة الرستمية، ص٧٤.

وسادت الحرية الدينية في عاصمة الأباضية، وتطورت الحياة الاجتماعية فيها، وقام فيها نشاط تجاري وزراعي كبير، وازدهرت فيها الحياة الاقتصادية بشكل عام والحركة الثقافية كذلك وعلى نطاق واسع، فغدت مركز إشعاع حضاري نحو قلب افريقية وباتت تُعرَف باسم (عراق المغرب) و (بلخ المغرب)[1].

وأصبحت الدولة الرستمية تضم المغرب الأوسط كله ما عدا تلمسان التابعة للأدارسة غرباً ومنطقة الزاب التي يسيطر عليها الأغالبة شرقاً، ويدخل ضمن حدود الدولة الرستمية جبل نفوسة، وكل المناطق جنوب طرابلس وجزيرة جربة، إضافة إلى بلاد الجريد (جنوب تونس)، وهكذا فإن هذه الدولة تكون قد تربعت على رقعة شاسعة من المغرب العربي تحيط بالدولة الأغلبية من الغرب، والشرق، والجنوب[2].

وحول علاقة عُمان بالمغرب فقد بدأت العلاقة بين عُمان والمغرب، منذ أن التقى حملة العلم المغاربة أخوانهم حملة العلم من عُمان، وكانت البصرة ملتقى الجميع باعتبارها مركز الدعوة الأباضية حيث كان يتلقى هؤلاء العلم عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وغيره من قادة المذهب الأباضي، وقد مكث الجميع عند أبي عبيدة عدَّة سنين، يتلقون خلالها مبادئ المذهب الأباضي لينقلوها بدورهم إلى عُمان والمغرب[*].

إذ أن العلاقة بين عُمان والمغرب كان بدايتها مذهبية قوامها كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ)، وما دام الدين الإسلامي بداية الرباط بين الطرفين فهي من أمتن العلاقات.

(*) أنظر: ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص ٣٢؛ أبو زكريا، السير، ج١، ص١١٣؛ الدرجيني، طبقات، ج١، ص ١٩.

(١) ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص٣٦-٣٧؛ وانظر: زكار، الدولة الرستمية، ص٨٠.

(٢) الجنحاني، الحبيب، العلاقات السياسية الاقتصادية بين افريقية والمغرب الأوسط بين القرنين الثاني والخامس الهجريين، محاضرة رقم ٤٦، ندوة الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي، باتنه: الجزائر، ١٩٧٨م، ص٥؛ إسماعيل، الخوارج، ص١٤١، لومبار، لوريس، الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، ترجمة عبد الرحمن حميدة دار الفكر: دمشق، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص٨٧-٢٨٣.

* المبادئ التي نادوا بهـا :

كان أباضية الدولة الرستمية التي حافظت على استقلالها زمناً طويلاً همهم تنظيم دولة ضمن المبادئ التي آمنوا بها، ولم يكن أباضيتها كغالب الخوارج همهـم الثورة، بل كانوا كخوارج العرب همهم تنظيم الدولة على مبادئهم[1].

وقد قامت الدولة الرستمية على المذهب الأباضي: والأباضيون ينسبون إلى إمامهم في الدين عبدالله بن أباض، وهو الذي فارق جميع الفرق قبل المعتزلة والقدرية والصفرية والخوارج والشيعة، وهو أول من بيّن مذاهبهم، ونقض فساد اعتقادهم، بالحجج والآيات والروايات، نشأ في زمن معاوية بن أبي سفيان، وعاش إلى زمن عبد الملك بن مروان[2]. لقد آمنت الدولة الرستمية الأباضية بمبادئ عدة حافظت على استقلالها زمناً طويلاً.

فقد قامت الدولة الرستمية على المذهب الأباضي (أصحاب عبدالله بن إباض)، وهو الذي فارق جميع الفرق قبل المعتزلة، والقدرية، والصفرية، والخوراج، والشيعة، وهو أول من بين مذاهبهم ونقض فساد اعتقادهم بالحجج والآيات والروايات[3].

والأباضية من الخوارج، والخوراج أربعة أصناف: الأزارقة، وهم أصحاب نافع بن الأزرق، والنجدية وهم أصحاب عبدالله بن عامر الحنفي، والأباضية وهم أصحاب عبدالله بن إباض، والصفرية وهم أتباع عبدالله بن صفار، ومن هذه الأصناف الأربعة

---

(١) الحارثي، سالم بن حمد بن سليمان، العقود الفضية في أصول الأباضية، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، عُمان، ١٩٨٣م، ص١٢١.

(٢) السيابي، سالم بن حمود بن شامس السيابي السملائي، إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء، تح سيدة إسماعيل كاشف، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، عمان، ١٩٧٩، ص٥٠، وسيشار إليه فيما بعد: السيابي، إزالة الوعثاء.

(٣) الناشئ الأكبر، مسائل الإمامة، مقتطفات من الكتاب الأوسط في المقالات، تح يوسف فان اس، دار فرانتس شتايز، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، ١٩٧١، ص٦٨، وسيشار إليه فيما بعد: الناشئ الأكبر، مسائل الإمامة؛ الملطي، عبد الرحمن، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، تح محمد زنهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط ١، ١٩٩٢، ص٤٢، وسيشار إليه فيما بعد: الملطي، التنبيه.

تشعبت فرق الخوارج كلها، وإنما كانت هذه الأصناف أصولاً لسائر فرقهم لأنك لا تجد اليوم أصلاً من الخوارج إلا وهو يتولى أحد هذه الأصناف الأربعة ويزعم أنه يقول بقوله، ويتبرأ ممن يخالفه من أصحاب الخوارج، وكان ظهور الرؤساء الأربعة في زمان واحد[1]

ويقول أحمد بن سعيد الدرجيني (ت٦٧٠هـ): (إذا عرف عبدالله بن أباض بأنه إمام أهل الطريق، وجامع الكلمة لما وقع التفريق، فهو العمدة في الاعتقادات، والمبين لطرق الاستدلالات والاعتمادات، والمؤسس للأبنية وهي مستندات الأسلاف..)[2].

أما أسس الحكم عند الأباضية فالكتاب والسنة والإجماع، وعلى هذه الثلاثة فحلالها حلال، وحرامها حرام، لا هوادة في ذلك ولا خيار لأحد في هذه الأصول الثلاثة، ثم القياس، ثم الاستدلال[3].

والخوارج في حكم الأباضية مشركون، ذلك لأن الذنوب عندهم صغير وكبير، فالصغير معفو باجتناب الكبير، والكبير أيضاً قسمان، كبائر شرك، وكبائر نفاق، فكبائر الشرك هي كل ما أخلّ بالاعتقاد كاستحلال ما حرم الله أو العكس، أو إنكار ما علم من الدين، أو انكار حكم من أحكام الله، وكبائر النفاق وهي كبائر الكفر بنعم الله[4].

والإيمان عند الأباضية: قول، وعمل، واعتقاد، فالقول كعصم الدماء، والأموال، وبالعمل يصح الإيمان العملي، وبالاعتقاد يتحقق الإيمان الصادق، وهو الذي يقول فيه الأباضية بأنه يزيد ولا ينقص، بل إذا انهدم بعضه انهدم كله، والإيمان العلمي هو الذي يزيد وينقص[5].

---

(١) الناشئ الأكبر، مسائل الإمامة، ص٦٨، الملطي، التنبيه والرد، ص٤٢.

(٢) الدرجيني، طبقات، ج٢، ص٢١٤.

(٣) السيابي، سالم بن حمود بن شامس، أصدق المناهج في تمييز الأباضية من الخوارج، تح سيده كاشف اسماعيل، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، عمان، ١٩٧٩م، ص٢٦.

(٤) السيابي، أصدق المناهج، ص٣٣.

(٥) المصدر نفسه، ص٣٣.

أما الجهاد لأهل الشرك فلا خلاف فيه بين ملل الإسلام إما مسلم وإما كافر لا ثالث لهما(١).

ومن الأباضية في افريقية وطرابلس أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، ثم ابو حاتم الملزوزي الذي خلفه بعد موته، فهؤلاء الأئمة وأتباعهم لعبوا دوراً سياسياً، في انتفاضة البربر، التي أبعدت افريقية عن سلطان الخلافة الإسلامية(٢).

ومن المبادئ التي قامت عليها الدولة الأباضية السرّ والكتمان، ذلك أنه عندما سقطت مدينة تاهرت سنة ٢٩٦هـ/٩٠٩م كانت بمثابة الضربة القاضية للنظام الرستميّ، فلم تستطع تاهرت أن تقوى على رد الأعداء، فسقطت أمام جيوش أبي عبدالله الشيعيّ، وفر أبو يوسف يعقوب (آخر الأئمة الرستميين) مع أفراد أسرته وأعيان دولته إلى سدراته قرب وارجلان، وهناك حاول الأباضية تأسيس دولة جديدة لهم(٣)، ولكن الظروف لم تكن مواتية، وبهذا دخل الأباضية في مرحلة الكتمان، وهو أحد المبادئ التي آمنوا بها للمحافظة على كيانهم للوصول على مبدأ آخر وهو نشر دعوتهم ولو سراً، وتحقيق مبدأ آخر وهو الوحدة بين أتباع المذهب، وتخفيف حدة التوتر بينهم وبين مخالفيهم من السنة والشيعة(٤)، ولأجل ذلك اعتمد الأباضية على أمرين في طور الكتمان:

أولاً: تنظيم هيئة خاصة بمثابة السلطة تقوم مقام الإمام أو الخليفة في مرحلة الظهور، وتتكون من العلماء وأعيان القبائل(٥).

---

(١) المصدر نفسه، ص٣٣.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، م١، أباضية، ص٣-٤.

(٣) البغداديّ، الفرق، ص ٢٠ وما بعدها؛ اقبال، موسى، تاريخ المغرب الإسلامي، دار هومه، الجزائر، ٢٠٠١م، ص ١٩٣-١٩٤؛ جهلان، الفكر السياسي، ص ٥١-٥٢.

(٤) إقبال، تاريخ المغرب، ص ١٩٣؛ جهلان، الفكر السياسي، ص ٥١-٥٢.

(٥) إقبال، تاريخ المغرب، ص ١٩٣؛ جهلان، الفكر السياسي، ص ٥١-٥٢.

ثانياً: الابتعاد عن مواطن المخالفين والالتجاء إلى الأماكن النائية التي يقل ارتيادها، فهم يعتقدون أنهم تسترهم بعيداً عن أعين الأعداء يستطيعون حفظ مذهبهم وكيانهم، وتحقيق وحدتهم وتماسك جماعتهم[١].

ومن مبادئ الأباضية التي نادو بها ونشروها في بلاد المغرب الإمامة والخلافة وتعنى في نظرهم رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا وهي خلافة الرسول في إقامة وحفظ حوزة الملة[٢].

الخوارج كلها تقول بإمامة الفاضل، ولا يجيزون إمامة المفضول، ويزعمون أن أفضلهم من ندب نفسه للخروج ودعا الناس للجهاد، فإذا ابتدأ بذلك رجل منهم فهو أفضلهم عندهم وأحقهم بالإمامة، ويزعمون أن الإمام يصلح أن يكون من سائر الأجناس من العرب والعجم، وهو عندهم سواء[٣].

والخلافة تفرضُ على من هو أهلٌ لها أن يفرض على الرعية كافة اتباعه وطاعته ما لم يأمر بمعصية الخالق وتفرض عليه المحافظة على وحدة المسلمين والدفاع عن الأمة[٤].

والإمام عند الأباضية هو يفترض أن يكون حاكماً عادلاً يعطي بحق، ويأخذ بحق[٥]. ويلتقي الأباضية مع الشيعة في تسمية الحاكم بالإمام، غير أن الشيعة يطلقون لفظ الإمام على خلفائهم ما داموا يدعون لهم في الخفاء، حتى إذا استولوا على الدولة يحولون اللقب إلى أمير المؤمنين، أما الأباضية فإنهم لا يفعلون ذلك[٦].

---

(١) إقبال، تاريخ المغرب، ص ١٩٣؛ جهلان، الفكر السياسي، ص ٥١-٥٢.

(٢) ابن خلدون المقدمة، ص ١٥٩؛ وانظر: الباروني، مختصر، ص ٣٦-٣٧؛ جهلان، الفكر السياسي، ص ١٦٧-١٧٢.

(٣) الناشئ الأكبر، مسائل الإمامة، ص٦٨.

(٤) الباروني، مختصر، ص ٣٦-٣٧؛ جهلان، الفكر السياسي، ص ١٦٧-١٧٢.

(٥) الباروني، مختصر، ص ٣٦-٣٧؛ جهلان، الفكر السياسي، ص ١٦٧-١٧٢؛ السيد، رضوان، الأحزاب السياسية الدينية قبل الخوارج والشيعة في القرن الأول الهجري، مجلة تاريخ العرب والعالم، ع ٥٨، آب، ١٩٨٣م، بيروت، ص١.

(٦) الباروني، مختصر، ص ٣٦-٣٧؛ جهلان، الفكر السياسي، ص ١٧٧-١٧٢.

والأباضية هي أكثر الخوارج اعتدالاً، والاعتدال من مبادئهم، فهم يتفقون مع السنة، في كل شئ ما عدا مبدأ قصر الإمامة على العرب، وفي قريش بخاصة فقد كانوا يرون أن الإمامة يمكن أن تكون في أي مسلم صالح استكمل شروطها، ورضيته الأمة إماماً لها، أما إنكارهم للملك المتوارث الذي ابتدعه بنو أمية ثم بنو العباس خاصة، فقد كان كل المسلمين متفقين معهم عليه، وإن تغاضت الأغلبية منه فاكتفوا باشتراط الصلاحية في الاختيار والعدل في الحكم، وهما شرطان مبهمان؛ لأن كل ورثة العروش يقولون أنهم صالحون، ولكن الحكام يقولون أنهم عادلون[1]، ولذلك فإن الدولة الرستمية دولة قامت على الوراثة الدينية، والسياسية للأئمة الرستميين.

لم يستطع عبدالله بن أباض تطبيق مبدئه طول عمره، فظل داعياً إلى أن مات وقام من بعده أبو الشعثاء (جابر بن زيد الأزدي العماني، (ت ٩٣هـ) فنادى بالمبدأ في بلده عُمان، ثم حاول نشره خارجها، وأبو الشعثاء وضع الأسس الفقهية للمذهب، وظهر من تلاميذه نفر ذوو قدرة ونشاط، ومنهم أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة، فنادى بالقضاء على بدعة الملك، ودعا إلى التمسك بالمبدأ الشوريّ، كما حدده عمر بن الخطاب ﷺ[2].

والعدل من المبادئ التي نادى بها الأباضية ممثلة في الدولة الرستمية، ويرمز إلى العدالة عندهم بالفضل، وهي عند الأباضية جماع صفات الكمال الأخلاقي من حيث سلامة الاعتقاد، وسلامة الجوارح، ونزاهة النفس[3].

وقد طبق عبدالرحمن بن رستم مؤسس الدولة الرستمية الأباضية مبادئ العدل والمساواة بين الرعية، إذ أن أبا الخطاب المعافريّ كان قد رشح عبدالله بن رستم لقيادة الأباضية الرستمية في المغرب إذ قال أبو الخطاب في هذا الشأن: (هذا عبد الرحمن بن

---

(١) مؤنس، تاريخ المغرب، ص ٣١٩-٣٢٠؛ الباروني، مختصر، ص ٣٦ وما بعدها.

(٢) مؤنس، تاريخ المغرب، م١، ص٣٢١، ٣٢٥؛ الباروني، مختصر، ص ٣٦ وما بعدها؛ زكار، الدولة الرستمية،، ص ٨٠-٨١.

(٣) مؤنس، تاريخ المغرب، م١، ص٣٢٥،٣٢١.

رستم لا قبيلة له يشرف بها، ولا عشيرة له تحميه، وقد كان الإمام أبو الخطاب قد رضي لكم عبد الرحمن قاضياً وناظراً، فقلدوه أموركم فإن عدل فذلك الذي أردتم وإن سار فيكم بغير عدل عزلتموه)[1].

ومن المبادئ التي قامت عليها الدولة الرستمية وجود إمامين في آن واحد، عندما يكون إمام ظهور وإمام دفاع، لكن ظروف نشأة الدولة الرستمية تستدعي التكاتف والتكتل حول إمام واحد، فضلاً عن الرقعة الجغرافية التي لا تسمح بوجود إمامين في آن واحد، لذلك فإن عبدالله بن رستم لم يبايع بإمامة الدفاع، إنما كان على الكبر تقديراً إماماً للصلاة لا غير[2].

وقال بعضهم لبعض من الأباضية: (قد ظهر بالمغرب إمام ملأه عدلاً، وسوف يملك المشرق ويملأه عدلاً)[3].

ومن مبادئهم أيضاً أن الإمامة شورى بين المسلمين، إذ تذكر المصادر الأباضية أن عبد الرحمن بن رستم لما حضرته الوفاة جعل الإمامة شورى في سبعة نفر صنيع عمر بن الخطاب ﷺ[4].

بينما لا يذكر ابن الصغير شيئاً من ذلك، بل يقول: (وكان قد نشأ له (عبدالرحمن بن رستم) في أيامه ولد يعرف بعبد الوهاب، وكان محمود الأفعال، وكان قادراً للقيام بعده، فلمّا انقضت أيامه صيرت الأباضية الأمر إليه بعده)[5].

(١) ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص٢٩-٣٠.

(٢) مؤنس، تاريخ المغرب، ص٣٢٩.

(٣) ابن الصغير، أخبار الأئمة ص٣٢.

(٤) أبو زكريا، سير، ص١٥٤ الدرجيني، طبقات، ج١، ص١٣٦ وانظر: مبدأ الشورى في نظام الحكم في المغرب العربي خلال العصر الوسيط، مجلة التاريخ، ع١٢، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، ١٩٨٢م، ص٩٢.

(٥) ابن الصغير، أخبار الأئمة خاصة، ص٤٢.

إلا أن الباروني ينقل لنا نفس هذا النص حرفياً في (الأزهار الرياضية) والنص هو (وكان قد نشأ له في أيامه ولد يعرف بعبد الوهاب، وكان محمود الأفعال، وكان قد رشحه للقيام بعده، فلما انقضت أيامه صيرت الأباضية إليه الأمر بعده)[١].

وعبد الرحمن بن رستم عندما جعل الإمامة شورى في سبعة نفر اقتداء بعمر بن الخطاب، يبدو أن فيها شيئاً من المخالفة، لأن عمر بن الخطاب ﷺ عندما عيَّن النفر الستة، جعل ابنه مستشاراً لا غير، يحضر مجلس المرشحين، ويبدي رأيه، ولا يتولى من الأمر شيئاً[٢].

ويروي اليعقوبي رواية أخرى عن عمر الذي قال (أخرجت سعيد بن زيد لقرابته مني فقيل في ابنه عبدالله بن عمر، قال حسب آل الخطاب ما تحمَّلوا منها)[٣].

ومهما يكن من أمر، فإن نظام الحكم في الدولة الرستمية نظام وراثي كنظام الأمويين والعباسيين بالمشرق، والأغالبة أو الأدارسة في المغرب، ويبقى العدل والإحسان ما التزم به الأئمة الرستميون من مبادئ الأباضية، وما تميزوا به من صفات التقوى السائدة خلال كل تاريخ الرستميين، فلو وجدوا لهم غيرها لذكروه)[٤].

ومن المبادئ الأساسية التي ركز عليها الأباضية (انتخاب الإمام التي أراد أن يجعلها فقهاء الأباضية من الشروط الرئيسة للانتخاب: أولها: أخلاقيّ، وثانيها: علمي، وثالثها ورابعها: سياسي[٥].

---

(١) الباروني، الأزهار، ج٢، ص٩٨؛ والرواية الأباضية التي تقول بأن عبد الرحمن بن رستم عين سبعة نفر هم مسعود الأندلسي، وابو قدامة يزيد بن فندين اليفرني، وعمران بن مروان الأندلسي، وعبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، وابو الموفق سعدوس بن عطية وشاكر بن صالح الكتامي ومصعب بن سدمان. حول ذلك أنظر: أبو زكريا، سير، ص ٥٤-٥٥؛ الدرجيني، طبقات، ج١، ص١٤٦ الشماخي، السير، ج١، ص١٥٤.

(٢) أبو زكريا، سير، ج١، ص٨٩؛ وانظر: مؤنس، تاريخ المغرب، ص٣٢٩.

(٣) أبو زكريا، سير، ج١، ص٨٩.

(٤) الباروني، مختصر، ج٢، ص٢٥، ص٤؛ وانظر: مؤنس، تاريخ المغرب، ص٣٢٧.

(٥) الشماخي، سير، ج١، ص١٣٩-١٤٠؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ص٣٨٣-٣٨٤.

ولا بأس من أن يكون هذا الترتيب صحيحاً، فالمبدآن الأولان من المبادئ المطلوب توفرها في اختيار الإمام أو الخليفة، كما اتفق على ذلك الفقهاء، فالفضل في هذا النص هو ما يوازي العدالة التي تعني الكمال الأخلاقي من حيث سلامة الاعتقاد، وسلامة الجوارح، ونزاهة التصرفات الشخصية، وأما من كونه من حملة العلم فالعلم شرط أساسي ليس بالنسبة للمرشح لتولي الإمامة والخلافة فحسب، بل هو ضروري أيضاً بالنسبة لطبقة أهل الاختيار أي أن أصحاب الحق في انتخاب الإمام أو الخليفة هذا، ولو أن العلم بالنسبة للطبقة الثانية هو العلم الذي يوصل إلى اختيار الأصلح، أما بالنسبة للإمام فهو العلم الذي يوصل إلى مصلحة الجماعة في الدنيا وسعادتها في الآخرة، أما الشرط الثالث- وهو (كونه عامل أبي الخطاب على افريقية) متمثل فكرة التعيين (والوصية التي تحولت إلى مبدأ الوراثة) وهذا يعني تحول الجماعة الأباضية عن مبدأ الاختيار، فعند أهل السنة قبل مبدأ التعيين أو الوصية على حقيقة تاريخية بعد أن عهد النبي لأبي بكر بإمامة الصلاة، وبعد أن أوصى أبو بكر بخلافة عمر، وبعد أن حدد عمر أهل بالخلافة في ستة نفر، ثم أتى معاوية وجعل ولاية العهد لابنه يزيد، وبعد الأمويين طبق العباسيون أيضاً مبدأ الوراثة، حدث كل ذلك مع الاحتفاظ بالشكليات من حيث تطبيق مبدأ الاختيار الممثل في البيعة، ولقد انتهى الأمر باشتراط صفة القرشية في المرشح للخلافة[1].

والخوارج لم يوافقوا على مبدأ التعيين أو الوراثة، وقد طالبوا بتطبيق مبدأ الشورى أي انتخاب، والمرشح يجب أن يكون مفتوحاً أمام الجميع، وليس مقتصراً على طبقة معينة دون أي تفرقة عنصرية، حتى أجازوا إمامة العبد الأسود طالما يتمتع بالأهلية[2].

---

(١) زغلول، تاريخ المغرب، ص٣٨٤-٣٨٥.

(٢) زغلول، تاريخ المغرب، ص٣٨٥.

وهذا يعني أن الأصل السياسي عند الخوارج هو تطبيق مبدأ الجمهورية التي تكون السلطة العليا فيها للشعب جميعاً دون تمييز[1].

أما المبدأ الآخر فهو أنه لا قبيلة له إذا منعه أي تغير عن طريق الحكم، فهو شرط أساس يتنافى مع نظرية العصبية التي تقوم عليها الدولة[2].

ومبدأ عدم استناد الإمام إلى قبيلة أو عصبية يهدف إلى دفع ما يمكن أن تتعرض له الجماعة الأباضية من الاستبداد، كما يطمح إلى تحقيق الإمامة، أو الحكومة المثالية التي يكون العدل عصبيتها.

*** نلاحظ ممَّا سبق ما يلي:**

أولاً: أنَّ المذهب الأباضي يسمح كما ذكرت بوجود إمامين في آن واحد إذا كانت الجماعة منقسمة جغرافياً (أي إذا كان كل إمام في بلد يبعد عن بلد الإمام الآخر) أحدهما بعيد عن الآخر، ويحول بينهما عدو يخاف شره، ومن هنا فإننا نرى في كثير من الأحيان أنه كان لأباضية المغرب إمام في تاهرت وإمام في جبل نفوسة، ومع أن كل منهما لم يعترف بالآخر في كثير من الأحيان، وعلى الرغم من وقوع الحروب بينهم فإن أباضية تاهرت واباضية جبل نفوسة كان يتحدون ضد أي عدو مخالف للمذهب[3].

ثانياً: إن الخلافات المذهبية بين الخوارج كانت ذات أثر مباشر في إضعاف جماعتهم، فإذا وقع انقسام فإن ذلك يعني انقسام القوة العسكرية، وضعف الإمامة عموماً من

---

(١) المرجع نفسه، ص٣٨٥.

(٢) المرجع نفسه، ص٣٨٥؛ مؤنس، تاريخ المغرب، ص٣٢٥-٣٢٨.

(٣) الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم،الملل والنحل، (د.مط)، بيروت، ١٩٤٨م، ص١٦٧؛ وانظر: ابن أبي الضياف، أحمد، اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وأهل الأمان، تح لجنة من كتاب الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، الدار التونسية، تونس، ١٩٧٦م، ص٦؛ مؤنس، تاريخ المغرب، ص٣٢٩؛ دائرة المعارف الإسلامية، م١٠، دار الفكر: دمشق، (د.ت)، ص٩٣—٩٥.

الناحية العسكرية، فلم تكن لدى الإمام قوة من الجند خاصة به وبأهل بيته ينفق عليها من بين المال، وإنما كان الإمام يعتمد على رجل الجماعة أنفسهم، فإذا انقسمت الجماعة في تاهرت إلى وهبية ونكارية فإن ذلك يعني أن القوة العسكرية العامة للأمة قد وهنت، وعلى الرغم من أن النكارية قد خسروا المعركة وقتل رئيسهم يزيد بن فندين فإن فرقتهم لم تتلاش، وظلت تمثل الاتجاه الأصفى بحسب المبادئ التي نادى بها الأباضية، فهم ينكرون الوراثة، وقد ظل النكارية يمثلون الاتجاه الخاص للأباضية المغربية، حتى بعد زوال الدولة الرستمية[1].

* موقف السكان المحليين من الدولة الرستمية:

كان من ضمن سكان المغرب الأوسط في عهد الدولة الرستمية الفئات السكانية التالية:

اعتنق البربر الأباضية والصفرية بعدما جاء دعاتهما إلى المغرب، حيث استطاعوا أن يحققوا نجاحاً باهراً في نشر دعوتيهما، ووجدوا في مبادئهما ما يطابق ميولهما، إذ أنهما جاءوا في فترة حساسة جداً، والبربر قد ضاقوا ذرعاً بحكم الولاة الأمويين وجورهم[2].

وقد عرف المغرب عدة ثورات قبل عام ١٦٠هـ، أي قبل بناء مدينة تاهرت على يد عبد الرحمن بن رستم مؤسس الدولة، وكان أهمها الثورة الأولى سنة ١٢٢هـ، وكانت ثورة بربرية حضرية وهي ثورة البربر في المغرب، إذ خرج ميسرة المدغري، وقام على عمر بن عبد الله المرادي بطنجة فقتله، وثارت البربر كلها مع ميسرة، ثم خلف ميسرة على طنجة عبد الأعلى بن حديج وزحف إلى السوس حيث قتل اسماعيل بن عبيد الله بن الحجاب فقتله، وانتهت الثورة بمقتل ميسرة المدغري[3].

---

(١) ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص١٠؛ الدرجيني، طبقات، ص٤٢؛ وانظر: مؤنس، تاريخ المغرب، ص٣٢٠.

(٢) مؤنس، فجر الأندلس، ص١٤٤.

(٣) ابن عذاري، البيان، ج١، ص٥٢-٥٣.

والأباضية كانوا يتتشرون من المغرب الأدنى إلى المغرب الأوسط، ولذلك فإن قبائل نفوسة، وهوارة، ولماية، وزناتة، وسدراتة، ولواته اعتنقت الأباضية[1].

وقد استفاد الأباضية من انقاذ القيروان من الصفرية وقائدهم عاصم بن جميل ونصب حمايتهم المؤقتة عليها، وقد ارتاج الناس في افريقية كلها، وأسلموا القيادة لأبي الخطاب وابن رستم، وتأكدت تبعية افريقية لأبي الخطاب، بعد هزيمة أبي الأحوص العجلي في مغمداس وهو الذي كلف من قبل محمد بن الأشعث عامل مصر بإقرار الأمن والنظام والأمن في افريقية[2].

وفي سنة ١٤٤هـ انهزم الأباضية وقتل كثيرٌ من قادتهم وفرسانهم] وفي مقدمتهم أبو الخطاب إذ أن جيش أبي الخطاب قد اختلّ، وضعفت سلطته بسبب بعض النزاعات القبلية في جيشه بسبب التنازع بين قبيلتي هوارة وزناته، واتهام الأخيرة لأبي الخطاب بإثاره وميله للأولى[3].

وكانت هزيمة سرت ذات تأثير سيئ على الأباضية، وبسبب قتل إمامهم وقائدهم الذي أكسبهم سمعة حسنة بالتزامه للحق، والعدل، ونصرته للدين، ولذلك قرر الأباضية الثأر، وكانت ثورة أبي هريرة الزناتي التي أخمدها محمد بن الأشعث، والذي تتبع المخالفين سنة ١٤٦هـ في ودان وزويلة[4].

ولّما وقعت هذه الهزيمة بالأباضية، تشتتوا في البلاد، والتجأوا إلى الجبال، يتحصنون بها، لأن ابن الأشعث لم يكتف بمعركة (تاورغا) وما آلت إليه الأباضية من ضعف، وإنما تمادى في ملاحقتهم، وقتل خلقاً كثيراً منهم[5].

---

(١) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص١٤٦؛ إسماعيل، الخوارج، ص٤١-٤٤؛ خليفات، عوض، نشأة الحركة الأباضية، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٧٨م، ص١٣٦.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج١، ص٧٢-٧٣؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٥٧؛ وانظر: زكار، الدولة الرستمية، ص ٧٤-٧٥.

(٣) ابن عذاري، البيان، ص ١٧٢؛ وانظر: زكار، الدولة الرستمية، ص ٧٤-٧٥.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص١٥١؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص٧٢.

(٥) ابن عذاري، البيان، ج١، ص٧٢-١٧٣؛ الشماخي، سير، ص١٣٢-١٣٣.

ولّما علم عبد الرحمن بن رستم بانهزام إخوانه، ووفاة أبي الخطاب وهو في طريقه من القيروان إلى (تاورغا)[١]، وذلك لمساعدته، وتقديم العون له ولى راجعاً، وتفرق عنه أصحابه بقابس، ودخل القيروان، فوجدها قد كفرت، إذ بايع أهلها عمر بن عثمان القرشي على أنفسهم فلم يجد إلا اتجاهاً واحداً أمامه، وهو الاتجاه نحو المغرب الأوسط أولى خطوات تأسيس الدولة الرستمية[٢].

وتشيرُ المصادرالأباضية أن عبد الرحمن لّما خرج من القيروان اتجه إلى موضع تاهرت، حيث قبيلة لماية، فنزل عندهم لحلف قديم بينه وبينهم[٣].

إلا أنَّ البكري يقول: أن موضع تاهرت كان لقوم مستضعفين من مزاتة وصنهاجة[٤]، فعبد الرحمن بن رستم لم يقصد موضع تاهرت إلا سنة ١٥٣هـ، وبعد ذلك بأعوام، فبعد أن حوصر في جبل سوفجج حسب الروايات الأباضية خرج من الحصار منتصراً، إذ بقي هناك بين القبائل البربرية الأباضية، لقلة أخبار أصحابه في المغرب الأدنى إذ احتج عليه من أهل الفضل، والعلم، والصلاح، وارتحل إلى جهة تاهرت[٥].

ولّما وقع حصار طبنة سنة ١٥١هـ إذ حاصر الخوارج الصفرية والأباضية عمر بن حفص الذي ولاه المنصور على افريقية، والذي شارك فيه ابن رستم، ورجع إلى الجبل نفسه بعد هزيمته في تهودا سنة ١٥٣هـ، وفي سنة ١٥٥هـ انهزم أبو حاتم، وقتل معه جمع غفير من أصحابه قتلهم يزيد بن حاتم الذي قدم من المشرق بجيش كبير، ولم يكتف بمقتلهم بل ظلّ يلاحقهم، ولا شك أن أعداداً كبيرة التحقت بالمغرب الأوسط حيث عبد الرحمن بن رستم[٦].

---

(١) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٤٧.

(٢) أبو زكريا، سير، ص٧٥؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص٧٢؛ الدرجيني، طبقات، ج١، ص٣٥.

(٣) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص ٢٤٦-٢٥٠؛ وانظر: دبوز، تاريخ المغرب، ج٣، ص٢٥٣-٢٥٥؛ الجعبيري، فرحات، نظام العزابة عند الأباضية الوهبية في جربة، تونس، ١٩٧٥م، ص٤٣.

(٤) البكريّ، المغرب، ص ٦٨.

(٥) الباروني، الأزهار، ج٢، ص٤.

(٦) ابو زكريا، سير، ص٥٢؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص٧٩؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٤٢-٤٣.

ففي هذه الفترة بالذات، ولّما كثرت الأباضية من المغربين الأدنى والأوسط، وتمركزوا في نقطة واحدة، والتقاء السكان المعتنقين للمذهب الأباضي حول شخصية عبدالرحمن بن رستم رأوا ضرورة بناء مدينة تكون مركزاً للحكم[1].

وقد اختار عبد الرحمن بن رستم هذا الموقع (تاهرت)، لكي يستطيع التحكم بالسكان ومنهم القبائل البدوية الصحراوية بحيث لا يمكنها من الهروب منه[2]، وأصبحت عاصمة الدولة الرستمية ملتقى الأباضية من المغرب العربي كله[3].

وبعد مبايعة عبد الرحمن بن رستم بالإمامة، أصبحت الدولة الأباضية يستظل بها جميع القبائل المعتنقة لهذا المذهب من المغربين الأدنى والأوسط، وتعدّ الدولة الرستمية ثمرة جهود علماء المذهب الأباضي في المشرق والمغرب، وتتويجاً لثورات الأباضية ضد الولاة الأمويين والعباسيين في المغرب العربي[4].

ثمَّ توجه غرباً ليصل (أرض نفوسة وهم قوم عجم الألسن، أباضية كلهم، له رئيس يقال له الياس، لا يخرجون عن أمره، ورئيسهم هو عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم)[5].

إلا أنَّ ابن حوقل (ت٣٩٧هـ) يقول: (فأما أهل قسطيلية، وقفصة، ونفطة، والحامة وسماطة، ويشرى، وأهل جبل نفوسة، فشراه إما أباضية، أو وهبية)[6].

---

(١) ابو زكريا، سير، ص٨٥-٨٦؛ الدرجيني، طبقات، ج١، ص٤١؛ الشماخي، السير، ص١٣٩؛ وانظر: إسماعيل، الخوارج، ص٢٥٦.

(٢) أبو زكريا، السير، ص ٨٥-٨٦؛ وانظر: دائرة المعارف الإسلامية، ج٤، ص٢٥٥.

(٣) ابن الصغير، سيرة الأئمة، ص١٦؛ أبو زكريا، السير، ص٨٨؛ الدرجيني، طبقات، ج١، ص٤٠-١٤١؛ الشماخي، سير، ص١٣٩؛ وانظر: الباروني، الأزهار، ج٢، ص١٠١.

(٤) الكعاك، عثمان، موجز لتاريخ الجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، مطبعة العرب، تونس، ١٩٢٥م، ص٨١-٨٣.

(٥) اليعقوبي، البلدان، ص٩٧-٩٨. ويتفق اليعقوبي مع المصادر الأباضية في تسمية العامل الرستمي على جبل نفوسة وهو أبو منصور الياس الذي تولى شؤون الجبل منذ عهد الإمام أفلح، وتوفي في عهد الإمام أبي حاتم (٢٨١-٢٩٤هـ). أنظر: أبو زكريا، سير، ص٩٩؛ الدرجيني، طبقات،ج١، ص٨٤؛ وانظر: الباروني، مختصر، ص٤٨.

(٦) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٩٦؛ والوهبية التي يذكرها أباضية لا غير. أنظرك ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص١٦؛ الرقيق، تاريخ المغرب، ص١٧٣.

وهكذا تكون هذه المنطقة امتداداً طبيعياً يضمن الصلة بين جبل نفوسة وتاهرت[1].

ويصور لنا اليعقوبي المغرب الأوسط بأنه منقسم إلى زعامات قبلية، ومذهبية مختلفة، فمدينة تاهرت، والتي تسمى (عراق المغرب) فإن بها قوماً من الفرس، يقال لهم بنو محمد بن أفلح بن عبد الوهاب، فهم رؤساء أباضية المغرب[2].

أمّا في عهد عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (١٦٨-١٩٨هـ) إذ أن ولايته تمت بعد شهر من موت والده، ولكن المعارضين، وعلى رأسهم يزيد بن فندين أحد المرشحين الذين نازعوه في أن يكون له السلطان المطلق، وطلبوا منه ألا يبرم أمراً دون مشورة، وكان رد عبد الوهاب أنه (لا شرط للإمامة إلا الحكم بالكتاب والسنة وآثار الصالحين قبله)، ولم يقف الاختلاف الفقهي الدستوري عند المطالبة بعدم الاستبداد بالأمور، بل اتسع عندما شك المعارضون في صحة استمرار عبد الوهاب في الإمامة، بحجة عدم جواز إمامة الحاكم إذا وجد من هو أعلم منه[3].

وكانت سياسة عبد الوهاب أو طريقته في الحكم تقوم على مبدأ إقصاء الراغبين في الولاية، وتقديم من ليست له رغبة بها من أهل الخير، وتأخير الراغبين فيها عملت على اتساع الهوة بين خصومه، فزعم علماء المذهب في المشرق الذين قالوا كما قال أهل السنة وبعض المعتدلين من الشيعة، ويجوز إمامة من يوجد أعلم منه، فإن أنصار ابن فندين خرجوا من تاهرت وارتحلوا إلى الجبال والمنازل بالقرب منها، وأظهروا إنكار إمامة عبد الوهاب، ولهذا السبب أطلق عليهم اسم النكار أو النكارية كما سماهم خصومهم النكاث؛ لنكثهم بيعة الإمام، وهكذا انقسمت الأباضية إلى نكار: هم أصحاب يزيد بن

---

(١) باجية، صالح، الأباضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى، دار بو سلامة: تونس، تونس، ١٩٧٢م، ص٨٠.

(٢) اليعقوبي، البلدان، ص١٠٤-١٠٥؛ الكعاك، موجز، ص١٧٢.

(٣) زغلول، تاريخ المغرب، ص٣٨٨-٣٨٩.

فندين، والذين يعرفون بأنهم واصلية إلى معتزلة، وإلى وهبية، وهم أنصار عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم[1].

وعندما توفي الإمام عبد الوهاب سنة ١٩٨هـ/٨١٤م خلفه في الإمامة ابنه أفلح (١٩٨-٢٤٧هـ) الذي اختير لصلاح أحواله، وعلمه، وشجاعته، وقد رفض أحد السكان المحليين واسمه خلف بن السمح الاعتراف به، وخرج عليه، ولم يحاربه بل اكتفى بأن كتب إلى نائبه في الناحية وهو أبو عبيدة بأن يخطفه[2].

وهاجم خلف أبا عبيدة وأصحاب أفلح واستمرت الحرب حوالي عام، وانتهت بانهزام خلف، وانتهت الواقعة الحاسمة في جبل نفوسة بانتصار ممثل الإمام وأصحابه في ١٣ رجب سنة ٢٢١هـ/٤ يوليو (تموز) ٨٣٦م[3].

ورغم الانقسامات التي أصابت مدينة تاهرت منذ نشأتها إلا أنها بقيت في أسرة بني رستم، وعقب وفاة أفلح سنة ٣٥٨هـ، ولي ابنه أبو بكر (٢٥٨-٢٦١هـ) واختلفت الأمور كما يقول ابن عذاري وآخر من خرج من تاهرت، ثم عاد إليها، ومات فيها[4].

وولي الإمامة بعده أخوه أبو اليقظان محمد بن أفلح إلى وفاته سنة ٢٨١هـ، وولى تاهرت بعده ابنه يوسف، فأقام في الإمامة عاماً، ثم اختلف عليه الناس، واضطرب أمره، فخرج ولجأ على حصن ولاته، ودارت بينه وبن أهل تاهرت حروب شديدة، قادها عمه يعقوب بن أفلح الذي أقام والياً أربعة أعوام ثم خلعوه، وقدم يوسف بن ابي يقظان تاهرت، واستتبت له الأمور، ولكن بعد ست سنوات قتله بنو أخيه سنة ٢٩٤هـ، ثم ولي

---

(١) الشماخي، سير، ص١٤٥؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ص٣٨٩-٣٩٠.

(٢) الشماخي، سير، ص١٨٣.

(٣) الشماخي، السير، ص١٨٣.

(٤) ابن عذاري، البيان، ج١، ص١٩٧.

الإمامة يقظان بن أبي اليقظان وانتهى الأمر بقتله على يدي الداعية الشيعيّ مع جماعة من أهل بيته، وذلك في شوال سنة ٢٩٦هـ، وانقطع ملك بني رستم من تاهرت[1].

وفي ولاية يعقوب بن أفلح الذي حاول إصلاح ما فسد زمن سلفه في السلطة والإدارة/ ولكنه فشل، غير أن قبيلة كتامة التي يقودها الفارس عبدالله الصوفي هاجمت سنة ٢٩٧هـ مدينة تاهرت واحتلتها، واضطر الإمام إلى ترك مدينتهم والتجأوا إلى واحات (وارغلا) الحاميات الطبيعية لجبل نفوسه، وفي هذه الأثناء وصل الزحف الفاطمي للمغرب[2].

ومهما يكن من أمر، فإن الدولة العباسية كانت تحاول استغلال أي فرصة للسيطرة على افريقية والمغرب التابعة لها ودحر شوكة الدول التي تحاول الاستقلال، إذ كانت نهاية الإمامة الأباضية الثانية على أيدي العباسيين عام (٢٨٠هـ/٨٩٣م) بينما كانت نهاية الدولة الرستمية على يد أبي عبدالله الشيعيّ عام (٢٩٦هـ/٩٠٨م)[3].

والخلاصة أن الأئمة الرستميين استطاعوا بفضل بساطتهم وعلمهم، وبفضل من أحاط بهم من المخلصين أن يكتسبوا ثقة السكان المحليين من خلال الثورات التي قاموا بها أن يقيموا لهم دولة معادية للدولة العباسية، ومستقلة عنهم، إذ استمرت دولتهم ما يقارب مائة وخمسين سنة أي من ١٦١- ٢٩٦هـ/٧٦١- ٩٠٩م[4].

---

(١)ابن عذاري ، مرجع سابق، ج١، ص١٩٧.

(٢)ابن عذاري ، مرجع سابق، ج١، ص١٩٧.

(٣) أبو زكريا، سير الأئمة، ص ١٦٨؛ ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص ١٣٢-١٣٣؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص١٩٧؛ وانظر: امبو سعيدي، عبدالله بن سعود بن حمد، عُمان في عصر الإمامة الثانية، ١٧٧-٢٨٠هـ/ ٧٩٣-٨٩٣م، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف أ.د محمد عيسى صالحية، جامعة اليرموك، إربد، الأردن ١٩٩٥، ص ١٨٦.

(٤) أبو زكريا، السير، ج١، ص١٦٥-١٦٦؛ ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١٩٧؛ وانظر: خطاب، فتح، ٢٠٠٢م، ص٢١٨.

وفي عام ٢٩٦هـ/٩٠٩م، فتح الفاطميون افريقية، فقتل يقظان بن أبي اليقظان بن رستم مع جماعة من أهل بيته، وبذلك انهارت دولة بني رستم في تاهرت[١].

*** موقف الدولة العباسية من الدولة الرستمية:**

لما قامت الدولة العباسية سنة ١٣٢هـ استمر الأباضيون على نشاطهم الذي وجد تشجيعاً، بل ورعاية من بعض الشخصيات البارزة في الدولة الجديدة، وفي مقدمتهم عمة الخليفة المهدي وزوجها عبدالله بن الربيع الذي اعتنق المذهب الأباضي[٢].

وفي سنة ١٤٠هـ/٧٥٧م بايع الأباضيون الإمام أبا الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري خارج مدينة طرابلس ثم داخل المدينة بلا حرب، وأصبحت طرابلس وافريقية تحت سيطرته[٣].

وكان أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، من رجالات العرب، وكان على رأي الأباضية، ويحمل فكرهم، وكانت ورفجومة قد عاثت في افريقية فساداً، فامتعض من تصرفاتهم، وأعمالهم الشنيعة، وهزمهم في القيروان، وقتل عبد الملك بن أبي الجعد قائدهم سنة ١٤١هـ[٤].

وهكذا، فقد استولى أبو الخطاب على القيروان، ورجع إلى طرابلس حيث ولي على القيروان عبد الرحمن بن رستم -حد أبناء رستم أمير الفرس يوم القادسية- وذهب أبو الأعلى المعافري لملاقاة جيوش الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، التي أرادت إخراجه من افريقية[٥].

---

(١) أبو زكريا، السير، ج١، ص١٦٥-١٦٦؛ ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١٩٧؛ وانظر: خطاب، المغرب العربي، ص٢١٨.

(٢) أبو زكريا، سير، ص٣١؛ الناصري، الاستقصا، ج١، ص١٢٣.

(٣) أبو زكريا، سير، ص٣١؛ الناصري، الاستقصا، ج١، ص١٢٣.

(٤) الناصري، الاستقصا، ج١، ص١٢٣.

(٥) أبو زكريا، سير، ج١، ص٣١؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص٧١؛ الناصري، الاستقصا، ج١، ص١٢٣.

وقد حدثت معركة بين قوات ابن الأشعث وأبو الخطاب، وكان أبي جعفر المنصور قد كتب إلى ابن الأشعث بالخروج إلى افريقية، ومحاربة أبو الخطاب[1].

وقد هزم ابن الأشعث أبا الخطاب في هذه المعركة، وقتله وقطع رأسه وبعث به إلى الخلافة العباسية ببغداد[2].

ولّما علم عبد الرحمن بن رستم بما حدث لأبي الخطاب، أخذ أهله، ولحق بأباضية المغرب، ونزل على قبيلة لماية (بطن من بطون بني فاتن بن تامصيت من البربر البتر) إذ كان حلف بينه وبينهم[3].

وقد تبعت جيوش ابن الأشعث عبد الرحمن بن رستم الذي تحصن في جبل يقال له(سوفجج)، ولكن الجدري أصاب جيش بن الأشعث، فارتحل إلى القيروان بعد أن يئس من القبض على عبد الرحمن بن رستم[4].

وبهذا فإن جيوش ابن الأشعث والدولة العباسية، لم تستطع القبض على عبد الرحمن بن رستم الذي يعدّ بحق مؤسس الدولة الرستمية في تاهرت، وهذا يعني أن المذهب الأباضي سينتشر في المغرب[5].

وفي سنة ١٦٠هـ بويع عبد الرحمن بن رستم بالخلافة فتولاها، حيث كانت هناك اتصالات بينه وبين الأباضيين في البصرة لجمع الأموال لبناء تاهرت عاصمة الأباضية في المغرب[6].

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج١، ص٧١؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٢٨؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٤٠.

(٢) أبو زكريا، سير، ص٦٨-٦٩؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص٧٢.

(٣) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٢٨.

(٤) أبو زكريا، سير، ص٧٧؛ وانظر: خطاب، قادة فتح، ص٢١٨.

(٥) ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص٣٢-٣٣؛ أبو زكريا، سير، ص٧٧.

(٦) ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص٣٢-٣٣؛ أبو زكريا، سير، ص٧٧.

وقد قام عبد الرحمن بن رستم ببناء مدينة تاهرت حتى تكون مركزاً سياسياً لحكم بني رستم فيما بعد[1].

وكان بناء مدينة تاهرت، وجعلها مركزاً لتجمع المذهب الأباضي، ومدينة متوارثة لحكم بني رستم هو ضربة في الصميم للدولة العباسية التي أرادت أن تكون افريقية والمغرب على مذهب أهل السنة.

وكان عبد الرحمن بن رستم على علم ودراية بأن الدولة العباسية ستقوم بملاحقة ومقاتلة أصحابه من أتباع المذهب الأباضي، ولذلك فإنه قال عندما شرع ببناء مدينة تاهرت (هذا بلد لا يفارقه سفك دم ولا حرب أبداً)[2].

وكانت دولة بني الأغلب (حليفة الدولة العباسية) تقع على الحدود الجنوبية الغربية لدولة بني رستم[3].

وكان العداء بين الدولة الرستمية ودولة الأغالبة ـ حليفة الدولة العباسية سياسياً ومذهبيا ـ ذلك لأن الخوارج يعدون مخالفيهم من الكفار[4].

وقد بويع عبد الرحمن بن رستم بالإمامة، وقام بكل محاولة للقضاء على الفوضى والاضطرابات في المغرب الأوسط والأدنى، وأنقذ البلاد من الثورات المتعاقبة، وطبق مبدأ العدل بين الناس[5]، وكان عبد الرحمن بن رستم قد أرسل بعثة من تاهرت إلى قرطبة إلى بني أمية في الأندلس محاولة منه للتحالف مع أعداء العباسيين[6].

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج١، ص١٩٦؛ الناصري، الاستقصا، ج١، ص١٢٨.

(٢) البكري، المسالك، ج٢، ص٧٣٦.

(٣) البكري، المغرب، ص٦٨؛ الدرجيني، طبقات، ج١، ص١٩؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٩٢-١٩٣؛ وانظر: جوليان، شارل آندري، تاريخ افريقية الشمالية (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى) من البدء إلى الفتح الإسلامي، ترجمة محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية، تونس، ١٩٦٨م، ص٣٩-٤٠.

(٤) البكري، المغرب، ص٦٨؛ الدرجيني، طبقات، ج١، ص١٩.

(٥) ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص٣٢؛ وانظر: المدني، توفيق، مدخل لدراسة الدولة الرستمية واسهامها في التطور الفكري والحضاري، محاضرة ألقيت في الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي المنعقد في بوارجلان، مطبوعات ملتقى الفكر الإسلامي، الجزائر، الجزائر، ١٩٧٧م، ص١.

(٦) ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص٣٢-٣٣؛ وانظر: وفيقة، نشوء الدويلات، ص١٨.

وكان أباضية المشرق ينظرون لعبد الرحمن بن رستم وعدله ومساواته بأنه منقذهم الذي سيملك المشرق ويملؤه عدلاً[1].

وكانوا يترقبون اليوم الذي يقتحم فيه عبد الرحمن بن رستم إمام المغرب حدود المشرق ليعلن الخلافة الإسلامية من المنظور الأباضي[2].

وكان أباضية البصرة يرسلون الأموال إلى عبد الرحمن بن رستم لدعم الدعوة الرستمية والدولة الأباضية في المغرب الأوسط، إلا أن عبد الرحمن بن رستم رفض تلك الأموال[3] ذلك لأن أهلها في المشرق أحوج منه إليها حتى يقاوموا بها الفقر، وتكون لهم عوناً في مواجهة الدولة العباسية وولاتها[4]، ورفض عبد الرحمن بن رستم لتلك الأموال أكسبته ثقة الأباضية في المشرق الذين ازدادوا تعظيماً له، ووصل بهم الأمر إلى الرغبة في فرض إمامته عليهم، أي أن إمامته أصبحت فرضاً عليهم[5].

وحقاً، فقد استطاع عبد الرحمن بن رستم قبل موته من تهيئة كل أسباب الاستقرار الاقتصادي والسياسي والمذهبي لدولته[6].

يقول ابن الصغير: (ليس أحد ينزل من الغرباء إلا استوطن معهم ((الرستميون))، وابتنى بين أظهرهم، كما يرى من رضاء البلد وحسن سيرة إمامه وعدله في رعيته، وامانه على نفسه وماله، حتى لا ترى داراً إلا قيل هذا لفلان الكوفي، وهذه لفلان البصري، وهذه لفلان القروي، وهذا مسجد القرويين، وهذا مسجد البصريين، وهذا مسجد الكوفيين)[7].

---

(١) ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص١٠.

(٢) الكماك، موجز، ص١٨٩.

(٣) الكماك، موجز، ص١٨٩.

(٤) المصدر نفسه، ص١٥.

(٥) المصدر نفسه، ص١٥.

(٦) ابن الصغير، ص٣٦.

(٧) المصدر نفسه، ص٣٦.

ويقول ابن الصغير: (وانه لمّا وصل المال، واشتروا للقوم الكراع والسلاح وقوي الضعيف، وانتعش الفقير، وحسنت أحوالهم، وضافهم جميع من اتصل به خبرهم، وأمنوا ممن كان يغزوهم، ورأوا أنهم قادرون على غيرهم، ومن كانوا يخافون أن يغزوهم)[1]، وهذه إشارة إلى أعداء الدولة الرستمية الأباضية ومنهم الدولة العباسية التي كانت معارضة للدولة الرستمية، ودولة مستقلة عن الدولة العباسية.

ولّما أحس عبد الرحمن بن رستم باقتراب أجله اقتدى بعمر بن الخطاب (رض) فصمم على اختيار خليفته عن طريق انتهاج أسلوب الشورى، باختيار سبعة من أهل الثقة لاختيار واحد منهم[2].

وتم مبايعة عبد الوهاب بن رستم بعد شهرين من المشاورات، إذ تم مبايعته مبايعة عامة[3].

وقد انقسمت الأباضية عندما خلف عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم سنة ١٦٨هـ/٧٨٤- ٧٨٥م، فأنكر البعض أن يرث عبد الوهاب والده في الرئاسة، ولهذا السبب أطلق عليهم اسم النكار أو النكارية، بينما تمسكت الغالبية بصحة إمامة عبد الوهاب على أساس اختيار الأفضل (مجلس الحل والعقد)[4].

وفي سنة ١٧١هـ/٧٨٧م بلغ هارون الرشيد وفاة يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة والي افريقية، فولى الرشيد اخاه روح بن حاتم، وكان أكبر من يزيد سناً. وكانت افريقية في عهده هادئة وآمنة. وقد خافه البربر، ورغب في مهادنة عبد الوهاب بن رستم لتأمين جانب الرستميين[5].

---

(١) المصدر نفسه، ص٣٦.

(٢) أبو زكريا، سيرة الأئمة، ص٨٨-٨٩؛ الدرجيني، طبقات، ج١، ص٤٦؛ الشماخي، السير، ص١٥٤؛ وانظر: كحيلة، المغرب، ص٥٤.

(٣) ابن عذاري، البيان، ج١، ص١٩٧؛ أبو زكريا، سيرة الأئمة، ص٨٩؛ الدرجيني، طبقات، ج١، ص٤٦-٤٧.

(٤) الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية، ص١٧٣؛ ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٨٤-٨٥؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٤٨.

(٥) الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية، ص١٧٣؛ ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٨٤-٨٥؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٤٨.

وكان أخوه يزيد قد أكثر القتل في الخوارج بافريقيا، ولما استعمل المنصور يزيد بن حاتم على افريقيا استعمل أخاه روحاً بن حاتم على بلاد السند، فكان روح أشهر بالشرق من يزيد ويزيد أشهر بالغرب من روح، لطول مدة ولايته، ومقاتلة الخارجين عليه[1].

وامتدت الدولة الرستمية امتداداً واسعاً من أحواز طرابلس وجبل نفوسة شرقاً إلى تلمسان غرباً وإلى أعماق الصحراء جنوباً، وأدى بها هذا الامتداد إلى أن يصير لإقليم طرابلس قدر من الاستقلال في عهد الإمام عبد الوهاب، بل أن بعض ولاته صاروا يختارون من قبل رعيتهم، وتلقبوا بالإمامة، وهو ما يجيزه المذهب الأباضي، الذي يسمح بوجودِ إمامين في آنٍ واحدٍ في مكانين متباعدين[2].

ولما قامت دولة بني الأغلب ـ حلفاء العباسيين في القيروان ـ بدأ أمراؤها ينازعون الرستميين في أملاكهم بنفوسة، فلما استغاثت قبيلة هوارة بالإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم سنة ١٩٦هـ ضد أبي العباس عبدالله بن إبراهيم بن الأغلب، وقد زحف عبدالوهاب بحشود كبيرة من بربر نفوسه، وحاصر طرابلس، فاضطر ابن الأغلب على مهادنته على ان يحتفظ الأغالبة بمدينة طرابلس والساحل، بينما يضع الرستميون أيديهم على ضواحي طرابلس[3].

ومع أن حدود الدولة الرستمية كانت تتداخل مع حدود الدولة الأغالبية المتجاورة لها، ما أدى في بعض الأحيان إلى صدامات دامية، إلا أن الرستميين نجحوا في أن يخرجوا من هذه الصدامات وهم أكثر قوة ومنعة[4].

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٨٥.

(٢) كحيلة، المغرب، ص٥٥.

(٣) ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص١٤٥؛ ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص١٥٧؛ ابن خلدون العبر، ج٤، ص١٤٢١؛ الباروني، الأزهار، ص١٤٥.

(٤) كحيلة، المغرب، ص٥٥.

وفي عهد عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ازدهر المغرب، واجتمع له من أمر الأباضية مالم يجتمع للأباضية قبله، وكثرت جيوشه، وكلمة الناس واحدة في عهده، لا خارج ولا معارض له، ولا ثائر عليه[1].

وبعد وفاة عبد الوهاب بن عبدالرحمن بن رستم سنة ١٨٨هـ، تولى الإمامة بعده أفلح بن عبد الوهاب[2].

وكان أفلح قد دربه والده عبد الوهاب على أن يكون خليفته، وذلك عندما انتقل عبد الوهاب إلى جبل نفوسة وأقام به سبع سنوات، وكان يقصد عبد الوهاب الذهاب إلى الحج، إلا أنَ أهل نفوسة منعوه من ذلك خوفاً عليه من العباسيين، إذ قالوا له: (يا أمير المؤمنين لسنا ندعك مخافة عليك من المسوّدة (العباسيين) أن يأخذوك ويحبسوك فتعطل أمور المسلمين وحدود الله وأحكامه[3].

ولم يترك عبد الوهاب مدينة تاهرت إلا بعد أن أمن عليها ابنه أفلح، الذي تأكد فعلاً أنه قادر على حمايتها، وعلاوة على ذلك فإنه قد أظهر في إحدى المعارك البلاء الحسن، والقدرة والخبرة العاليتين والمهارة الفائقة[4].

وكان الإمام عبد الوهاب قد أرسل إلى أهل الدعوة في المشرق يستفتيهم في مسألة الذهاب إلى الحج أو الإقامة في جبل نفوسة، وقد وصلت الكتب إلى أهل الدعوة في المشرق وعلى رأسهم الربيع بن حبيب، وابن عباد إذ أجابه الربيع (من كان مثلك في العناء في أمور المسلمين، وتحمل أمانتهم وخاف على نفسه من المسودة (العباسيين) أن يبعث وهو حي) وقال ابن عباد: (من كان على هذه الصفة المذكورة من العناء في أمور المسلمين فليس عليه حج لأن أمان الطريق من الشروط التي يجب بها الحج على من استطاعه)[5].

---

(١) ابن الصغير، اخبار الأئمة، ص٤٥.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج١، ص١٩٧.

(٣) أبو زكريا، السير، ص١١٦؛ وانظر: بحاز، الدولة الرستمية، ص١١٨.

(٤) ابن الصغير، اخبار الأئمة، ص٥٥.

(٥) أبو زكريا، سير، ص١١٦.

وكان أمراء الدولة الرستمية يخافون على أنفسهم من فتك الدولة العباسية بهم، لأنهم كانوا يسعون إلى الاستقلال بأمور دولتهم، ذلك لأن الدولة العباسية وباستمرار كانت ترسل العيون وتستطلع أخبار الدولة الرستمية من خلال حلفائهم في افريقية وهم الأغالبة الذين كانوا على درجة عالية من الولاء والارتباط بالدولة العباسية.

وكان عبد الوهاب بن عبد الرحمن عندما حاصر وجموعه طرابلس، كان بينه وبين أهل طرابلس قتال شديد، كان إذا قيل له انهزم (المسلمون) انقبض وجهه وتعبس، وإذا قالوا انهزمت (المسودة) أي العباسيين انشرح وجهه وتبسم[1].

وإنِ دلّ ذلك على شيء فإنما يدلِ على مدى العداء المستحكم بين الدولة الرستمية المستقلة والدولة العباسية، سار الإمام أفلح بن عبد الوهاب على نهج والده في سياسته وبخاصة مع مناوئيه من الأباضية وأعدائه العباسيين[2].

والأدلّ على ذلك أن خلف بن السمح أحد الأباضيين استنكر ولاية أفلح عبد الوهاب، فاستشار أبا عبيدة بن عبد الحميد -هو أحد رجال الإمام أفلح- بواجب الدفاع، فأمره أفلح باستخدام اللطف واللين، إذ أن خلف بن السمح قد أقام في موضع يقال له (تيمتي)، فكان خلف بن السمح يقوم بالغارات المتواصلة على رجال الإمام أفلح، ويسفك الدماء، ويسلب الأموال[3].

وكان أبو عبيدة لا يحبذ إراقة الدماء بين أتباع المذهب الأباضي ولكنه قال: (ما أعظم إراقة الدماء أم الترك للقيام بدين الله تعالى)، فقال له أحدهم: (إراقة الدماء أعظم، فقال لهما أبو عبيدة: لو كان الأمر على إراقة الدماء لافترق أصحاب النهر وغيرهم، ولأذعنوا بطاعة الظلمة المسودة (العباسيين)[4].

---

(١) أبو زكريا، سير، ص١١٦.

(٢) أبو زكريا، سير، ص١٢٩-١٣٠؛ وانظر: الباروني، الأزهار، ج٢، ص٢٧٧.

(٣) أبو زكريا، سير، ص١٢٩.

(٤) المصدر نفسه، ص١٣٠-١٣٢.

أي أن الأمر أعظم من إراقة الدماء، وأعظم بكثير من إطاعة العباسيين الذين وصفهم بالظلمة والمستبدين، لأن الأمر يتعلق بمستقبل دولة كاملة بكل ما فيها من أرض حاكم ومحكوم.

وعندما بنى الأغالبة ـ حلفاء العباسيين ـ مدينة لهم بالقرب من تاهرت سنة ٢٣٩هـ، واطلقوا عليها اسم العباسية، تيمناً بالخلافة العباسية، قام الإمام أفلح بن عبد الوهاب بعد أن كمل بناؤها بتدمير العباسية عن بكرة أبيها، وأخبر الأمويين في الأندلس بذلك، وقد كافأ الأمويون الإمام أفلح بإرسال مائة ألف درهم تقديراً لجهوده في مواجهة عدوهم المشترك[1].

وكان من الطبيعي أن يقوم الأمويون بمكافأة الدولة الرستمية على ما قاموا به من حرق للعباسية ذلك لاتحادهم في مواجهة عدوهم العباسيين وحلفائهم بني الأغلب.

وفي سنة ٢٥٨هـ توفي الإمام أفلح بن عبد الوهاب، وترك الدولة لابنه أبي بكر بن أفلح بن عبد الوهاب[2].

وفي عهد أبي بكر بن أفلح قامت فتنة ابن عرفه، ذلك أنه قبل أن يتوفى الإمام أفلح قدّم ابنه أبا بكر للناس ليكون إمامهم، وكان في تاهرت رجل يعرف بمحمد بن عرفه، وكان ذا ثروة طائلة وكانت زوجة الإمام أبي بكر بن أفلح وهي أخت محمد بن عرفه، وكان الحاكم الفعلي للدولة الرستمية هو محمد بن عرفة، إذ كانت الإمامة رسمياً لأبي بكر بن أفلح وفعلياً لابن عرفه[3]، وهذا يعني أن محمد بن عرفة سيستغل نسبه من الإمام أبي بكر، وسيتصرف بالدولة كما يشاء، فكل شيء في الدولة أصبح الآن بين يديه.

وكان أبو اليقظان أخو الإمام أبي بكر بن أفلح غائباً في أرض المشرق إذ أن العباسيين قد قبضوا عليه في الحج، فأخذوه وحبسوه، ثم أطلقوا سراحه، فتوجه إلى تاهرت[4].

---

(١) ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٤٢٩.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج١، ص١٩٧.

(٣) ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص٧١-٧٢.

(٤) ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص٧٢-٧٣؛ أبو زكريا، سير، ص١٤٢-١٤٣.

وعندما تأكد أبو بكر بن أفلح من أن ابن عرفه لا يريد الخير له ولدولته، أوجس منه خيفة، وقام أبو اليقظان بتحريض أخيه ابي بكر على قتل محمد بن عرفه، وفعلاً قام أبو بكر خفية ودون علم العامة بقتل محمد بن عرفة[1].

وكان أهل تاهرت قد أخرجوا أبا بكر بن أفلح بن عبد الوهاب، ثم أعادوه إليها، وتوفي في تاهرت سنة ٢٤١هـ/٨٥٥م[2].

وتولى الإمامة بعد أبي بكر بن أفلح أخوه أبو اليقظان محمد بن أفلح (٢٤١-٢٨١هـ/٨٥٥-٨٩٤م) وكانت مدة ولايته سبعاً وعشرين سنة[3].

وكانت الدولة العباسية قد أغدقت المال علي أبي اليقظان عندما كان مسجوناً في سجون بغداد إذ قدم إلى تاهرت ومعه المال، فصارت الدعوة والإمامة كلها لأبي اليقظان، فتوافدت عليه الأباضية من كافة الأقطار[4].

ويبدو أن الدولة العباسية كانت تسعى من وراء إغداق الأموال على أبي اليقظان أن يكون حليفاً لها، وأن تكون الدولة الرستمية مستقبلاً تابعة، ولو اسمياً، للدولة العباسية، وأن يكون أبو اليقظان على اتصال مباشر بالدولة العباسية كما كانت دولة الأغالبة.

إلا أن أبا اليقظان كان يعي ما يقوم به، ويعي ما تفكر به الدولة العباسية، الأمر الذي جعله يقيم علاقات الود والصداقة مع أعداء الدولة العباسية وهم أمويو الأندلس.

وفي عهد ابو اليقظان محمد بن أفلح، دامت علاقات الود والصداقة والتواصل بين تاهرت وقرطبة وكان أبو اليقظان يستشير محمد بن عبد الرحمن (الأوسط) ٢٣٨-٢٧٣هـ وبني مدرار في سجلماسة[5].

---

(١) ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص٧٨.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج١، ص١٩٧؛ أبو زكريا، سير، ص١٤٣.

(٣) ابن عذاري، البيان، ج١، ص١٩٧؛ ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص٨٥.

(٤) ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص٨٥.

(٥) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٢٤.

وقد تعرض الأباضيون إلى ضربة قوية على يد الأمير إبراهيم بن أحمد بن الأغلب –حليف الدولة العباسية– وذلك عند خروجه لقتال ابن عمه محمد بن زيادة الله بن الأغلب، وقد خرج إبراهيم من رقادة ومعه قوة عسكرية كبيرة، وكان من الطبيعي أن يمر من جبل نفوسة(*)(1).

وفي عهد أبو اليقظان محمد بن أفلح وبالتحديد في سنة ٢٦٧هـ/٨٧٦م، خرج العباس أحمد بن طولون –الي مصر من قبل العباسيين–يريد غزو القيروان والاستقلال بحكمها عن أبيه وعن الخلافة العباسية، إذ قام بالاستيلاء على الكثير من الأموال، وحشد أعداداً كبيرة من الجند لهذا الغرض(2).

وقد كتب العباس أحمد بن طولون إلى إبراهيم بن أحمد الأغلب يخبره أنه كتب للمعتمد الخليفة العباسي(*) يخبره بتولي حكم افريقية، ويأمره بإقامة الدعوة له، وانتهى أمره إلى حصن يعرف بلبدة(*)، ففتحه أهل له، وأطلق العباس لأصحابه نهب الحصن، وقتلوا الرجال وفضحوا النساء أو ذاع الخبر، واستغاث أهل حصن لبدة بإلياس بن منصور النفوسي رئيس الأباضية(3).

(*) جبل نفوسة: جبل في المغرب بعد افريقية. وفي هذا الجبل مدينتين وهما: سروس في وسط الجبل وجادو من ناحية منطقة نفزاوة وجميع أهل هذا الجبل هم أباضية (شراة ووهبية) وهم متمردون عن طاعة السلاطين، وبين جبل نفوسة وطرابلس مسيرة ثلاثة أيام وبينه وبين القيروان ستة أيام، وعندما فتح عمرو بن العاص جبل نفوسة كان أهله من النصارى. أنظر: مجهول، الاستبصار، ص١٤٤–١٤٥؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص٢٩٦–٢٩٧.

(1) الدرجيني، طبقات، ج١، ص٨٧؛ وانظر: دبوز، تاريخ المغرب، ج٣، ص٣٥٢؛ إسماعيل، محمود، الأغالبة وسياستهم الخارجية، فاس، المغرب، ١٩٧٨م، ص٥٦.

(2) ابن سعيد، علي بن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، تح زكي محمد حسن وآخرون، جامعة فؤاد الأول، القاهرة، ١٩٥٣م، ج١ي، ص١٢٠. وسيشار إليه فيما بعد: ابن سعيد، المغرب؛ وانظر: بحاز، الدولة الرستمية، ص١٢٥.

(*) المعتمد: المعتمد على الله الخليفة العباسي، وقيل أبو جعفر وهو أحمد بن المتوكل على الله بن المعتصم بن الرشيد ولد سنة ٢٢٩هـ وأمه رومية واسمها فتان، توفي سنة ٢٧٩هـ، وقيل أنه سمّ وخلافته دامت ثلاث وعشرين سنة، وممن مات في أيامه الإمام البخاري، والإمام مسلم والإمام أبو داود والترمذي وابن ماجة. أنظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٣٤٠–٣٤١.

(*) لبدة: مدينة بين برقة وطرابلس، وقيل بين طرابلس وجبل نفوسة وهي مدينة على البحر المتوسط شرقي طرابلس. أنظر: ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص١٠.

(3) ابن سعيد، المغرب، ج١، ص١٢٠.

فغضب إلياس بن منصور غضباً شديداً على تلك التصرفات الرعناء، وكان العباس قد كتب إلى إلياس بن منصور النفوسي بضرورة طاعة إلياس له، وإلا سيقوم العباس بمهاجمة لبدة، الأمر الذي دفع إلياس بن منصور إلى التوجه نحو طرابلس، وفك حصارها، وقتل الكثير من جنود إلياس، وهزمهم، وبذلك فإن إلياس بن منصور قد قدم للأغالبة مساعدة كبيرة[١].

وقد احتدم القتال بين الأغالبة ـ حلفاء بني العباس ـ والرستميين، الأمر الذي أدى إلى أن حلت الكارثة بالقبائل، فانقصم ظهر الأباضيين في معركة مانو سنة ٢٨٣هـ/٨٩٦م، وكانت تلك المعركة سبباً في سقوط الدولة الرستمية[٢]، إذ تقدم إبراهيم بن أحمد الأغلبي بعد ذلك إلى طرابلس، وقتل ابن عمه محمد بن زيادة الله[٣].

وكان إبراهيم بن أحمد معروفاً عنه سفك الدماء، وعلى النقيض من محمد بن زيادة الله الذي كان يتصف بالأدب وحسن التصرف والظرافة، إذ كان لمحمد بن زيادة الله عدة مؤلفات، منها: (راحة القلب) و(الزهد) و(تاريخ بني الأغلب)[٤].

وفي رواية أبي اسحق الرقيق التي يذكرها ابن الآبار في (الحلة السيراء) أن بكر بن حماد التاهرتي الأباضي كان ينعت إبراهيم بن أحمد بالطاغية، والفاسق، لأنه كان مشغولاً عن رعيته وكان يحب النساء والجواري، ولا يستطيع أحد الوصول إليه، ومن أفعاله أنه منع النبيذ في القيروان، وسمح به في رقادة[٥].

كان أباضية جبل نفوسة قد أيدت سلطة الرستميين، وكان الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن قد قال فيهم: (إنما قام هذا الدين بسيوف نفوسة، وأموال مزاته)، وقد

---

(١) المصدر نفسه، ص١٢٣؛ وانظر: بحاز، الدولة الرستمية، ص١٢٥-١٢٦.

(٢) بحاز، الدولة الرستمية، ص١٢٨.

(٣) مجهول، العيون والحدائق في أخبار الحقائق، تح عمر السعيدي، (د.مط)، دمشق، ١٩٧٢م، ج٤، ق١، ص٨٥-٨٦. وسيشار إليه فيما بعد: مجهول، العيون.

(٤) ابن الآبار، الحلة السيراء، ج١، ص١٨٠؛ مجهول، العيون، ج٤، ص٨٦.

(٥) ابن الآبار، الحلة السيراء، ج١، ص ١٧٢-١٧٣.

اتصلت أباضية جبل نفوسة بالأئمة الذين عاشوا مع العباسيين، وكان ذلك على عهد المتوكل (ثاني الخلفاء العباسيين)[1].

فلما تداركت الكتب إلى الخليفة العباسي المتوكل أنفذ إلى المغرب عسكراً، وجعل إبراهيم ابن أحمد بن الأغلب، فسار إبراهيم بعسكره نحو المغرب، فلما قرّب من طرابلس سمعت بخبره نفوسة وعزموا ألاّ يتركوه، لأنه يريد الوصول إلى تاهرت[2].

فلمّا رأى إبراهيم تصميم أباضية جبل نفوسة على ذلك أراد قتالهم، وتهيأ لذلك إذ قال لأصحابه: (خذوا عدتكم، وشمّروا على أنفسكم، وجاوزوا البحر، ولا تتعرضوا لهؤلاء القوم (أباضية جبل نفوسة)، فإنهم تركونا وطريقنا، وإلا ناصبناهم (أي استعددنا لقتالهم)[3]، لكن أباضية جبل نفوسة قتلوه في معركة مانو[4]، فطلب رجل من العباسيين المبارزة فخرج أفلح بن العباس، ولكن أصحابه رفضوا مبارزته، ولكن أفلح بارز الرجل العباسي وقتله[5].

وكان أفلح بن العباس قد كره لقاء إبراهيم بن أحمد الأغلبي (الفاسق) كما يسميه الأباضية[6].

وكان عدد قتلى جبل نفوسة اثنتي عشر ألفاً، أربعة آلاف من نفوسة، وثمانية ممن كان معهم من البربر، وغيرهم، وفيهم أربعمائة عالم وفقيه[7].

وعند فرغ إبراهيم بن أحمد الأغلبي من قتال أباضية جبل نفوسة ذكر له أن منطقة قنطرارة (وكان واليها سعد بن وسيم النفوسي)، وكان بها بقية من الأباضية، فاتجه نحوه

---

(١) ابو زكريا، سير، ص١٥٠.

(٢) ابو زكريا، سير، ص١٥١؛ وانظر: إسماعيل، الأغالبة، ص٥٦.

(٣) ابو زكريا، سير، ص١٥٢.

(٤) ابو زكريا، سير، ص١٥٢.

(٥) المصدر نفسه، ص١٥٢.

(٦) ابو زكريا، سير، ص١٥٢.

(٧) ابو زكريا، سير، ص١٥٢.

حيث أتاهم بغتة فنزل عليهم بعد طلوع الفجر فقتلهم، واختار من علمائهم ثمانين عالماً، فأوثقهم وعذبهم[1]، وقام إبراهيم بن الأغلب باصطحاب الثمانين عالماً معه إلى مدينة القيروان، ثم قام بقتلهم بعد أن هرب أحد العلماء منهم ويدعى ابن يثوب[2].

وفي سنة ٢٨١هـ/٨٩٤م توفي محمد بن أفلح، وتولى الأمر بعده أخيه أبي حاتم يوسف بن أبي اليقظان، فأقام فيها عاماً واختلف عليه الناس، واضطرب أمره، فخرج إلى حصن لواته، وقامت بينه وبين أهل تاهرت حروب عظيمة[3].

ثم تولى يعقوب بن أفلح بن عبد الوهاب فقام والياً أربعة أعوام، ثم خلع وتولى بعده أبا حاتم بن أبي اليقظان إذ بقي في الحكم ستة أعوام، إذ قتله بنو أخيه سنة ٢٩٤هـ، ثم تولى يقظان بن أبي اليقظان فقتله أبو عبد الله الشيعيّ سنة ٢٩٦هـ، وبذلك سقطت الدولة الرستمية وانقطع خبرها في هذا التاريخ[4].

وبهذا يكون إبراهيم بن أحمد الأغلبي (حليف الدولة العباسية وممثلها في المغرب) قد وجه ضربة قوية ذات صدىً كبير للأباضيين بقيادة ابن عمه عبدالله سنة ٢٨٤هـ/٨٩٧م، وقد أسر منهم أكثر من ثلاثمائة رجل، وعاد بهم إلى تونس[5].

ومهما يكن من أمر، فإن علاقة الدولة العباسية بالدولة الرستمية وموقفها من الدولة الرستمية كان يتصف بالسلبية، والعدائية، وعدم قبول، ورفض وجود دولة أباضية رستمية، وقد كانت الدولة الأغلبية في افريقية (القيروان) تقوم بدور الدولة العباسية في المغرب وافريقية ومضايقة الدولة الرستمية وذلك لاختلاف المذهب والولاء،

---

(١) ابو زكريا، سير، ص١٥٢.

(٢) المصدر نفسه، ص١٥٦.

(٣) أبو زكريا، سير، ص١٤٥؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص١٩٧.

(٤) أبو زكريا، سير، ص١٦٤؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص١٩٧.

(٥) ابن عذاري، البيان، ج١، ص١٣٠؛ وانظر: إسماعيل، الأغالبة، ص١١١؛ إسماعيل، الخوارج، ص١٤٥؛ الطالبي، محمد، الدولة الأغلبية، التاريخ السياسي ١٨٤-٢٩٦هـ / ٨٠٠-٩٠٩م، تعريب المنجي الصيادي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٥م، ص٣٢٨.

إلا أن الدولة الرستمية كان همها الوحيد ومنذ تأسيسها هو تنظيم الدولة الرستمية على مبادئ الأباضية والاستقلال التام عن الدولة العباسية.

هكذا فإن الدولةالرستمية كانت دولة مستقلة عن الدولة العباسية على يد البربر الذين كانوا يناهضون الخلافة العباسية.

وقد استمرّت الدولة الرستمية طوال فترة وجودها وهي تحاول تنظيم دولة استقلالية عن جسم الدولة العباسية بمبادئها الأباضية، واستمرت أكثر من أربعة عشر عقداً، وكانت نهايتها على يد الفاطميين عندما سار أبوعبدالله الشيعيّ إلى سجلماسة لمحاربة إليسع بن مدرار وتخليص محمد المهدي وابنه من السجن أثناء سيره إلى تاهرت عاصمة الرستميين، فدخلها بالأمان، وقتل من بها من الرستميين من بينهم يقظان بن أبي اليقظان (٢٩٤-٢٩٦هـ/٩٠٦-٩٠٩م) وجماعته من أهل بيته، وبعث برؤوسهم إلى القيروان/ ونصبت على باب رقادة، وهكذا انقضت وانتهت الدول الرستمية في تاهرت[1].

(١) وثيقة، نشوء الدويلات، ص٣٨.

الفصل الثاني

دولة الأدارسة

(١٧٢ – ٣١١هـ/٧٨٨ – ٩٢٣م)

- الأسباب التي أدت إلى قيام دولة الأدارسة.
- المبادئ التي نادوا بها.
- موقف السكان المحليين من دولة الأدارسة.
- موقف الدولة العباسية من دولة الأدارسة.

الفصل الثاني

دولـــة الأدارســـة

(١٧٢- ٣١١هـ / ٧٨٨- ٩٢٣م)

* الأسباب التي أدّت إلى قيام دولة الأدارسة :

في سنة ١٤٥هـ ظهر محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (النفس الزكية) في المدينة، وخرج على الخليفة العباسيّ أبي جعفر المنصور، وكان محمد بن عبدالله بن الحسن يطالب بحقه في الخلافة، وقد ناصره أهل المدينة على ذلك[1].

ولما ورد خبر خروج محمد النفس الزكية على المنصور أراد المنصور من رجاله من يشير عليه بالرأي حول هذا الحدث، فأرسل إلى بديل بن يحيى بالكوفة (إذ كان السفاح يشاوره) فأشار عليه بشحن الأهواز بالجنود، لأنها الباب التي يؤتى منه الضعف[2].

وقد حصلت مراسلات بين أبي جعفر المنصور ومحمد النفس الزكية، حول أحقية كل منهم بالخلافة، ففي الرسالة الأولى التي بعثها أبو جعفر المنصور إلى النفس الزكية أمنه على نفسه، وولده، واخوانه، وأهل بيته، وماله، وأن يعطيه ألف ألف درهم وأن ينزله من البلاد ما يشاء، إلا أنّ محمد النفس الزكية رفض ذلك، وقال للمنصور: (إنني أعرض عليك مثلما عرضت علي من الأمان، والنفس، والمال، والولد، والأهل)[3].

---

(١) الطبريّ، تاريخ، ص٤٣٠؛ ابن الأثير، الكامل ج٥، ص٢، ٤؛ ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، تح عبد القادرمحمد مايو، دار القلم العربي، حلب، ط ١، ١٩٩٧م ، ص١٦٣. وسيشار إليه فيما بعد: ابن الطقطقي، الفخري.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٤-٥.

(٣) الطبريّ، تاريخ، م٤، ص٤٣٠؛ ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٥.

وكان محمد النفس الزكية قد استعمل على مكة محمد بن الحسن بن معاوية بن عبدالله بن جعفر، والقاسم بن إسحاق على اليمن، وموسى بن عبدالله على الشام[1].

وكان محمد النفس الزكية قد أرسل أخاه إبراهيم إلى البصرة لنشر دعوته[2].

وخلاصة القول فإن أبا جعفر المنصور قد أرسل جيشاً بقيادة أخية عيسى بن موسى لقتال محمد بن عبدالله (النفس الزكية) والقضاء على حركته، وقد تخلى عنه أهل المدينة، وقتل محمد النفس الزكية بعد أن قاتل قتالاً عظيماً[3].

وكان إبراهيم بن عبدالله أخو محمد النفس الزكية قد قتل في قرية باخمرى (وهي بلدة قريبة من الكوفة) على يد عيسى بن موسى إذ كان إبراهيم قد سيطر على الأهواز والبصرة، وفارس، لنشر دعوة أخيه محمد منذ عام ١٤٥هـ[4].

وقد كان العلويون ينتظرون الفرصة المناسبة للانقضاض على الدولة العباسيّة، والثأر منها، ففي ولاية موسى الهادي بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، خرج في المدينة الحسين بن علي بن الحسن (المثلث) بن الحسن (المثنى) بن الحسن (السبط) بن علي بن أبي طالب وكان معه جماعة من أهل بيته، ومنهم إدريس، ويحيى، وسليمان بنو عبدالله بن الحسن (المثنى) هم إخوة محمد النفس الزكية، فحدث بينه وبين عامل الهادي على المدينة (عمر بن عبد العزيز بن عبدالله بن عمر بن الخطاب) قتال، فانهزم عامل الهادي، وبايع الناس الحسين على الكتاب والسنة كإمام مستور حتى يظهره الله[5].

وفي سنة ١٦٩هـ حصلت مواجهات بين أتباع الحسين بن علي بن أبي طالب وجماعة من بني العباس وأتباعهم كانوا قد حجوا، حيث اقتتلوا مع أتباع الحسين يوم

---

(١) الطبريّ، تاريخ، م٤، ٤٢٧-٤٢٨؛ ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٧.

(٢) الطبريّ، تاريخ، م٤، ص٤٦٣-٤٦٤؛ ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٧.

(٣) الطبريّ، تاريخ، م٤، ص٤٥٣-٤٥٤؛ ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص١٠؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٥٠.

(٤) الطبريّ، تاريخ، م٤، ص٤٧٥-٤٧٧؛ ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٣١٦؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٥١.

(٥) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٥١.

التروية، فانهزم الحسين وأصحابه وقتل، وقد قطعوا رأسه وجمعوه مع رؤوس أصحابه، وأحضروه أمام الهادي، وكان مقتلهم بمكان يقال له فخ(*) (1).

وكان قد اشترك في القتال في موقعة فخ مع الحسين عماه إدريس بن عبدالله ويحيى، وكان إدريس قد نجا من القتل في تلك الموقعة(2).

وكان إدريس بن عبدالله قد فرّ من فخ، وذهب إلى مصر، وكان على بريدها إذ ذاك واضح مولى صالح بن المنصور (ويعرف بالمسكين)، وكان واضح يتشيع لآل البيت، الأمر الذي جعل واضحاً يساعد إدريس للهروب إلى المغرب(3).

وكان مع إدريس لحظة دخوله على لمغرب مولاه راشد، وقد نزل إدريس مدينة ومولاه وليلي(*) وهي من أعمال طنجة(*)، سنة ١٧٢هـ، وكان بها يومذاك إسحق بن محمد بن عبد الحميد أمير أورية من برير البرانس، فأجاره، وأكرمه، ودعا البربر لتبني دعوته، وخلع طاعة بني العباس(4).

وسمع الرشيد بما فعله واضح مولى صالح بن المنصور عندما أدخل إدريس بن عبدالله، وساعده في دخول مصر، فقام الرشيد بقتل واضح(5).

(*) فخ: واد في مكة ويقال له وادي الزاهر. أنظر: ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٢٣٧.

(1) ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٢٣٧-٢٣٨؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٥١.

(2) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٥٢.

(3) البكريّ، المسالك، ص٧٩٩؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٥٢.

(*) وليلي وقد تكتب (وليله): كما في النقود الإدريسية التي ضربت بها حيث توجد عين تحمل اسم عين وليلي، ومن المرجح أن يكون هو مولاي إدريس الحالي. أنظر: ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص٣٨٤.

(*) طنجة: وهي مدينة تنجس، وتقع على مضيق جبل طارق على مسافة ١٠كم من رأس شبرتال. أنظر: ابن حوقل، صورة الأرض، ص٨٠؛ البكريّ، المغرب، ص١٠٨-١٠٩؛ وانظر: العربي، اسماعيل، دولة الأدارسة (ملوك تلمسان وفاس وقرطبة) مطبعة مكتبة الفلاح، الكويت، ١٩٨٩م، ص٦٢؛ حتاملة، الأندلس، ص٤٥،٤١،٣٤،٢٥، أيبريا، مطابع الرأي، عمان، ط١، ٢٠٠٣م، ص١٦٦-٢٤٤، جيل المولدين، ص٩٨،٩٠،٩٢.

(4) البكريّ، المسالك، ص٧٩٩؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٥٣؛ ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبدالله الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، ١٩٧٢م، ص٢٠.

(5) الرقيق القيروانيّ، تاريخ افريقية، ص٢١٥؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٥٣.

وكانت قبائل البربر وعلى رأسها أورية قد اعتنقت دعوته، ومن القبائل الأخرى التي أيدته وناصرته قبائل زناتة، وزواغة، وزواوة، ولماية، وسدراتة، وغياثة، ونفزة، ومكناسة، وغمارة فبايعوه، ودخلوا في طاعته، فقوي سلطانه[١].

ولهذا فقد قامت الدولة الإدريسية، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى مؤسسها إدريس بن عبدالله بن الحسن بن علي بن أبي طالب الذي هرب إلى المغرب، نتيجة ضغط العباسيّين، وأسس هذه الدولة[٢].

ويرجع الفضل إلى راشد مولى إدريس، في وصول إدريس بن عبدالله سالماً إلى المغرب الأقصى، والدعاية له بين قبائل البربر لقبول وتبني دعوته[٣].

وقد أسس إدريس جيشاً من قبائل أورية، وزناتة، وصنهاجة، وهوارة، وغيرهم[٤].

وبذلك تم تأسيس الدولة الإدريسية في المغرب، وسميت نسبة إلى مؤسسها إدريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، الذي هرب إلى المغرب نتيجة ضغط العباسيّين وأسس هذه الدولة سنة ١٧٢هـ[٥].

وكان والي مصر آنذاك علي بن سليمان العباسيّ الذي علم بأمر إدريس وفراره إلى مصر ثم إلى المغرب، إذ كان قد بثّ العيون على الطرقات، وكان إدريس ومولاه قد خرجا بزيّ التجار، وخرج إدريس مع أحد المصريين المتشيعين لآل البيت، فسلكا طريق البرية، إذ وصلا إلى برقة، وأقاما بها حتى لحق بهما راشد[٦]، ثم وصل إلى المغرب الأقصى[٧].

---

(١) البكريّ، المسالك، ص٨٠١؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٥٥؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢٠. وسيشار إليه فيما بعد: ابن أبي زرع، روض القرطاس.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج١، ص٨٢؛ ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، ط٤، ٢٠٠٧م، ص٤٩. وسيشار إليه فيما بعد: ابن حزم، جمهرة.

(٣) البكريّ، المغرب، ص١٢٢؛ مجهول، الاستبصار، ص٤؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص٤٢٤.

(٤) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢٠.

(٥) ابن عذاري، البيان، ج١، ص٨٢.

(٦) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٥٤؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص١٨.

(٧) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٥٤؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص١٨.

وفي رواية للكنديّ في (الولاة والقضاة) أن علي بن سليمان العباسيّ كان قد تستر على قريبه العلويّ، الأمر الذي أدى بالرشيد أن يعزله[1].

وكان إدريس بن عبدالله قد واصل رحلته من برقة إلى تلمسان، حيث استراح بها أياماً ثم ارتحل نحو بلاد طنجة فقد عبر وادي ملوية، ودخل بلاد السوس الأدنى، وتقدم إلى مدينة طنجة، وهي يومئذ مركز المغرب الأقصى، ومركز مدنه، ثم تابع سيره حتى وصل مدينة وليلي[2].

وكان إدريس قد لحق بتاهرت عاصمة الرستميين بالمغرب الأوسط، وذلك قبل أن يرحل إلى المغرب الأقصى، ويستقرّ بمدينة وليلي في سنة ١٧٢هـ/٧٨٨م[3].

ويمكن الاستفادة من تاريخ عزل الوالي علي بن سليمان وذلك لتوقيت وصول إدريس بن عبدالله إلى المغرب، وظهور أمره هذا، ولو أن هناك رواية في (البيان المغرب في أخبار المغرب) لابن عذاري تذكر أن دخول إدريس للمغرب كان سنة ١٧٠هـ/٧٨٦م، ولكن الأستاذ سعد زغلول عبد الحميد في (تاريخ المغرب العربي) يقول (نعتقد أنه يقصد بذلك خروجه من مصر إلى المغرب)[4].

وهذا يرجع للرواية التي تقول أن الذي تولى قتل واضح هو الرشيد، وليس الهادي موسى الذي مات في منتصف ربيع الأول سنة ١٧٠هـ، حسبما تقول رواية الواقديّ الذي ينقلها الطبري[5].

وعندما نزل إدريس مدينة وليلي ـ وهي قاعدة جبل زهرون في أراضي طنجة ـ نزل على صاحبها الأمير إسحق بن محمد بن عبد المجيد الأوربيّ ـ نسبة إلى قبيلة أورية البربرية ـ حيث أكرم إدريس وبالغ في بره فأظهر له إدريس أمره، وعرفه على نسبه، فوافقه على

---

(١) الكندي، الولاة، ص١٣١؛ وانظر: نيبلة، محاضرات، ص٢٦٤-٢٦٥.

(٢) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٥٤؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص١٩.

(٣) البكريّ، المغرب، ص١١٨؛ مجهول، الاستبصار، ص١٩٤؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ص٥٤-٥٥.

(٤) زغلول، تاريخ المغرب، ص٤١٢، وهامش ص٤.

(٥) الطبريّ، تاريخ الرسل، م٤، ص٦٠٠ .

حاله وأنزله بداره، وأقام عنده ستة أشهر، يقول ابن خلدون في (العبر): (فأجاره وأكرمه وجمع البربر على القيام بدعوته، وخلع الطاعة العباسيّة، وكشف القناع، واجتمع عليه البربر بالمغرب، فبايعوه، وقاموا بأمره)، وفي يوم الجمعة من شهر رمضان سنة ١٧٢هـ/٧٨٨م، جمع عبد المجيد (زعيم أوربه) اخوته من قبائل أوربه، فعرّفهم بنسب إدريس، وفضله، وقرابته من الرسول ﷺ وشرفه، وعلمه، ودينه، والفضائل المجتمعة فيه، فقالوا: (الحمد لله الذي أتانا به وشرفنا بجواره، ورؤيته فهو سيدنا، ونحن عبيده، نموت بين يديه، فما تريد منا، قال: تبايعونه فقالوا: سمعاً وطاعة، ما منا يتوقف عن بيعته)، فبايعته قبائل أوربه، وكانوا في ذلك الوقت أعظم قبائل المغرب، وأكثرها عدداً، وأشدهما قوة وبأساً، فكانوا هم أنصاره الأولين[1].

فبويع إدريس سنة اثنتين وسبعين ومائة[2]. وخطب إدريس بالناس يوم بيعته، فكان مما قال في خطبته ((أيها الناس لا تمدوا الأعناق إلى غيرنا، فإن الذي تجدونه من الحق عندنا لا تجدونه عند غيرنا))[3].

وبعد انضمام كل هذه القبائل إلى الدعوة العلوية بدأ إدريس في تأسيس الدولة الإدريسية، وذلك حسب الأهداف التي أخذ الإمام على عاتقه القيام بها، والتي تتفق ورسالة آل البيت وهي العمل على نشر الإسلام، والجهاد في سبيل الله، أما عن مجال هذا العمل فكانت الأقاليم لم ترسخ أقدام الإسلام فيها بعد، أو التي عرف أهلها بالزيغ، وانحراف في العقيدة[4].

---

(١) البكريّ، المغرب، ج١، ص١١٦؛ الرقيق القيروانيّ، تاريخ افريقية، ص٢١٥؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص١٨٣؛ إما ابن زرع فإنه ذكر أن وصول إدريس إلى مدينة وليلي كان في غرة ربيع الأول سنة ١٧٢هـ/ ٧٨٨م، روض القرطاس، ص٧؛ ولم يرد ذكر لتاريخ بيعة إدريس في كتاب ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢٤.

(٢) البكريّ، المغرب، ج١، ص١١٦؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص١٨٣؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٧؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢٤.

(٣) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص٦٢؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٤؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢٤.

(٤) زغلول، تاريخ المغرب، ص١٤١٦؛ نيلة، محاضرات، ص٢٦٥؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص٢١.

وتزوج إدريس بن عبدالله ابنة صاحب مدينة وليلي الذي استضافه، وأكرمه الأمير اسحق بن محمد بن عبد المجيد الأوروبيّ، واسم ابنته كنزه أو كنيزة المرضية، وكانت ذات جمال وحسن، وبهاء وكمال، واعتدال. ولما استقام أمره أخذ جيشاً عظيماً من وجوه قبائل زناته وأوريه، وصنهاجة، وهواره، وخرج غازياً إلى بلاد تامسنا[١].

وبهذا فإن إدريس افتتح تامسنا[٢]، وافتتح كذلك منطقة تادلا، وشالة في المغرب الأقصى في أواخر سنة ١٧٣هـ/٧٨٨م[٣]. ثم زحف سنة ١٧٣هـ إلى تلمسان[٤]، وكان بتلمسان أميرها محمد بن خزر المغراوي، فخرج إليه مبايعاً مطيعاً، فأمنه وأبقاه أميراً بتلمسان، ورجع إدريس إلى مدينة وليلي[٥].

وهكذا نرى أن السوس الأقصى أول من غلب عليها وافتتحها وسيطر عليها هو إدريس بن عبدالله مؤسس الدولة الإدريسية[٦].

وعندما اشتهر ذكر إدريس، وعلا صيته، وأمره، وفشا خبر غزواته وفتوحاته، ودخول الناس في طاعته واستجابتهم لدعوته، خاف الرشيد من ذلك، واغتمّ، حتى أنه امتنع عن النوم، لأنه خشي من تفاقم سلطان الأدارسة في المغرب الأقصى، فعمل على التخلص منه[٧].

---

(١) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص١٤٧-١٤٨؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص٦٢؛ مؤنس، تاريخ المغرب، م١، ص٣٨١؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص٢١.

(٢) البكريّ، المغرب، ص١١٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٨٤؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٥٦؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٧؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢٤.

(٣) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٥٦؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٧؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢٤.

(٤) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ٧-٨؛ انفرد ابن أبي زرع بذكر حركة لإدريس الأكبر إلى منطقة فازاز ونواحيها، بعد الحركة إلى تامسنا وتادلا مباشرة، وجعل تاريخها من أوائل سنة ١٧٣هـ إلى منتصف جمادى الآخرة سنة ١٧٣هـ/ ٧٨٩م. أنظر: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٧-٨.

(٥) لم يتحدث ابن عذاري والبكريّ عن حركة إدريس الأكبر إلى تلمسان، وإنما تحدثا عن حركته إلى تازا، وجعلها ابن عذاري في سنة ١٧٤هـ. أنظر: ابن عذاري، البيان، ج١، ص٨٤. والبكريّ في جمادى الآخرة سنة ١٧٤هـ. أنظر: البكريّ، المغرب، ص٨. وانظر كذلك: ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢٤-٢٥؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص٥٧.

(٦) البكريّ، المغرب، ص٨؛ وانظر: وفيقة، نشوء الدويلات، ص٢٢.

(٧) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٥٧؛ حسن، تاريخ الإسلام ص٢٢٤.

وفي سنة ١٧٧ هـ فكّر الرشيد في إنفاذ جيش كبير للقضاء عليه، لكنه عدل عن هذه الفكرة، ذلك لبعد المسافة ووعورة الطريق، فبعث إلى وزيره يحيى بن خالد البرمكيّ يستشيره، فقال له: (إن الرجل قد فتح تلمسان، وهي باب افريقية، ومن ملك الباب بوسعه أن يدخل الدار، وقد هممت أن أرسل جيشاً، ولكني عدلت عن ذلك)[1].

وأشار يحيى بن خالد البرمكيّ على الرشيد أن يبعث داهية من رجاله ليسمه[2]. فبعث إليه سليمان بن جرير المعروف بـ (الشماخ)[*] مولاه، وذلك سنة ١٧٧هـ[3].

وعن كيفية قتل إدريس الأول تذكر الرواية أن سليمان بن جرير (الشماخ) كان متوشحاً بالذهب، وطلب الدخول في خدمته، وعرفه بنفسه أنه من وطنه، وأهلِ بلده، فحنَّ إليه إدريس وأقبل عليه وقرّبه، وكان يخلو معه، إلى أن وجد سليمان الشماخ الفرصة المواتية فسممه[4].

واختلفت الآراء والأقوال في تسممه، فبعضهم قالوا إنه سممه في تفاحة كان قد استعد له بها من عند هارون الرشيد، فمات إدريس حين شمّها[5].

---

(١) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٥٧-١٥٨؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢١؛ وانظر: حسن، تاريخ الإسلام، ج٢، ص٢٢٤؛ ونيقة، نشوء الدويلات، ص٢٢.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٧٦؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٥٨؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص٦٧؛ العربي، دولة الأدارسة، ص٦٧؛ حسن، تاريخ الإسلام، ج٢، ص٢٢٤؛ ونيقة، نشوء الدويلات، ص٢٢.

(*) الشماخ: كان هذا الرجل من أهل الشجاعة، والدهاء، والفصاحة، وهو مولى للمهدي العباسيّ والد الرشيد. أشار يحيى بن خالد البرمكي على هارون الرشيد بإرساله للقضاء على المولى إدريس بإظهار المكر والخداع. واستعمال المكيدة والحيلة. ويتصف بالشجاعة والتدبير وقوة المنطق الجدلي والحجة الكلامية. نزل إلى المولى إدريس مظهراً التبرؤ من الدعوة العباسيّة ورافقه في رحلته هذه رجل موثوق بإخلاصه وشجاعته، يساعده على الهروب. مزوداً بالمال، فانتحل الطب لانجاز مكيدته. ولمّا وصل إلى المولى إدريس ادعى أنه من بعض موالي أبيه عبدالله وأنه قصده حباً، دليلاً لأهل بيته، فسُرَّ به المولى إدريس وآنس بقربه وسكن إليه، فكان لا يأنس لغيره، وهكذا مهّد سليمان لمهمته .أنظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ج١، ص ١٦٠؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٥٨.

(٣) البكريّ، المغرب، ج١، ص١٢٠؛ الرقيق القيروانيّ، تاريخ افريقية، ص٢١٩؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص٨٣؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٥٨؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢٥؛ وانظر: العربي، دولة الأدارسة، ص٦٧؛ حركات، المغرب عبر التاريخ، ص٩٧؛ ونيقة، نشوء الدويلات، ص٢٢.

(٤) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٥٨؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢٣؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص٦٨.

(٥) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٥٨-١٥٩، وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص٦٨.

وبعضهم يقول: إنه قدم قارورة من المسك مسمومة، فشمها، فصعد السم في خياشيمه إلى دماغه، فغشي عليه وسقط على الأرض ميتاً[1].

ورواية تقول إن الشماخ قد سمَّ إدريس الأول بأن قدَّم له سواكاً، وكان إدريس يشكو من ألم في أسنانه ولثته، وقيل أنه قدم له عنباً مسموماً[2].

ومهما يكن من أمر، فإنه لمّا حقق الشماخ الغرض الذي أتى من أجله هرب، وقدم على إبراهيم بن الأغلب، فأخبره بما فعل، وجاءته الأخبار بموت إدريس، فولى الرشيد سليمان بن جرير (الشماخ) بريد مصر[3]، وكانت وفاة إدريس سنة ١٧٧هـ/٧٩٣م [4].

ولم يترك إدريس عقباً له غير حمل من جاريته كنزة، فجمع راشد مولاه البربر، وكان من الدعاة، وقال: (ما رأيكم) فاتفقوا على توقيف الأمر على وضع الحمل فإن كان ذكراً بايعوه، وإن كان أنثى نظروا حينئذ لأنفسهم، فلما ولدت كنزة وضعت ذكراً بعد أيام من موت إدريس[5].

وعمد إبراهيم بن الأغلب إلى الكيد براشد بوصفه قائماً بأعمال دولة الأدارسة، فاستمال بعض الأشخاص لاغتياله، وانتهى ذلك بمقتل راشد سنة ١٨٦هـ/٨٠٢م[6].

غير أن مقتل إدريس الأول لم يحقق آمال الرشيد للحيلولة دون قيام الدولة العلوية في المغرب، ذلك أن البربر كانوا مجمعين على الاستمرار في دولتهم الاستقلالية[7]، ومن الأخطاء الشائعة القول بأن دولة الأدارسة دولة شيعية ذلك لأن مؤسسها وأئمتها كانوا من

---

(١) الطبريّ، تاريخ الرسل، ج١٠، ص٢٩؛ وانظر: حسن، تاريخ الإسلام، ج٢، ص٢٢٥؛ العربي، دولة الأدارسة، ص٦٩.

(٢) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٥٨-١٥٩؛ وانظر: وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص١٢؛ حسن، تاريخ الإسلام، ج٢، ص٢٥٥؛ العربي، دولة الأدارسة، ص٦٩.

(٣) ابن الابار، الحلة السيراء، ص١٩٩؛ وانظر: وفيقة، نشوء الدويلات، ص٢٢.

(٤) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢٣.

(٥) ابن الابار، الحلة السيراء، ج١، ص١٩٩؛ وانظر: وفيقة، نشوء الدويلات، ص٢٢.

(٦) ابن الابار، الحلة السيراء، ج١، ص١٨٦؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج٣، ص١٩٧؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٣ وما بعدها.

(٧) زكار، تاريخ العرب، ص٤٨٦.

أهل البيت، وأن آل البيت لا يمكن أن يكونوا شيعة، لأن الشيعة هم الذين يتشيعون لهم وهم (الأدارسة)، فهم على سنة جدهم محمد ﷺ[1]، ولم يعرف الأدارسة في بلادهم غير مذهب المالكية[2].

ومن هنا فإنني أرى أن إدريس مؤسس الدولة الإدريسية هو سنيّ، لأنه دعا البربر إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ودعا إلى العدل في الرعية، وأمانة، وإماتة البدعة، وانفاذ حكم كتاب الله على القريب والبعيد. كما ورد في مطلع عهده اليهم، ثم إن في تقديم نفسه للبربر، والشهادة على استجابته هو للدعوة هو تعبيراً واضحاً على ذلك. وبايعه البربر على القيام بأمرهم، وولّوه صلاتهم، وأحكامهم، وغزوهم. ثم إنه لم يدع لنفسه إلا بعد أن قتل أخوه يحيى الذي له الحق قبله. صحيح أنه لم يلقب (بالإمام)، ولم يصرح به حتى أيامه الأخيرة ولم يكن هناك إشارات تدل على أنه تلقب بلقب (الإمام)، غير أن إدريس كان يسمع من يدعوه بهذا اللقب، وكان اهتمام إدريس منذ اللحظة الأولى هو نشر الإسلام على نطاق واسع بين مختلف قبائل البربر المغربية، التي كان أغلبها يدين باليهودية، والنصرانية، وظل يدعو حتى أسلمت له بلاد تامستا (تامنسا) وتادلا (تادلة)، وأرسى أسس دعوته وكذلك في تلمسان.

وكان إدريس قد قال للبربر: (أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وإلى العدل في الرعية، والقسم بالسوية، ورفع المظالم، والأخذ بيد المظلوم)، ثم يختمها بالقول: (هذه دعوتي العادلة غير الجائرة، فمن أجابني فله ما لي، وعليه ما عليّ، ومن أبى فحظه أخطأ، وسيرى ذلك عالم الغيب والشهادة أني لم أسفك دماً، ولا استحللت محرماً، ولا مالاً).

---

(١) مؤنس، تاريخ المغرب، ص٣٧٢.

(٢) المرجع نفسه، ص٣٧٢.

وكان من الأسباب القوية التي أدت إلى قيام دولة الأدارسة في المغرب هو نصرة مذهب السنة والجماعة للأدارسة، وقيام إمامة الأدارسة[1]، والوصف الصحيح لهذه الدولة أنها كانت دولة علوية هاشمية[2].

وبعد موت إدريس بن عبدالله خلت الإمامة، إذ لم يكن يومئذ لإدريس ولد، إلا أنه ترك كما ذكرنا سابقاً جارية اسمها كنزه (كنيزة)، وقد ولدت، وقام راشد مولى إدريس الأول بجمع واستمالة القبائل، وأخبرهم بذلك، فقالوا له: أيها الشيخ المبارك تقوم بأمرنا كما كان إدريس يفعل فينا حتى تضع الجارية، فإن وضعت غلاماً ربيناه تبركاً بأهل البيت، وذرية رسول الله ﷺ، وإن كانت جارية نظرنا (أنفسنا)، فكان ذكراً، وكان ميلاده يوم الإثنين من شهر ربيع الآخر سنة ١٧٧هـ/٧٩٣م[3].

وقد قام راشد مولى إدريس الأول بإدارة مقاليد الأمور في الدولة خير قيام، وقد سمّى راشد المولود الجديد إدريس، تيمناً بأبيه، وكفله، ورعاه، وقام بأمره، وأحسن تأديبه، وأقرأه القرآن وحفظه وهو ابن ثماني سنين، وعلمه السنة والفقه، وأشعار العرب وأيام الناس، وسير الملوك كما علمه ركوب الخيل، والمجاولة بها، وإحكام الرمي بالسهم[4].

وكانت ولاية إدريس الثاني سنة ١٨٨هـ/٨٠٤م وهو ابن (إحدى عشرة سنة)[5]، وتتفق الروايات على أن إمامة إدريس الأصغر تمت بعد وفاة راشد مولى أبيه إدريس

---

(١) مؤنس، تاريخ المغرب، ص٣٧٢.

(٢) المرجع نفسه، ص٣٧٢.

(٣) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٥٩؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢٥؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج٣، ص١٩٥-١٩٦؛ وانظر السنوسيّ، الدرر السنية، ص٨٠؛ العربي، دولة الأدارسة، ص٧٣.

(٤) البكريّ، المغرب، ص١٢٢ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٥٩ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢٥ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج٣، ص١٩٦؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص٨١؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص٢٣.

(٥) البكريّ في كتابه المغرب، ص٢٣ (يذكر أنه تولى قيام الولاية يوم الجمعة ٧ ربيع الأول سنة ١٨٧هـ الموافق ٥ مارس ٨٠٣م)؛ أنظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٢١٠.

الأول، فابن أبي زرع في (روض القرطاس) يقول: إن راشداً اغتيل بتدبير إبراهيم بن الأغلب قبل مبايعة إدريس الثاني سنة ١٨٦هـ/٨٠٢م[1].

وقام بأمر إدريس بعد راشد أبو خالد يزيد بن إلياس العبدي، فأخذ له البيعة من جميع قبائل البربر، وذلك يوم الجمعة غرة ربيع الأول ١٨٨هـ/٨٠٤م، بعد أن قتل راشد بعشرين يوماً[2].

وقد اتصف إدريس الثاني بعدة مزايا، وصفات من صلاح وتقوى في الدين[3]، وقد وفد إليه الكثير من قبائل العرب والأندلس، حتى اجتمع إليه منهم خمسمائة شخص، فرحب بهم، واختصهم دون البربر وكانوا له بطانة وحاشية واستفحل بهم سلطانه[4].

واتخذ إدريس الثاني له وزيراً من الأزد هو عمير بن مصعب بن عيسى الأزدي المسمى (الملجوم)[5]. وعيّن عامر بن محمد بن سعيد القيسيّ من قبيلة الأزد قاضياً، وكان عالماً ورعاً، سمع عن مالك، وسفيان الثوري، وروى عنهما الكثير، والذي كان قد دخل الأندلس مجاهداً واختار العدوة[*] ودخل إلى مدينة وليلي[6]. وكاتبه كان أبو الحسن عبد الملك بن مالك الخزرجي[7].

---

(١) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص١٣.

(١) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٦٠؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢٧.

(٣) البكريّ، المغرب، ج١، ص١٢٢؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص٨٣-٨٤.

(٤) ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٣؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص٨٥؛ العربي، دولة الأدارسة، ص٧٦؛ الروضان، عبد عون، موسوعة تاريخ العرب، الدار الأهلية، عمان، ط١، ٢٠٠٤م، ج٢، ص٥٣.

(٥) سمي بالملجوم وذلك لإصابته بضربة من بعض حروبهم وسمته على أنفه وكأنها خطام. أنظر:ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٣؛ وانظر: العربي، دولة الأدارسة، ص٧٧.

(*) العدوة تعني البر من حيث يجتاز البحر، واطلقت الكلمة على ضفتي بحر الزقاق بين الأندلس والمغرب. وفيها عدوتان: عدوة الأندلس وعدوة المغرب أو افريقية. والكلمة في روض القرطاس تعني هنا البر المغربي أو بلاد المغرب التي أصبحت مركز الثقل على أيام الكاتب في القرن الرابع عشر. أنظر: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص١٤.

(٦) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢٩؛ وانظر: العربي، دولة الأدارسة، ص٧٧؛ كحيلة، المغرب، ص١٦٧؛ مؤنس، تاريخ المغرب، ص٣٨٤.

(٧) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢٩؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٣؛ زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص٤٤٢.

ولم تزال الوفود العربية تنزع إليه بكثرة حتى ضاقت وليلي بهم[1]، وكانت الوفود بداية هي هجرة العرب من الأندلس وافريقية نحو إدريس الثاني، حيث وقعت اضطرابات في الأندلس وافريقية؛ الأمر الذي دفع الكثيرين من العرب على الهجرة إلى المغرب الأقصى[2].

وفي هذه الظروف أعلن إدريس الثاني في سنة ١٩٠هـ/٨٠٥م عزمه على الانتقال من مدينة وليلي، والبحث عن مدينة جديدة له ولجنوده وخاصته، فاختار موقع، يمتاز بطيب تربته واعتدال هوائه[3]، وقد بدأ ببناء السور، وبنى جزءاً منه، ولكنه اتضح أن اختيار الموقع لم يكن موفقاً إذ اجتازته السيول، وهدمت ما بني من السور، وخرب السيل خيام العرب، وقرر إدريس ترك هذا الموقع، والبحث عن موقع آخر[4].

وفي سنة ١٩١هـ/٨٠٧م خرج إدريس في رحلة صيد، واختار هذه المرة موقعاً مناسباً جداً لبناء عاصمته الجديدة، ويمتاز بالينابيع الساخنة المعروفة بحمة خولان ـ التي تعرف اليوم باسم سيد حرازم ـ كما أنه قريب الموقع من الماء العذب[5].

بنيت مدينة فاس على مرحلتين: الأولى ابتداءً من سنة ١٩١هـ/٨٠٧م، بنى جزءاً من المدينة، وعرف هذا الجزء بعدوة الأندلس على الضفة الشرقية نهر فاس في غرة رمضان ١٩٢هـ/٨٠٨م[6]، وأسس به جامع الأشياخ[7].

---

(١) ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٣؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص٤١٤؛ مؤنس، تاريخ المغرب، ص٣٨٤.

(٢) حول الاضطرابات في المغرب وافريقية. أنظر: ابن عذاري، البيان، ج١، ص١٥٧ وما بعدها؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص٤٤٢.

(٣) ابن عذاري، البيان، ج١، ص٢١٠؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢٩.

(٤) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢٩؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص٤٤٥؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص٢٣.

(٥) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٣٠؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص٤٤٥.

(٦) البكريّ، المغرب، ص١١٥-١٢٣؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٣٠؛ ابن خلدون، العبر، ج٤ ص١٢-١٥.

(٧) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٦٦.

وقد بدأ ببناء الأساس ثم دور الإمام والمسجد الجامع، كما نصبت الخيام وحولها جلد من الخشب والقصب في الموضع الذي عرف بجراوة[*] (كراوة)[1].

يقول ابن خلدون: ((واختط علوة القرويين، وبني مساكنه، وانتقل إليها، واستقام له أمر الخلافة))[2]. ثم المرحلة الثانية حيث بنيت علوة القرويين سنة ١٩٣هـ/٨٠٩م، إذ أخذ في بناء الجامع وهو المسجد المعروف الآن بجامع الشرفاء[3]، وقد بنيت علوة القرويين على الضفة الأخرى المقابلة في موضع يقال له (زواغة)، وكان هذا الموضع أشبه بقرية رعوية، وترك الإمام الموضع الأول واتجه للنزول في موضع آخر يعرف (بالمقرمدة)[4].

اتسعت المدينة لكثرة أشجارها التي ساعدت في بناء المساكن[5]، ومدينة فاس كانت تضم بالإضافة إلى العرب والبربر اليهود الذين سكنوا بالقرب من باب حصن سعدون[6].

وتأتي أهمية مدينة فاس من ترسيخ سلطان الأدارسة في المغرب، والعمل الحضاريّ الذي يمثل رسالة الأدارسة الطالبيين في بلاد المغرب الأقصى، إذ أن إدريس الثاني بعد أن أقام بفاس إلى سنة ١٩٧هـ/٨١٢-٨١٣م، خرج في السنة المذكورة لغزو بلاد المصامدة وأخضع قبائلهم، ووصل في غزوهم حتى السوس الأقصى، إذ أخضع مدينة نفيس ومدينة أغمات، ثم عاد إلى فاس[7].

(*) جراوة باللغة المحلية كانت تعني الجدار أو السياج. أنظر: ليفي بروفنسال حول (تاسيس مدينة فاس) الذي يفسر كلمة جدر (جمع جدار) على أنها تعريب للإسم البربري الفينيقي أجادير وأنها تعني المخازن الجماعية أو المجلس، ومنها اشتقت كلمة اجراو التي أطلقت على بعض مجالس إقليم الريف والتي اشتق منها اسم جراوا (موقع فاس) الذي يعني المعسكر، أنظر: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٣٢.

(١) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٣٢؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٢.

(٢) ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٣؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص١٠٠-١٠١.

(٣) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٦٦؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٣٨؛ البكريّ، المغرب، ج١، ص١١٥؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٣.

(٤) البكريّ، المغرب، ج١، ص١١٥؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٦٦.

(٥) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٣١-٣٢.

(٦) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص٥؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٣٩.

(٧) البكريّ، المغرب، ص١٢٣؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص٢١١؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص ١٦٩؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٥٠؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج٢، ص٢٠١؛ ابن خلدون، ج٤، ص١٣؛ وانظر: نيبلة، عاشرات، ص٢٧٣.

وتذكر الرواية أنه في المحرم من سنة ١٩٧هـ خرج لغزو بلاد المصامدة، فأخضع قبائلهم، وانتهى حتى السوس الأقصى، إذ أخضع مدينة نفيس، ثم عاد إلى فاس[1].

وفي خطوة جديدة لتأكيد سلطانه في أقاليم المغرب الأوسط الغربية خرج سنة ١٩٨هـ إلى المغرب الأوسط، لغزو قبائل نفزة وأخضع قبائلها، ودخل مدينة تلمسان، وأقام ثلاث سنوات لتدبير أمورها، وإصلاح أحوالها، ثم رجع إلى مدينة فاس[2].

واستطاع إدريس الثاني بحزمه وحكمته إحباط مؤامرات الأغالبة حلفاء العباسيّين، ومن ورائهم الخليفة هارون الرشيد، وتمكن من تثبيت سلطانه على قبائل البربر[3].

وتمكن في فترة وجيزة من توسيع القاعدة التي وضعها أبوه والتي تشكل أورية دعامتها، ومد حكومة مملكته عبر جبال الأطلس الأعلى في جنوب مراكش حتى درعة، التي تمثل مناجم الذهب فيها موارد ذات قيمة كبيرة، وضمن لنفسه موانئ المحيط الأطلسي، والسيطرة على مضيق جبل طارق من طنجة وسبتة، اللتان كانتا تشكلان قاعدة الأندلس[4].

وفي سنة ٢١٣هـ/٨٢٨م توفي إدريس الثاني، وكان عمره ثماني وثلاثين سنة في مدينة وليلي، وقد كان أبناؤه اثني عشر ولداً وخلفه محمد بن إدريس[5].

وقسم محمد بن إدريس الدولة بين إخوانه على النحو التالي[6]:

١. محمد: وقد احتفظ بولاية فاس، وولي القاسم سبتة، وقلعة النسر[7].

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج١، ص٢١١؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج٢، ص٢٠١؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٤، ص١٣.

(٢) ابن أبي زرع، روض القرطاس؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٣.

(٣) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٧١؛ وانظر: العربي، دولة الأدارسة، ص ١١٩.

(٤) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٧١.

(٥) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٧١؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٥٠؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج٣، ص٢٠١؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٤؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص١٣؛ مؤنس، تاريخ المغرب، ج٢، ص٤٥٧-٤٥٨.

(٦) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٧٣؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٥١؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج٣، ص٢٠٤-٢٠٥.

(٧) البكريّ، المغرب، ص١٢٤؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج١، ص١٣١؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٤.

٢. عمر: ولي بلاد صنهاجة، وغمارة[١].

٣. داوود: ولي بلاد هوارة وما وراءها[٢].

٤. يحيى: ولي مدينة البصرة[*]، ومدينة أصيلا[*][٣].

٥. وولي أحمد مدينة مكناسة، وجبال فازاز، وتادلا[٤]، وولي عبدالله بلاد السوس الأقصى وبلاد نفيس، وأغمات[٥]، وولي عيسى مدينة شاله وتامسنا وبرغواطة، وولي حمزة[٦] مدينة تلمسان، واختص هو بمدينة فاس فكانت دار ملكه[٧]. ومن أبنائه أيضاً عمران وحمدون[٨].

وقد انتهى هذا التقسيم بالنزاع بين الأخوة، وكان أول من خرج عن طاعة الإمام عيسى هو الذي ولاه، فكتب الإمام إلى أخيه قاسم صاحب سبتة وطنجة يأمره بمحاربته، فامتنع عن ذلك وخالف أمره، بينما أطاع عمر أمر أخيه إدريس، فأوقع بعيسى، وهزمه،

---

(١) البكريّ، المغرب، ص١٢٤؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص٢١١؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٥١. ويذكر ابن أبي زرع تيجناس بدلاً من تيجساس.

(٢) البكريّ، المغرب، ص١٣٤؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص٢١١؛ بن أبي زرع، روض القرطاس، ص٥١. ولا يذكر ابن أبي زرع (تازا) ويضيف ابن عذاري تامليت. أنظر: ويضيف البكريّ (تاسلمت).

(*) البصرة: مدينة في المغرب الأقصى تعرف ببصرة الكتان، لأن أكثر تجارة أهلها الكتان وتعرف أيضاً بالحمراء، لأنها حمراء التراب. وكان سورها مبنياً بالحجارة والطوب. ولها عشرة أبواب، ولجامعها سبع بلاطات وبها حمامان كبيران. وقيل أنها قرية على وادي سبوا، بينها وبين فاس مرحلة. ومن مدينة البصرة طريق آخر إلى فاس ومنها إلى منطقة ورغة مرحلة، ثم إلى وادي ماسة مرحلة، وهي مدينة عيسى بن حسين الحسني المعروف بالحجام ثم إلى مدينة سداك، وهي قاعدة خلوف بن محمد المثيلي، ثم إلى فاس. ويقال لها كرت. أنظر: ابن عذاري، البيان، ج٢، ص ١٣٥، ٣٣٦؛ ابن حوقل، صورة الأرض ص ٨١.

(*) أصيلا: مدينة في المغرب الأقصى، وقد أسست في الوقت الذي أسست فيه مدينة البصرة وعلى بعد ثمانية أميال منها جبل يقال له صرصر وهي كثيرة المياه والتجارة؛ أنظر: ابن عذاري، البيان، ج٢، ص ٣٣٦.

(٣) ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٤. ولا يذكر ابن خلدون البصرة ضمن بلاد يحيى.

(٤) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج٣، ص٢٠٤-٢٠٥.

(٥) ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٤.

(٦) البكريّ، المغرب، ص١٢٤، ابن عذاري، البيان، ج١، ص٢١١.

(٧) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٥١؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج٣، ص٢٠٤ -٢٠٥؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٤.

(٨) ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٣.

وولى جميع عمله، ثم أنه سار إلى القاسم، فكانت بينهما حرب شديدة هزم فيها القاسم الذي انتهى أمره إلى المسير إلى البحر مما يلي مدينة (أصيلا)، فبنى لنفسه مسجداً، وزهد في الدنيا[1] وضم عمر بلاده إلى يده واستمرّ عاملاً لأخيه إلى أن توفي سنة ٢٢٠هـ، وخلف أبناءه أملاكه، إذ خلف علي بن عمر والده[2].

وعلي بن عمر هذا هو جد الحموديين من الأدارسة، الذين دخلوا الأندلس بعد سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩م عند انهيار الدولة الأموية[3].

أما عن الإمام محمد فقد توفي بعد أخيه عمر بسبعة أشهر في شهر ربيع الثاني سنة ٢٢١هـ، وخلفه ابنه علي الذي توفي في رجب سنة ٢٣٤هـ، ثم خلفه أخوه يحيى، الذي أساء السيرة، وخالف طريق سلفه، فثار عليه الناس، واعتصم منهم بعدوة الأندلس، وانتهى الأمر بانتقال الملك عن بني محمد إدريس إلى بني عمهم عمر بن إدريس[4].

توفي يحيى بن محمد بن إدريس في تاريخ غير معروف، وخلفه ولده يحيى بن يحيى، ولم يكن له شيء من الفضل الذي كان لأسلافه، إذ انهمك في ملذاته، فثارت العامة ضده وعزلوه، ومات في ظروف غامضة، وبموته انتقلت الإمامة من بيت محمد بن إدريس إلى عمر بن إدريس[5].

واجه علي بن عمر بن إدريس (الإمام السابع للأدارسة) ثورة قام بها الصفرية من قبيلة مديونه البربرية، بزعامة أحد المهاجرين الأندلسيين، يدعى عبد الرزاق الفهريّ الذي

---

(١) البكريّ، المغرب، ص١٢٤؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج١، ص ٣٣ وما بعدها؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٥٢ وما بعدها؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٤.

(٢) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٥٢.

(٣) ابن عذاري، البيان، ج١، ص٢١١؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٥٣.

(٤) البكريّ، المغرب، ص١٢٥؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص٢١٢؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٥١؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج٣، ص٢٠٧-٢٠٨؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٥؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص٤٧١-٤٧٧.

(٥) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٧٨؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٥٢؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٤-١٦.

استولى على عدوة الأندلسيين، واستعصت عليه عدوة القرويين، وكان هرب الإمام وتخاذله من العوامل التي أدت إلى ثورة الخوارج عليه، وخلعه، وتولية يحيى بن القاسم بن إدريس، إلا أنه تمكن من القضاء على الثورة حتى توفي سنة ٢٩٢هـ/٩٠٥م[١].

وبعد وفاته خلفه يحيى بن إدريس بن عمر بن إدريس، ويصفه ابن خلدون بأنه (أعلى بني إدريس ملكاً وأعظمهم سلطاناً، وكان فيهاً عارفاً بالحديث، ولم يبلغ من الأدارسة مبلغه في السلطان والدولة)[٢].

ومما تجدر ملاحظته أن المغرب لم يخلص كله للأدارسة، فلئن استطاع الأدارسة أن يمدّوا نفوذهم شرقاً إلى تلمسان، فقد كانت ناحية تامسنا خارجه عن ملكهم، يتحكم في شؤونها البرغواطيون' وهم قبيلة من البربر، وكان في سجلماسة بنو مدرار' وبنو صالح في منطقة نكور وبنو عصام في سبتة[٣].

وهكذا صار الأمراء الأدارسة يتوارثون الحكم في الدولة، فخلف يحيى بن محمد يحيى الرابع بن إدريس بن عمر وحكم مدة خمسة عشر عاماً، وكان أقدر ملوك الأدارسة وأبعدهم ذكراً، وأوسعهم ملكاً، وأقواهم سلطاناً، وأكثرهم عدلاً، يقول ابن خلدون: (ولم يبلغ أحد من الأدارسة مبلغه في الدولة والسلطان، إلى أن قضى على ملكه عباب العبيديين الفاطميين بافريقية فأغرقه)[٤].

غزا بلاد الأدارسة مصالة بن حبوس قائد عبدالله المهدي الفاطمي سنة ٣٠٥هـ/٩١٧م وفتح تاهرت، والتقى بيحيى بالقرب من مكناسة، فألحق الهزيمة بيحيى، وعاد منهزماً إلى فاس، فتبعه مصالة، وحاصره في المدينة، فاضطر يحيى إلى طلب الصلح على أن يؤدي

---

(١) الناصري، الاستقصا، ج١، ص١٧٩؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٥٢؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١١٤-١٦.

(٢)الناصري، الاستقصا، ج١، ص١٨١-١٨٢؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٨٠؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٤-١٦.

(٣) ابن عذاري، البيان، ج١، ص٢٤٦-٢٥٢.

(٤) الناصري، الاستقصا، ج١، ص١٨٢؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٨.

بعض الأموال، وبايع للمهدي الفاطمي، فولى مصالة يحيى بن إدريس فاساً، كما ولى موسى بن أبي العافية ابن عم مصالة على سائر بلاد المغرب(١).

وبذلك امتدّ نفوذ الفاطميين إلى بلاد الأدارسة، وصار المغرب الأقصى في ملك العبيديين، ولما عاد مصالة إلى فاس عام ٣٠٩هـ حرّض موسى بن أبي العافية على يحيى بن إدريس، فقبض عليه، وأخذ أمواله، ثم نفاه، ولكن ابن أبي العافية حبسه ولم يطلق سراحه إلا بعد عشرين سنة وتوفي في مدينة المهدية سنة ٣٣٢هـ(٢).

وهكذا زالت دولة الأدارسة على يد موسى بن أبي العافية من ناحية، وعلى أيدي الفاطميين من ناحية أخرى، وأصبحت بلاد المغرب تحت حكم آل العافية، وأمر بنفي من تبقى من الأدارسة على قلعة بجبال الريف المغربي، تدعى بحجر النسر ليبدأ الأدارسة تاريخاً جديداً لهم(٣).

ولم يلبث أن عاد الأدارسة على مسرح الأحداث، ويرتبط دورهم هنا بالصراع بين الخلافتين الأموية والفاطمية على المغرب الأقصى، كما أن بعض الأدارسة ويدعون بالحموديين استطاعوا أن يصلوا إلى كرسي الخلافة في قرطبة، عندما اضطرب أمر بني أمية في مطلع القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي(٤).

أرى أن من الأسباب الرئيسية التي أدت إلى قيام دولة الأدارسة ما يلي:

١. ملاحقة الدولة العباسيّة الرئيسة للطالبيين المطالبين بحقهم في الخلافة.
٢. الوصول إلى ملجأ آمن للتبشير بمذهبهم لآل بيت رسول الله ﷺ بعيداً عن الخلافة العباسيّة.
٣. البعد المكاني سهّل للطالبيين إقامة دولتهم.
٤. ضغط العباسيّين والتنكيل بالطالبيين.

---

(١) البكريّ، المغرب، ص١٢٥؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٨٢؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٨٠؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٦؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج٣، ص٢٠٢-٢١٠.

(٢) البكريّ، المغرب، ص١٢٥؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٨٠؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٦؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص٤٥٥-٤٧٩.

(٣) البكريّ، المغرب، ص١٢٥؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٨١،٨٠؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٦؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص٤٥٥-٤٧٩.

(٤) كحيلة، المغرب، ص٦٩.

* **المبادئ التي نادوا بها:**

كان السواد الأعظم من المسلمين يرون أن بني هاشم أحق بالأمر من بني أمية، لأن بني هاشم آل بيت النبي ﷺ وعشيرته الأقربون، وهم أهل العلم والدين والخصوصية الذين اجتباهم الله وأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وهم أحق بمنصب رسول الله ﷺ من غيرهم، غير أن ذلك ليس بطريق الوجوب بل بطريق الأحقية والأولوية[1].

ولما انقرضت دولة بني أمية سنة ١٣٢هـ، وجاءت دولة بني العباس، وصار الأمر إلى أبي جعفر المنصور، أظهر عداءه لآل البيت، خاصة وأن دعاة محمد بن عبدالله قد ظهروا بخراسان، فأمر المنصور عامله على المدينة رياح بن عثمان المري بحبس عبدالله بن الحسن ومن يقبض عليهم من آل الحسن بن علي بن أبي طالب، فحبس جماعة من بنيه وإخوته، وبني عمه قدروا بخمسة وأربعين، وسيقوا إلى العراق، وحبسوا حتى ماتوا في السجن، وأصبح يبحث عن محمد بن عبدالله (النفس الزكية) وأخيه إبراهيم؛ لأنهما لم يكونا من جملة من حبسوا[2].

وأصبح محمد (النفس الزكية) يدعو الناس إلى بيعته، وقد بايعوه[3].

واستفتى أهل المدينة الإمام مالكاً في الخروج مع محمد بن عبدالله، وذكروا في أنهم قد بايعوا أبا جعفر المنصور، فأفتى لهم مالك بأن بيعتهم للمنصور كانت إكراهاً، ولهذا فإن الناس قد قاموا ببيعة محمد النفس الزكية[4].

ونستدل من موافقة الإمام مالك على بيعة محمد النفس الزكية أن المبادئ التي قامت عليها دولة الأدارسة هي مبادئ أهل السنة والجماعة.

---

(١) الناصري، الاستقصا، ج١، ص١٤٨.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص١٤٩.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص١٥٠.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص١٥٠.

وكان شيعة علي بن أبي طالب يوجبون الخلافة لبنيه دون سواهم، ويزعمون أن ذلك كان بوصية النبي ﷺ لعلي، وهذه الوصية لم تثبت عند أهل السنة[1].

كان بنو علي كثيراً ما يثورون في البلاد شرقاً وغرباً، طالبين حقهم في الخلافة، منازعين فيها لبني أمية أولاً، ثم لبني العباس من بعدهم ثانياً، إلى أن جاء عبدالله بن الحسن السبط وكان من سادة أهل البيت، وكان له عدة أولاد منهم محمد النفس الزكية، وإبراهيم، ويحيى، وسليمان، وإدريس[2].

ولما انهارت دولة بني أمية أيام آخر خلفائهم مروان (الحمار) اجتمع أهل البيت في المدينة فيمن يختارونه للخلافة، فوقع اختيارهم على محمد النفس الزكية، إذ قاموا بمبايعته للخلافة، وسلموه أمرهم، وحضر هذا العقد أبو جعفر المنصور الخليفة العباسيّ، وذلك قبل أن تنتقل الخلافة لبني العباس، فبايع للنفس الزكية فيمن بايع له من أهل البيت[3].

ولهذا كان الإمام مالك بن أنس وأبو حنيفة يؤيدانه حين خرج وأظهر دعوته بالمدينة، ويرى كل منهما أن إمامته أصح من إمامة أبي جعفر المنصور لانعقاد هذه البيعة أولا، وكان أبو حنيفة يقول بفضله، ويؤيد حقه ثانياً[4].

إنَّ الدولة الإدريسية قد ظهرت فجأة دون تمهيد أو دعاية سابقة كتلك التي مهدت لقيام الدولة العباسيّة من قبل، والدولة الفاطمية من بعد أو حتى بالنسبة لإمامة تاهرت الرستمية، وبناء على ذلك فهي لم تقم حسب مبادئ سياسية أو دينية معينة، بل قامت على أكتاف رجل واحد يمثل هيبة الأسرة العلوية القديمة كما يمثل مناقب أهل البيت[5].

---

(١) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٤٨.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص١٤٨-١٤٩.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص١٤٩؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص٦٤.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص١٤٩.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص١٤٨؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص٤٢٣.

إن دولة الأدارسة قد قامت تحت شعار الإسلام، وكانت تسعى منذ البداية للاستقلال عن الدولة العباسيّة تحت مبدأ أحقية الطالبيين بالخلافة من أبناء عمومتهم بني العباس[1].

وكان ذلك دافع الإمام إدريس، بل إن إدريس لم يكن يقصد بالعمل على ظهور الروح الاستقلالية بين العرب، الذين هو من أشرافهم وأهاليهم وبين البربر، الذين قامت على أكتافهم دولته[2].

قامت الدولة الإدريسية في المغرب الأقصى على أساس أنها دولة علوية هاشمية طالبية[3]، وأنه من الخطأ القول إنها كانت دولة شيعية ؛ لأن مؤسسها من آل البيت النبوي[4].

والحقيقة أن الأدارسة رغم علويتهم وطالبيتهم، بل وهاشميتهم لم يكونوا أبداً شيعة، بل كانوا على مذهب السنة والجماعة، ولا يعرفون شيئاً عن الآراء الشيعية التي شاعت على أيام الفاطميين ٢٩٧-٣٦٥هـ/٩٠٩-٩٧٥م[5].

إن الدولة الإدريسية، رغم انتمائها إلى آل البيت العلوي الحسني، لم تكن دولة شيعية بالمعنى المتداول، إذ كان لمذهب مالك حضوره الواضح في هذه الدولة، وإدريس الأول يقول عن مالك (نحن أحق باتباع مذهبه وقراءة كتبه)، وذهب بعض أهل العلم إلى أن دولة إدريس كانت دولة زيدية، وللإمام إدريس بن عبدالله رسالة تعد في أدبيات المذهب الزيدي، والمعروف أن هذا المذهب هو أقرب مذاهب الشيعة إلى مذهب أهل السنة.

ولم يعرف الأدارسة في بلادهم المغربية غير الفقه السني المالكي، ومن المعروف تاريخياً وإسلامياً أن آل البيت جميعاً بطوائفهم لم يكونوا شيعة لأحد، بل أن الشيعة كانوا من أنصارهم[6].

---

(١) الناصري، الاستقصا، ج١، ص١٤٨؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص٤٢٣؛ الغنيمي، عبد الفتاح مقلد، موسوعة تاريخ المغرب العربي، مكتبة مدبولي،القاهرة، ط١، ١٩٩٤م، ج١، ص٢٤٥-٢٤٦.

(٢) زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص٤٢٣؛ الغنيمي، موسوعة، ج١، ص٢٤٥.

(٣) الغنيمي، موسوعة، ج١، ص٢٤٥.

(٤) كحيلة، المغرب، ص٦٩؛ الغنيمي، موسوعة، ج١، ص٢٤٥.

(٥) الناصري، الاستقصا، ج١، ص١٥٠؛ وانظر: كحيلة، المغرب، ص٦٩؛ الغنيمي، موسوعة، ج١، ص٢٤٥.

(٦) الناصري، الاستقصا، ج١، ص١٥٠؛ وانظر: مؤنس، تاريخ المغرب، م١، ص٣٧٣.

فالدولة الإدريسية التي قامت على يد مؤسسها الأول إدريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، كانت دولة علوية طالبية هاشمية. وهي أول تجربة نجح فيها آل البيت في إمامة دولة كبيرة لأنفسهم[1].

والأحداث توضح ذلك إذ ان إدريس الأول عندما وصل مع مولاه راشد إلى طنجة ثم إلى مدينة وليلي لم يصل مع قوة عسكرية تفرضه، كما قامت الدولة العباسيّة مثلاً، والملاحظ أن الدولة الإدريسية لم تدخل على الناس بمكر، أو دهاء، وأساليب غير واضحة.

ومن المؤكد أن مذهب مالك بن أنس قد دخل في عهد الأدارسة بفضل الأندلسيين والمغاربة، أما في الأندلس نفسها فقد أدخله يحيى بن يحيى الليثي الذي درس على مالك، وهو بربري من طنجة، قوي نفوذه لدى بني أمية في الأندلس أواخر القرن الثاني حتى أصبح تعيين القضاة بمشورته[2].

يقول ابن أبي زرع في روض القرطاس: (أن إدريس بن عبدالله الحسني (الإمام الثاني للدولة الأدارسة)، كان راوياً لحديث النبي ﷺ، عارفاً بالفقه، والسنة، والحلال، والحرام، وفصول الأحكام)[3].

وعندما أخذ راشد البيعة لإدريس بن إدريس الأول سنة ١٨٨هـ، صعد إدريس المنبر، وخطب بالناس في يوم الجمعة ٧ ربيع الأول ١٨٨هـ، وكان عمره آنذاك إحدى عشرة سنة، إذ ركز في خطبته على التمسك بكتاب الله، وسنة نبيه ﷺ، وآل بيته[4].

وتذكر عدة مصادر من جهة أخرى أن أحد قضاة إدريس الثاني وهو عامر بن سعدي بن محمد القيسي كان قد تلقى دراسته على يد كل من: مالك، وأبي سفيان الثوري[5].

---

(١) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٥٠-١٥١؛ وانظر: مؤنس، تاريخ المغرب، م١، ص٣٧٣.

(٢) حركات، إبراهيم، المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ٢٠٠٠م، ص١١٥.

(٣) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢٥.

(٤) المصدر نفسه، ص٢٥.

(٥) المصدر نفسه، ص٣٥، ٣٨؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص٦٢.

لقد اهتم مؤسس الدولة الإدريسية بالسنة، كأحد المبادئ التي قامت عليها دولة الأدارسة، ولإثارة عاطفة السكان المغاربة حتى يتجاوبوا مع الدعوة الجديدة[1].

ومن المبادئ الأخرى التي كانت الأساس في قيام الدولة الإدريسية نذكر العدل والمساواة، والأمان، وتنفيذ الوعد، وعدم نقض العهود، والمحافظة على أهل البيت، وعدم تعطيل الحدود، وتنفيذها، وعدم سفك الدماء، والمحافظة على الإسلام[2].

وكان إدريس الأول إمام من أئمة أهل السنة، وأنه هو وإخوته كانوا أبعد الناس عن التشيع[3].

وأرى أن إدريس الأول كان سنياً، ودليل ذلك دفاعه عن حق آل البيت في الخلافة، ولكن الظروف اقتضت أن يساير قبيلة أوربة البربرية في اعتزالها، ولو كان إدريس قد تبنى الزيدية ولو ظاهرياً فالزيدية من أكثر الفرق الإسلامية اعتدالاً، باعتراف أهل السنة أنها أقرب إليهم من جميع الفرق الإمامية، لأنهم يوجبون الإمامة بالانتخاب لا بالنص، ولا يقولون بعصمة الإمام، ويجيزون تقديم المفضول على الأفضل، ويأخذ أكثرهم بالفقه الحنفي.

وقد يكون إدريس زيدياً من الوجهة السياسية لا الدينية، ولأسباب تتعلق ببناء واستقلال دولته دولة الأدارسة.

فكان إدريس الثاني ملازماً للحق، ولا ينحرف عن السنة، فألف الناس منه ذلك حتى عمهم الهناء، وأمنوا الجور، فكان يأخذ الجزية، وزكاة الأموال على منهاج الحق، ثم يصرف ذلك إلى مستحقيه[4].

---

(١) حركات، المغرب، ج١، ص١١٦.

(٢) حركات، المغرب، ج١، ص١١٤.

(٣) المرجع نفسه، ج١، ص ١١٦-١١٧.

(٤) السنوسي، الدرر السنية، ص٨٦.

وقد انتشرت المبادئ الإدريسية السنية في المغرب، وخاصة في فاس، وتلمسان، وبسرعة كبيرة.

وما بناء مدينة فاس إلا تأكيد على هيبة وسلطان الدولة الإدريسية في المغرب، هذا العمل الإنساني الحضاري الذي يمثل رسالة الأدارسة في بلاد المغرب الأقصى، وقد قام إدريس الثاني بغزو بلاد المصامدة، وأخضع قبائلهم، ووصل في غزوهم إلى بلاد السوس الأقصى، إذ أخضع مدينة نفيس[1]، وإن دلَّ ذلك على شيء فإنما يدل على سرعة انتشار مبادئ دولة الأدارسة التي قامت عليها.

وعندما أراد إدريس الثاني الشروع ببناء مدينة فاس سنة ١٩١هـ رفع يديه بالدعاء وقال: (اللهم اجعلها دار علم وفقه يتلى بها كتابك، وتقام بها حدودك، واجعل أهلها مستمسكين بالسنة والجماعة ما أبقيتها)[2].

ويورد ابن أبي زرع في(روض القرطاس) حديثاً يرويه أبو هريرة عن النبي ﷺ إذ يقول ﷺ: (ستكون مدينة تسمى فاس، أهلها أهل المغرب قبلة وأكثرهم صلاة، أهلها على السنة والجماعة، ومنهاج الحق، ولا يزالون متمسكين به، لا يضرهم من خالفهم، يدفع الله عنهم ما يكرهون إلى يوم القيامة[3].

ويكفي ذلك للاستدلال على أن الدولة الإدريسية دولة سنية وليست شيعية أو غير ذلك.

قامت دولة الأدارسة على نظام الوراثة إذ خلف يحيى بن محمد أخاه علياً، وكان أقدر ملوك الأدارسة، وأبعدهم ذكراً، وأوسعهم ملكاً، إذ شهدت فاس في عصره القصير ازدهاراً في العمران من حمامات، وفنادق، وبنيت الأرباض، ورحل إليها الناس من الثغور البعيدة. وتوفي وخلفه ابنه يحيى ابن يحيى، ولكنه حاد عن أهل السنة ومبادئ آل

---

(١) البكري، المغرب، ص١٢٣؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢٨، ٣٠،٢٩؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص٤٥٤.

(٢) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٣٦.

(٣) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٣٧.

البيت، وكان ماجناً، محباً للشراب، معجباً بالنساء، فأساء السيرة، وخالف طريق سلفه، إذ راود إحدى النساء وكانت جارية من بنات اليهود، على نفسها، فثارت عليه العامة وعلى رأسهم عبد الرحمن بن أبي سهل الجذامي فأخرجوه من عدوة القرويين إلى عدوة الأندلسيين، وقد توارى بهذه العدوة إلى أن توفي[1].

وقد بلغ خبر وفاة يحيى بن يحيى بن إدريس صاحب الريف، واستدعاه أهل الدولة من العرب، والبربر، والموالي، فقدم إلى فاس، ودخلها، وبايعه أهلها بالإمامة، وخطب له بمنابر أعمال المغرب، وقد انتقلت الإمامة من بني محمد بن إدريس إلى بني عمر بن إدريس، إلى أن ثار عليه عبد الرزاق الفهري الخارجي الصفري، الذي زحف إليه من جبل مديونه وقامت حرب بينهما أدت إلى فرار علي إلى بلاد أورية، واستولى عبد الرزاق على عدوة الأندلسيين ولم يستطع الاستيلاء على عدوة القرويين، وولى أهالي عدوة القرويين يحيى بن القاسم المعروف بالعدام، حتى قتله ربيع بن سليمان سنة ٢٩٢هـ/٩٠٥م[2].

ولما قتل يحيى بن القاسم خلفه يحيى بن إدريس بن عمر سنة ٢٩٢هـ، وكان يحيى هذا أعلى أبناء إدريس ملكاً، وأعظمهم سلطاناً، وكان فقيها، عارفاً بالحديث، ولم يزل يحيى قائماً بأمر الدولة حتى قدم مصالة بن حبوس الكتامي قائد عبيد الله المهدي سنة ٣٠٥هـ/٩١٧م[3].

وفي هذا الشأن يقول ابن خلدون: (ولم يبلغ أحدٌ من الأدارسة مبلغه في الدولة والسلطان إلى أن طغى على ملكه عباب العبيديين (الفاطميين) الفاتحين بافريقية فأغرقه)[4].

---

(١) الناصري، الاستقصا، ج١، ص١٧٨؛ وانظر: مؤنس، تاريخ المغرب، م١، ص ٣٨٩؛ سالم، تاريخ المغرب، ص ٣٩٧.

(٢) الناصري، الاستقصا، ج١، ص١٨٠؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ٧٩-٨٠؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص ٣٩٧؛ مؤنس، تاريخ المغرب، م١، ص ٣٩٠.

(٣) الناصري، الاستقصا، ج١، ص١٨١؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ٨٠؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص ٣٩٨؛ مؤنس، تاريخ المغرب، م١، ص ٣٩٠.

(٤) ابن خلدون، العبر، ج٤، ص ١٦.

والتقى مصاله مع يحيى في منطقة مكناسة الزيتون، فهزمه مصالة، ودخل يحيى مدينة فاس مهزوماً، وكتب مبايعة عبيدالله الشيعي صاحب افريقية، وعاد مصاله إلى القيروان سنة ٣٠٧هـ[١].

وقبيل رحيل مصالة عين موسى بن أبي العافية المكناسي أميراً على منطقة تسول وبلاد تازه، وترك يحيى أميراً على فاس، وعندما عاد مصالة سنة ٣٠٩هـ/٩٢١م قبض على يحيى وكبله بالأغلال، وأطلقه بعد عشرين سنة، ومات في المهدية سنة ٣٢٢هـ/٩٣٤م[٢].

وهكذا كما رأينا فإن الأمر استقر لموسى ابن أبي العافية، في المغرب الأقصى، وجزء كبير من المغرب الأوسط، وأصبحت هذه الأجزاء والنواحي تتحولِ شيئاً فشيئاً إلى المذهب الشيعي الفاطمي.

وقام ابن أبي العافية بحبس يحيى وأطلقه بعد عشرين سنة، ومات في المهدية سنة ٣٣٢هـ/٩٣٤م[٣].

وقام بعد يحيى الحسن بن محمد الحجام، واستولى على فاس، وبايعه الناس سنة ٣١٠هـ ولكنه مات سنة ٣١٣هـ/٩٢٥م، فاستولى موسى بن أبي العافية على ملك الأدارسة ببلاد المغرب، وشايع الفاطميين في افريقية[٤].

وهكذا نرى أن دولة الأدارسة قد زالت على يد موسى بن أبي العافية من ناحية، وعلى أيدي الفاطميين من ناحية أخرى، وانتظم المغرب الأقصى إلى آل العافية.

---

(١) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ٨٠؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص ٣٩٨.

(٢) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ٨١؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص ٣٩٩؛ مؤنس، تاريخ المغرب، م١، ص ٣٩٥ وما بعدها؛ حاجيات، عبد الحميد، تاريخ دولة الأدارسة من خلال كتاب (نظم الدرر العقيان) لأبي عبدالله التنسي (ت ٨٩٩هـ/ ١٤٩٤م)، تح عبد الحميد حاجيات، مجلة التاريخ، النصف الثاني من سنة ١٩٨٠م، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، ١٩٨٠م، ص ٤٠-٤١.

(٣) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٥٢-٥٣، ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٦؛ وانظر: ونيقة، نشوء الدويلات، ص٢٤.

(٤) البكريّ، المغرب، ج١، ص١٢٥؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٥٣؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٦؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص٤٧٨-٤٧٩؛ حركات، المغرب، ص١٠١؛ ونيقة، نشوء الدويلات، ص٢٤.

وهكذا بقي حكم الأدارسة ببلاد المغرب قرنين وثلاث سنوات من ١٧٢-٣٧٣هـ، وكانت الدولة الإدريسية أول دولة سنية المبادئ في تلك البلاد.

يلاحظ مما سبق، أن الدولة الإدريسية، وعلى الرغم من انتمائها إلى آل البيت العلوي الحسني، فلم تكن دولة شيعية بالمعنى الشائع كما يظن بعض الناس، إذ كان لمذهب مالك حضوره الواضح في هذه الدولة، وإدريس الأول نفسه يقول عن مالك (نحن أحق باتباع مذهبه، وقراءة كتابه).

وخلاصة القول: إن المبادئ التي قامت عليها دولة الأدارسة هي مبادئ أهل السنة والجماعة والعدل والمساواة وحسن المعاملة، والفضل، وإقامة الحق، وإقامة حدود الله والتقوى، وقد نهجوا في حكمهم نهج الشورى، ولم يرهقوا رعاياهم بجبايات ثقيلة، كما أن الأدارسة قد عاشوا حياة بسيطة بعيدة عن الترف، ولم تكن لهم عصبية تسندهم، ولا أجناد مرتزقة يعتزون بهم، واختلطوا بأهل البلاد من البربر وغيرهم، وحاصروهم، حتى انتشر نسلهم، وما زال أحفادهم يحظون بمكانة عالية في نسيج المجتمع المغربي حتى هذا اليوم.

ومما يدل على أن دولة الأدارسة قامت على مبادئ أهل السنة والجماعة، أن إدريس الثاني عندما فرغ من بناء مدينة فاس خطب خطبة قال فيها: (اللهم انك تعلم أني ما اردت بناء هذه المدينة مباهاة، ولا مفاخرة، ولا سمعة، ولا مكابرة، وإنما أردت بنائها أن تعبد بها ويتلى بها كتابك، وتقام بها حدودك، وشرائع دينك وسنة نبيك ﷺ ما أبقيت الدنيا)[1].

*** موقف السكان المحليين من دولة الأدارسة :**

لم تكن لتقام دولة الأدارسة في المغرب الأقصى لو لم تقف قبائل البربر بقوة مع إدريس ابن عبدالله العلوي الذي سار مع مولاه راشد، وأسس دولته (١٧٢-١٧٧هـ/٧٨٨-٧٩٣م)[2].

---

(١) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٤٩.

(٢) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٥٤؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص١٩؛ ولنظر: السنوسيّ، الدرر السنية،، ص٦١-٦٢؛ حسن، تاريخ الإسلام، ج٢، ص٢٢٤.

وكانت قبيلة أَوْرَبَة البربرية مدت يد العون والتأييد عند تأسيس إدريس بن عبدالله للدولة الأدارسة[١]، وعلى رأسها أميرها إسحق بن محمد الأَوْرَبي[٢].

إن استقرار النفوذ العباسيّ في افريقية قد شجع على الهجرة إلى بلاد المغرب. ونرى أن استقرار النفوذ العباسيّ في افريقية شجع الهجرة إلى هذه البلاد وكانت مدداً مستمراً، إذ بالعرب الذين يصلون إلى المغرب الأقصى لا يكاد يستقر بهم المقام حتى يفكروا في العبور إلى الأندلس حتى تنتظرهم فرص مغرية للعمل والثراء[٣].

وهذا الاعتبار قلل كثافة العنصر العربي، وضيق الرقعة التي كان الإسلام منتشراً فيها لدى مجئ إدريس الأول واستقراره وعدم انتشار اللغة العربية (لغة القرآن بشكل واضح) وكلا الأمرين شكل مهمة صعبة للدولة الأدارسة[٤].

ولذلك فقد عملت الدولة الإدريسية على نشر الإسلام في ربوع المغرب الأقصى حيث بنو سياستهم على الجهاد باللسان أولاً والدعاء إلى الله بالموعظة الحسنة والنصيحة، والحض على طاعة الله، والتوبة عن الذنوب بعد الإنابة والإقلاع، ونشر مبادئ الإسلام الأساسية كالحق والصدق والصبر والرحمة والرفق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا وصلوا إلى هذه المرحلة من نشر مبادئ الإسلام قاموا بالدعوة إلى مبادئهم وإظهار دعوتهم[٥].

وقد ناصرت قبائل أورية، ومغيلة، وصيلنه، وبعض القبائل البربرية الأخرى إدريس، وبايعته، وقوت من شوكته، وعملت على استتباب أمره، واستجابت لدعوته،

---

(١) البكريّ، المغرب، ص١١٨؛ مجهول، الاستبصار، ص١٩٤؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص٦٨؛ وأنظر: حسن، تاريخ الإسلام، ج٢، ص٢٢٤.

(٢) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٥٤؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص١٩؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص١٤٧؛ أنظر: حركات، المغرب، ص٩٧؛ زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص٤٢٨؛ حسن، تاريخ الإسلام، ج٢، ٢٢٤.

(٣) العربي، دولة الأدارسة، ص٤٠؛ السعداني،عبد اللطيف، إدريس الإمام رباعث الدعوة، مجلة كلية الآداب، ع٤-٥، جامعة محمد بن عبدالله، فاس، المغرب، ١٩٨١-١٩٨٢م، ص ١٨-١٩.

(٤) العربي، دولة الأدارسة، ص ٤٠؛ السعداني، إدريس الإمام، ص ١٨-١٩.

(٥) حسن، تاريخ الإسلام، ج٢، ص ٢٢٤؛ السعداني، إدريس الإمام، ص ١٨.

وناصرت أهل البيت العلوي[1]، وبذلك دخلت في طاعة إدريس بن عبدالله قبائل زواغة، وزناته، وزوارة، ولماية، وسدراته، وغياثه، ونفزه، ومكناسة، وغمارة، وقد أتاه الناس من كل حدب وصوب، لإعلان الطاعة والمناصرة للثائر العلوي الهاشمي إدريس بن عبدالله[2].

منذ أن انطلق إدريس في رحلته إلى المغرب كان يهدف إلى الدعوة، وكان خائفاً يترقب، ينتقل في حيطة وحذر، وحفت به المخاطر، وقد وصف حاله قائلاً (واعلموا معاشر البربر أني أتيتكم وأنا المظلوم، الملهوف، الطريد، الشريد، الخائف، الموتور، الذي كثر واتره، وقل ناصره، وقتل أخوته، وأبوه، وجده، وأهلوه)[3].

فكان هذا من الأسباب التي جعلت البربر يتعاطفون مع قضية المولى إدريس، ويرحبون به، ومن الأسباب الأخرى التي جعلت البربر يرحبون بالأدارسة في المغرب الدعوة إلى الله بالموعظة الحسنة، والمبادئ التي نادت بها دولة الأدارسة من الحض على طاعة الله، والتوبة عن الذنوب، والصبر، والرحمة، والصدق، والحق، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر وغيرها من المبادئ السمحة التي استمالت قلوب قبائل البربر.

ولّما استقام أمر مؤسس الدولة الإدريسية أقام جيشاً عظيماً من مناصريه من القبائل البربرية، ومنها: زناتة، وأَوْرَبَة، وصنهاجة، وهوارة، وغيرهم[4].

وخرج إدريس بن عبدالله غازياً إلى بلاد تامسنا، ثم إلى بلاد تادلا (قرب تلمسان وفاس)، وفتح معاقلها، وحصونها، وكان أكثر سكان هذه البلاد من برغواطه من

---

(١) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٥٥؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢٠؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٢، ج٦، ص١٤٧؛: أنظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص٦٢.

(٢) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٥٥؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢٠؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٢؛ ج٦، ص١٤٧؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص٦٢.

(٣) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٥٣؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص١٨-١٩.

(٤) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٥٦؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢٠؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص١٤٩؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص٦٢؛ سالم، تاريخ المغرب، ص٣٨٣؛ وفيلة، نشوء الدويلات، ص٢١.

المجوس والنصرانية، وقد أسلموا على يديه طوعاً وكرهاً، وهدم معاقلهم، وحصونهم، وما زال يدعو إلى الإسلام، ويقنع الناس بقضية أهل البيت العلوي[1].

وقد أقام إدريس بن عبدالله في تلمسان إلى سنة ١٧٤هـ/٧٩٠م ثم عاد إلى وليلي، ومر أثناء عودته بمنطقة تازا، إذ أطاعته قبائلها، وكملت له الإمارة[2].

وعاد إلى مدينة وليلي منتصراً، فدخلها في أواخر سنة ١٧٢هـ، وأقام بها خلال شهر محرم أول سنة ١٧٣هـ ريثما استراح الناس، ثم خرج غازياً على من بقي من قبائل البربر بالمغرب على دين المجوسية مثل برغواطة، والنصرانية، ولم يزل يحاصرهم في حصونهم حتى دخلوا الإسلام طوعاً وكرهاً[3].

وكانت البلاد التي غزاها كثيرة الحصون فندلاوة، وحصون مديونة وقلاع غياثة وبلاد فازاز ثم عاد إلى مدينة وليلي، فدخلها منتصف جماد الآخرة من سنة ١٧٣هـ[4].

وكان إدريس بن عبدالله يسعى لتوسيع نطاق دولته، ومد نفوذه السياسي، وإطواء القبائل تحت رايته، وكان يسعى من خلال تأسيس الجيش الذي عوّل عليه الكثير لتحقيق الهدف الأول من دعوته وهو تأسيس قواعد الدولة على أساس إسلامي صحيح، ولإزالة ما علق بالإسلام من شوائب، وبدع، وخرافات، وشعوذة، وخزعبلات، التي لا زال البربر يؤمنون بها[5].

وكانت وجهة حملته الأولى إلى الجنوب والشرق من جهة تامسنا، وتضم قبائل شتى، منها: برغواطة، ومطماطة، وبنو تسلت، وبنو يعمران، وغيرها من القبائل، ثم

---

(١) ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٥-١٦؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٥٦؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ١٩٢؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢٠؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص١٤٩.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج١، ص٨٤؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج١، ص١٠٠، انظر: العربيّ، دولة الأدارسة، ص٦٥؛ سالم، تاريخ المغرب، ص٢٨٥؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص٢٢.

(٣) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٥٦؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢١؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص٦٣.

(٤) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٥٦؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢١؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص٦٣.

(٥) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٧؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص٤٣٤.

بلاد تادلا ففتح إدريس حصونها، ومعاقل قبائل شالة، وفندلاوة، ويهلوانه، ومديونه، ورجع بجيشه إلى وليلي أواخر سنة ١٧٢هـ/٣٠أيار٧٨٩م[١].

وأخذ راشد البيعة له من جميع قبائل المغرب فبايعوه كما بايعوا أباه من قبله، وكانت بيعته في جامع وليلي يوم الجمعة شهر ربيع الأول ١٨١هـ/ الموافق العاشر من شهر آذار عام ٨٠٢م، وكان عمره أحد عشر عاماً وخمسة أشهر[٢].

إن انتساب إدريس الثاني إلى بيت النبوة وآل البيت والأسرة العلوية، وصفاته الخلقية إذ كان يتصف بالتقوى، وحسن التربية، والصلاح، وإيثار العدل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كل ذلك كان له دوره في إيجاد المناصرين والمؤيدين له[٣].

وأدى ذلك إلى استقبال الأعداد الكبيرة من الداخلين في طاعته، والمتلقين لدعوته من عرب افريقية والأندلس (من القيسية، والأزد، ومدلج، وبني يحصب، والصدف في نحو خمسمائة رجل)[٤].

وكانت هناك أعداداً كبيرة من المناصرين لإدريس الثاني من المهاجرين العرب للأندلس وافريقية، ذلك لوجود اضطرابات في الأندلس وافريقية، الأمر الذي دفع الكثير من العرب إلى الهجرة إلى المغرب الأقصى حتى ضاقت بهم وليلي[٥].

لذلك قرر إدريس الثاني البحث عن مكان آخر غير وليلي حتى يتخذها مدينة له، ولخاصته، ولجيشه، ووجوه مملكته، ولذلك اتخذ مدينة فاس[٦].

---

(١) البكريّ، المغرب، ص١٣٥؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج١، ص٤٣١.

(٢) البكريّ، المغرب، ص١٢٣؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٦١؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢٧؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٣؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص٢٣٩.

(٣) ابن عذاري، البيان، ج١، ص٨٤؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص٨٤؛ زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص٤٤١.

(٤) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٦٣؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٣.

(٥) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٦٣؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص٨٥؛ زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص٤٤٢.

(٦) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٦٤-١٦٥؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص٤٤٥-٤٤٦.

وقد قام وزيره عمير بن مصعب الذي خرج سنة ١٩١هـ/٨٠٦م، ونجح في اختيار موقع فاس، إذ أنه قام بفحص الأرض وقربها من الماء، وكان الموقع فيه سكنى قبيلتي زواغه (بني الخير) وبنو يزغتن، وكل قبيلة منهما على ضفة من نهر فاس[١].

وقام إدريس الثاني بالمصالحة بين القبيلتين، إذ كان بينهما حروب ونزاعات، ذلك أن بعض البربر في ذلك الموضع كانوا على ديانات اليهودية، والنصرانية، والمجوسية، وقام إدريس بإدخال هذه القبائل إلى الإسلام بعد أن كانوا أشتاتاً[٢].

أمّا عن عناصر السكان في مدينة فاس عاصمة الأدارسة، فقد كانت تضم العرب القيسية، والأزد، والحفصيين والفرس على حد القيسية. أما صنهاجة ولواته ومصمودة، فقد كانت في مختلف الأحياء في المدينة[٣].

ومهما يكن من أمر، فإن الأدارسة استطاعوا نشر الإسلام، واللغة العربية، والحضارة العربية الإسلامية، في المغرب الأقصى، فكان الفضل لقادة الفتح العربي الأول معاوية بن حديج، وحسان بن النعمان الغساني، وواصل إدريس الأول دورهما حينما هرب من موقعة فخ المشهورة إلى مصر ثم إلى المغرب، وقد كان لانتمائه إلى البيت الهاشمي دوره في نشر الإسلام في المغرب الأقصى، إذ أن قبائل البربر ناصرت الأدارسة والذي استطاع من بناء دولته في المغرب الأقصى.

وعندما قسم محمد بن إدريس الذي تولى الحكم بعد والده إدريس بن إدريس الأول بلاد المغرب بين اخوته حدثت فتنة بين اخوانه، إذ خرج على محمد بن إدريس أخوه عيسى بمدينة آزمور ورفض طاعته، فكتب محمد إلى أخيه القاسم صاحب طنجة، بمحاربة عيسى فامتنع من ذلك[٤].

---

(١) الناصري، الاستقصا، ج١، ص١٦٥؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص٤٤٥-٤٤٦.

(٢) الناصري، الاستقصا، ج١، ص١٦٥؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص٤٤٥-٤٤٦.

(٣) العربي، دولة الأدارسة، ص٨٦.

(٤) الناصري، الاستقصا، ج١، ص١٧٣؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٥١.

ثم كتب محمد إلى أخيه عمر صاحب تيكساس بمحاربة عيسى، فأطاعه، وزحف إلى عيسى في قبائل البربر، وأمده محمد بألف فارس من زناته، فأوقع عمر بعيسى فهزمه، وطرده من عمله، فشكره محمد، وولاه حكم بلاد أخيه عمر[١].

ثم زحف عمر إلى القاسم، ونزل بظاهر طنجة، واستولى على ما بيد القاسم من بلاد فصار الريف البحري كله تحت سيطرة عمر من تيكساس، وبلاد غمارة إلى سبته ثم إلى طنجة ثم إلى أصيلا والعرايش، ثم على سلا، ثم إلى آزمور، وبلاد تامسنا[٢]، وظلت هذه البلاد تحت حكم عمر بن إدريس حتى وفاته سنة ٢٢٠هـ[٣].

وعندما توفي محمد بن إدريس سنة ٢٢١هـ تولى الخلافة ابنه علي، وقد بايعه السكان وكان يلقب على (بحيلرة)، وكان عمره تسع سنين وأربعة أشهر، فقام الأولياء والحاشية من العرب والبربر بكفالته، وكانت أيامه أيام ازدهار للدولة الإدريسية، وكان السكان المحليون في عهده يعيشون في أمن ورخاء حتى وفاته سنة ٢٣٤هـ[٤].

وتولى الخلافة بعده يحيى بن محمد بن إدريس، إذ امتد سلطانه، وعظمت دولته، وجاء الناس من الأندلس، وافريقية، وجميع بلاد المغرب[٥].

وفي عهد يحيى بن يحيى بن محمد حدثت فتنة، حين دخل على إحدى اليهوديات وهي في الحمام، حيث أشارت عليه زوجته عاتكة بنت علي بن عمر بن إدريس بالاختفاء بعدوة الأندلس، ريثما تسكت الفتنة، فمات من ليلته[٦].

وفي عهد علي بن عمر بن إدريس خرج عليه عبد الرزاق الفهري الخارجي، وكان من أهل وشقة من بلاد الأندلس قام بجبال بويبلان من أعمال مدينة فاس، إذ تبعه الكثير

---

(١) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٧٣؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٥٢.
(٢) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٧٣؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٥٢.
(٣) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٧٣؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٥٢.
(٤) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٧٤-١٧٥؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٥٣.
(٥) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٧٥؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٥٤.
(٦) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٧٨؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٧٧.

من البربر المؤيدين والمناصرين له، وقام عبد الرزاق ببناء قلعة بجوار بلاد مديونه أطلق عليها وشقه على اسم بلده في الأندلس[1].

وكان عبد الرزاق قد زحف إلى قرية صفرون، فبايعه أهلها من البربر، وحصلت معركة بين علي بن عمرو وجماعة عبد الرزاق، ودخل عبد الرزاق مدينة فاس وامتنع أهل عدوة القرويين في فاس على تأييده[2].

وكان أهل عدوة القرويين قد بعثوا إلى يحيى بن القاسم بن إدريس (المقدم)، إذ وصل إليهم، فبايعوه، وولوه على أنفسهم، وقاتل عبد الرزاق الخارجي حتى هزمه، وأخرجه من عدوة الأندلس، فدخلها وبايعه أهلها وجميع من بها من الأندلسيين، واستعمل يحيى بن القاسم على عدوة الأندلس ثعلبة بن محارب بن عبدالله من أهل الربض من شذونه، وعندما توفي ولي ابنه عبدالله[3].

وفي عهد يحيى بن القاسم بن إدريس في سنة ٢٦٠هـ عمَّ القحط، والغلاء جميع بلاد الأندلس، والمغرب، وافريقية، ومصر، والحجاز حتى رحل الناس عن مكة إلى الشام، ثم كان بالمغرب والأندلس وباء عظيم مع غلاء الأسعار، إذ علمت الأقوات، ومات الكثير من الناس وذلك سنة ٢٨٥هـ[4].

وفي سنة ٢٩٢هـ خرج ربيع بن سليمان لقتال يحيى بن القاسم بن إدريس فقتله[5].

وفي عهد يحيى بن إدريس بن عمر ٢٩٢هـ بايعه أهل عدوة فاس، وامتد حكمه على سائر بلاد المغرب، وخطب له على جميع منابر المغرب، وكان قوي السلطان، واوسع بني إدريس ملكاً، ولم يزل على حكم المغرب الأقصى إلى أن جاء مصالة بن

---

(١) الناصري، الاستقصا، ج١، ص١٧٩؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٧٩.

(٢) الناصري، الاستقصا، ج١، ص١٧٩؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٨٠.

(٣) الناصري، الاستقصا، ج١، ص١٨٠؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٧٩.

(٤) الناصري، الاستقصا، ج١، ص١٨٠-١٨١.

(٥) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٧٩-٨٠.

إلا أن حامد بن حمدان الهمداني ندم على فعلته مع الحجام، وكره المجاهرة بسفك دماء آل البيت، وفك حامد قيد الحجام ليلاً، ورحل الحجام إلى عدوة الأندلس حتى توفي سنة ٣١٣هـ، وأراد موسى الانتقام من حامد الذي كان قد فرَّ إلى المهدية[1].

وفي سنة ٣١٣هـ انقرضت دولة الأدارسة من فاس، وأصبح المغرب الأقصى تحت حكم العبيديين أصحاب افريقية والمروانيين من بني أمية حكام الأندلس[2].

واستولى موسى بن أبي العافية على جميع بلاد المغرب، وبايعته القبائل، وشيوخها، وأجلا جميع الأدارسة عن بلادهم وأخرجهم من ديارهم وملك مدينة أصيلا وشاله، ولجأوا إلى قلعة حجر النسر[*] واستولى موسى على تلمسان، ونكور[*]، وأصبح المغرب الأقصى بقبائله تحت حكمه، وسيطرته[3].

* موقف الدولة العباسيّة من دولة الأدارسة :

كانت الغالبية العظمى من المسلمين ترى أن بني هاشم أحق بالخلافة من بني أمية، ذلك لأن بني هاشم هم آل بيت النبي ﷺ ، وعشيرته الأقربون، وهم أهل العلم، والدين، وتصديقاً لقول النبي ﷺ: (أن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين)، وقال ﷺ أيضاً: (لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي فيهم اثنان)[4].

---

(١) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٨٥-١٨٦؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٨٣.

(٢) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٨٦؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٨٣-٨٤.

(*) قلعة حجر النسر: في إقليم تطوان في المغرب الأقصى. أنظر: ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص٨٤.

(*) نكور: مدينة مغربية قديمة تقع قرب فردي نكور وهي غير بعيدة عن منطقة الحسيمة. أنظر: ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص٨٤.

(٣) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٨٦-١٨٧؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٨٣-٨٤.

(٤) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٤٨،١٤٧.

وبعد أن قامت الدولة العباسيّة، أراد العباسيّون أن تكون الخلافة مقصورة عليهم دون غيرهم من بني هاشم، وكان بنو علي بن أبي طالب ينازعون بني أمية وبني العباس في هذا الأمر (الخلافة)[1].

وكان بنو علي (الطالبيون) يثورون في بعض المناطق ويدعون لانتزاع حقوقهم طالبين حقهم في الخلافة، ومنهم عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب[2].

وقيام الدولة العباسيّة يعني أن الطالبيين سيزاولون ثوراتهم ضد الدولة العباسيّة، خاصة وأن أهل البيت في المدينة قد اختاروا محمد بن عبدالله بن الحسن (النفس الزكية)، وبايعوه بالخلافة[3].

وقفت الدولة العباسيّة موقفاً عدائياً من قيام دولة الأدارسة في المغرب، ويرجع هذا العداء إلى بداية قيام الدولة العباسيّة سنة ١٣٢هـ، وذلك بعد القضاء على دولة بني أمية حيث استأثر العباسيّون بالحكم، واعتبروا الخلافة من حقهم وحدهم دون غيرهم من الطالبيين، الأمرالذي أدى إلى الخصومة والعداء بينهما.

وكان الخليفة العباسيّ المنصور (أول من أوقع الفتنة بين العباسيّين والطالبيين)، كما يقول السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء[4].

وفي سنة ١٤٥هـ قام جماعة من الطالبيين، وعلى رأسهم محمد (النفس الزكية) وأخوه إبراهيم بالخروج على الخليفة المنصور لكن المنصور استطاع القضاء عليهما. ومن إخوة محمد (النفس الزكية) كان إدريس الأول[5].

---

(١) المصدر نفسه، ج١، ص ١٤٨.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص ١٤٨.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص ١٤٨.

(٤) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٠٩.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٢٠١؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٦٤-١٦٥؛ ابن الطقطقي، الفخري، ص١٦٤-١٦٥؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص١٤؛ السنوسيّ، الدرر السنية، ص٦٦.

وخلال الفتنة بين الخليفة المنصور ومحمد (النفس الزكية) جرت مراسلات، إذ يقول ابن فضل العمري: (ودارت بينهم كتب بديعة في إقامة الحجج وكان المنصور فيها الألد الخصم، والأشد عقداً لا ينفصم)[1].

وكان الخليفة المنصور يتحدث بمنطق القوة والسلطة، وأن العباسيّين هم أولى بالخلافة من الطالبيين، لأنهم أبناء عم الرسول ﷺ وليس الذكر كالأنثى.

إذ أن الطالبيين استندوا في حجتهم على أنهم أبناء علي وفاطمة بنت الرسول. ومما جاء في أقوال محمد (النفس الزكية) في ذلك: (فأنا أحق بهذا الأمر منكم، وأنتم إنما وصلتم إليه بنا، فإن علياً كان الوصي وكان الإمام، فكيف ورثتم ولايته وولده أحياء؟)[2].

واستمر العداء بين العباسيّين والطالبيين وأخذ يزداد من قبل العباسيّين الذين لاحقوا الطالبيين في مختلف الأماكن، سنة ١٦٩هـ، وفي عهد الخليفة الهادي خرج جماعة من الطالبيين في مكة والمدينة، وعلى رأسهم الحسين بن علي بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب على الخليفة العباسيّ، الذي لم يتردد في القضاء عليهم، إذ استطاع القائد العباسيّ محمد بن سليمان من إلحاق الهزيمة بالحسين ومن معه من الطالبيين في موقعة فخ[3].

---

(١) ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح محمد عبد القادر خريسات وحسن محمد النابورة، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربيّة المتحدة، ط١، ٢٠٠٤م، ج٢٤، ص١١.

(٢) الطبريّ، تاريخ، ج٤، ص٤٣٠-٤٣١؛ ابن كثير، الحافظ أبو الفداء، البداية والنهاية، تح أحمد بعد الوهاب فتيح، دار الحديث، القاهرة، (د.ت) ج١٠، ص٩٢-٩٣؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٤؛ مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد، كتاب تجارب الأمم، تح أبو القاسم إمامي، دار سروش، طهران، إيران، ٢٠٠١م، ج١، ص٣٩٤-٤٠٠.

(٣) الطبريّ، الرسل والملوك، ج٤، ص٥٩٦؛ ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٧٥؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٣؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٥١؛ اليافعي، عبدالله بن سعد بن علي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، علق عليه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ج١، ص٢٧٨. وسيشار إليه فيما بعد: اليافعي، مرآة الجنان؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص٢١.

وسيشار إليه فيما بعد: المسعودي، التنبيه؛ ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٢٠١؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٦٤-١٦٥؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٤؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص٦٦.

وقد ظهر محمد بن عبدالله بن الحسن (النفس الزكية) في المدينة في جمادى الآخرة سنة ١٤٥هـ، وقد بايعه خلق كثير وتسمى بالمهدي، وعندما علم أبو جعفر المنصور بظهوره وجه إليه عيسى بن موسى الهادي بجيش عدده أربعة آلاف، وحصلت معركة بينهما في ظاهر المدينة، فقتل محمد النفس الزكية في رمضان سنة ١٤٥هـ[1].

وكان ظهور أخيه إبراهيم في البصرة، إذ سيطر على البصرة، والأهواز، وواسط، وكثرمؤيدوه، وقد حدثت معركة بينه وبين جيش المنصور بقيادة عيسى بن موسى في مكان يقال له باخمرى، إلا أن إبراهيم قتل، وانهزم من كان معه[2].

وكان أهل المدينة قد استفتوا الإمام مالك بن أنس حول تأييد محمد (النفس الزكية) في ثورته ومبايعتهم لأبي جعفر المنصور، فأجابهم الإمام مالك بأن بيعة أبي جعفر المنصور كانت بالإكراه، وأن محمد بن عبدالله هو أحق منه، ذلك أنه من آل البيت الهاشمي، وهو أحق بالخلافة من غيره[3].

وكان أبو جعفر المنصور قد أعدّ جيشاً لحرب محمد بن عبدالله، وكان وقائد جيشه ابن عمه عيسى بن موسى العباسيّ، وقد قدمت جيوش العباسيّين المدينة وحدثت معركة بينهما[4].

وقام محمد (النفس الزكية) فأحرق الديون التي كان مسجلاً فيها أسماء من بايعه، وقتل رياح بن عثمان عامل العباسيّين على المدينة، ثم عاد إلى المعركة، إذ تفرق عنه أصحابه ولم يبق إلا ثلاثمائة رجل، فقاتل حتى قتل[5].

---

(١) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، التنبيه والإشراف، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨١م، ص٣١١.

- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٨م، ج٣، ص٣٣٦-٣٣٧؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٣٢٧-٣٢٨؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص١٦.

(٢) المسعودي، التنبيه ص٣١١.

(٣) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٥٠.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص١٥٠.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص١٥٠؛ ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٩-١٠.

أما إبراهيم بن عبدالله أخو محمد (النفس الزكية)، فقد قتل على يد عيسى بن موسى في منطقة بخمرة في ذي القعدة سنة ١٤٥هـ، وكان مؤيدوه يزيدون عن مائة ألف[1].

وكانت موقعة (فخ) شديدة على الطالبيين، إذ قتل الكثير منهم، وبقيت أجسادهم على الأرض حتى أكلت منها السباع والطير، وفي ذلك يقول الشاعر[2]:

فلا بكيت على الحسين بعولة وعلى الحسن
وعلى ابن عاتكة الذي وارده ليس بذي كفن
تركوا بفخ غدوة في غير منزلة الوطن

وكان من ضمن الذين خرجوا مع (الحسن بن علي) على الخليفة الهادي يحيى بن عبدالله، وإدريس بن عبدالله. وقد نجا من موقعة فخ، أما يحيى فقد هرب إلى بلاد الديلم، وجمع حوله كثيراً من الأنصار، إلا أن الخليفة العباسيّ هارون الرشيد أرسل إليه بالأموال والهدايا، وطلب منه الرجوع إلى طاعة الخليفة، ونجحت جهود هارون الرشيد في ذلك، إذ رجع يحيى إلى بغداد، ومات فيها[3].

إلا أن هارون الرشيد وخوفاً من امتداد سلطانه وازدياد أعداد مؤيديه ومناصريه قد بعث إليه جيشاً وعدده خمسون ألفاً بقيادة أحد قواده واسمه الفضل بن يحيى، إذ كان الرشيد قد ولاه جرجان، وطبرستان والري، وكان الفضل بن يحيى قد رهبه ورغبه في الصلح، وطلب يحيى الصلح والأمان من الرشيد، وأن يشهد عليه القضاة، والفقهاء، ومشايخ بني هاشم، وقدم إليه بن عبدالله، فاستقبله الرشيد بداية الأمر، ثم أمر بحبسه ثم قتله[4].

---

(٣) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٥١؛ ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص١٩؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص١٦.
(٤) ابن الطقطقي، الفخري، ص١٦٤.
(٥) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٢٩١؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص١٥١؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٢.
(١) ابن الطقطقي، الفخري، ص١٩٣.

أما إدريس بن عبدالله فقد تمكن بعد النجاة من موقعة (فخ) من الهرب، والوصول سراً إلى بلاد المغرب الأقصى، إذ استطاع أن يؤسس دولة الأدارسة التي وقفت لها الدولة العباسيّة بالمرصاد، وحاولت القضاء عليها قبل أن تنمو وتكبر[١].

ولم تكن موقعة (فخ) سنة ١٦٩هـ نهاية مطاردة وملاحقة العباسيّين للطالبيين، بل استمرت هذه الملاحقة للذين هربوا، وكان من أشهرهم إدريس بن عبدالله الذي استطاع مع مولاه راشد الوصول إلى مصر، وكان الوالي فيها علي بن سليمان العباسيّ، وتمكن إدريس بمساعدة صاحب البريد في مصر ويدعى (واضح) وهو مولى صالح بن المنصور، من التخفي والفرار إلى أرض المغرب، إذ نزل مدينة وليلي من أعمال طنجة حيث أسس دولة الأدارسة[٢].

ونلاحظ مما سبق أن إدريس بن عبدالله لم يكن يصل إلى أرض المغرب ويقيم دولة الأدارسة إلا بعد السرية والحذر الشديد، وتوافر الأعوان، مثل: والي مصر العباسيّ الذي سهل خروجه[٣]، وكذلك صاحب البريد واضح الذي حمله إلى أرض المغرب[٤] وذلك خوفاً من سلطة الخليفة العباسيّ[٥].

ولم تترك الخلافة العباسيّة ممثلة بالخليفة من ساعد إدريس بن عبدالله مؤسس دولة الأدارسة، فقد جاء في رواية الكندي أن الخليفة هارون أمر بعزل والي مصر العباسيّ علي بن سليمان لمساعدته إدريس في الهرب[٦].

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج١، ص٨٢؛ ابن حزم، جهرة، ص١٤٩؛ ابن فضل العمري، مسالك الأبصار، ج٢٤، ص٥١.

(٢) ابن خياط، تاريخ خليفة، ج٢، ص٤٧٨؛ الطبريّ، تاريخ، ج٤، ص٥٩٧-٥٩٨؛ المقدسي، شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن بكر المعروف بالبشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م، ص٢٤٢-٢٤٤. وسيشار إليه فيما بعد: المقدسي، أحسن التقاسيم؛ الرقيق القيروانيّ، تاريخ افريقية، ص٢١٥؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٥٠؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٥٢.

(٣) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٩٤؛ الكندي، الولاة، ص١٣١-١٣٢؛ زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص٤٢٥.

(٤) الرقيق القيروانيّ، تاريخ افريقية، ص٢١٥؛ابن الأبار، الحلة السيرا، ج١، ص٥٤-١٥٢؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٢.

(٥) السنوسيّ، الدرر السنية، ص١٠.

(٦) الكندي، الولاة، ص١٣٢.

وكذلك لم يفلت صاحب بريد مصر (واضح) من العقاب، لأنه ساعد إدريس أيضاً، فقد تم قتله وصلبه سنة ١٦٩هـ/٧٨٥م، بناءً على أمر الخليفة الهادي[١]، وفي رواية أخرى أن الذي أمر بقتله هو الخليفة هارون الرشيد[٢]، يصف الطبري واضحاً فيقول: (وكان رافضياً خبيثاً)[٣].

وبعد رحلة طويلة من الهرب والخوف ترك إدريس بن عبدالله مدينة وليلى -قاعدة جبل زهرون في أراضي طنجة- وحل على صاحبها الأمير إسحق بن محمد بن عبد الحميد زعيم قبيلة أوربة[٤].

وبعد أن عرف إدريس بنفسه، وأنه من أهل البيت، وما هي دعوته أكرمه اسحق، وأحسن ضيافته، وجمع البربر حوله بعد أن أخبرهم بحاله، يقول ابن خلدون: (واجتمعت عليه -إدريس- زواغة، ولواته، وسراته، ونفراوة، ولمناسة، وغماره، وكافة بربر المغرب، فبايعوه، واعترفوا به)[٥]، وفي ذلك يقول إدريس حين بايعو[٦]:

وأصبحت في شماء بالمغرب عند من ... يـذبـون عنـي بـالمـثقفـة الملـد
دعـونـي لمـا ضيعتنـي أقـاريـي ... وما اطرحوا ما كان أوصى به جدي

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٩٣.

(٢) الطبريّ، تاريخ، ج٤، ص٦٠؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٩٥-١٩٦؛ ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٩٣؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٥٢.

(٣) الطبريّ، تاريخ، ج٤، ص٥٩٩.

(٤) البكريّ، المغرب، ج١، ص١١٦؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص٨٣؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص١٩؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢٤؛ المقريزي، أبي العباس تقي الدين أحمد بن علي، المقفى الكبير، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩١م، ج٢، ص١٠. وسيشار إليه فيما بعد: المقريزي، المقفى.

(٥) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص١٤٧؛ وانظر: الإدريسي، الدرر السنية، ص١٦٢؛ مؤنس، تاريخ المغرب، وفيقة، نشوء الدويلات، بروكلمان، تاريخ الشعوب، ص٩٨-٩٩.

(٦) النويريّ، نهاية الإرب، ج٢٤، ص٥١؛ المقريزي، المقفى، ج٢، ص١١.

ونلاحظ من خلال هذين البيتين كيف يمدح إدريس بن عبالله من وقف معه من البربر في المغرب، وكانت مبايعة إدريس بن عبدالله من قبائل البربر قد تمت في شهر رمضان سنة ١٧٢هـ[١].

وقد خطب في الناس يوم البيعة، ومما قاله: (أيها الناس، لا تمدوا الأعناق إلى غيرنا، فإن الذي تجدونه من الحق عندنا لا تجدونه عند غيرنا)[٢].

وكانت هذه البيعة لإدريس بن عبدالله سنة ١٧٢هـ تعني قيام دولة جديدة مستقلة عن دولة الخلافة العباسيّة التي سوف تبادلها العداء، إذ أن الأدارسة قد قطعوا صلاتهم تماماً بالخلافة، وهذا يعني أن لا تذكر أسماء الخلفاء العباسيِّين في الخطبة، ولا على الشكة، ولا يكون للعباسيين، دور في تقليد وتفويض أمور الدولة الناشئة[٣].

وبعد أن تمت مبايعة إدريس من قبائل البربر وجد في تلك المبايعة والنصرة القوة اللازمة للسير في تحقيق أهدافه، والتي تتفق ورسالة آل البيت وهي العمل على نشر الإسلام، والجهاد في سبيل الله، فزحف بجيشه نحو القبائل التي كانت تدين بالمجوسية، والنصرانية، واليهودية، واستطاع أن يفتح مدنهم مثل: تامسنا، وشالا، وتادلا، ثم وصل إلى مدينة تلمسان، إذ استسلم أميرها، ودخل في طاعة إدريس بن عبدالله، أبقى إدريس أمير تلمسان السابق عليها، ثم رجع إلى وليلي[٤].

وعندما علم هارون الرشيد بمبايعة قبائل المغرب لإدريس بن عبدالله وفتح البلاد، وخوفاً من أن يتعاظم أمر إدريس ومحبة الناس له وخاصة وأنه من آل البيت الهاشمي، وأنه قد أسس جيشاً وعزم إدريس على فتح افريقة، الأمر الذي شكل قلقاً لدى الخليفة

(١) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢٠؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢٤.

(٢) ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢٤.

(٣) ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢٤؛ وانظر:اسماعيل، الأدارسة، ص١٠٣؛ الشيمي، موسوعة تاريخ المغرب، ص٢٧٠.

(٤)ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢٠-٢١؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٢؛ وانظر: مؤنس، تاريخ المغرب، ص٣٧٢.

العباسيّ هارون الرشيد وانه إذا لم يتدارك هذا الأمر فإنه سيكون له عواقب وخيمة في المستقبل، ولذلك فإن الرشيد قرر الانتقام من إدريس بن عبدالله[1].

ومن خلال الفتوحات والانتصارات التي حققها إدريس استطاع أن يصل إلى بلاد السوس الأقصى حيث كان أول من وصل إليها[2].

ولم تكن انتصارات ونجاحات إدريس بن عبدالله في المغرب غائبة عن الدولة العباسيّة، إذ تذكر بعض الروايات التاريخية أن الخليفة هارون الرشيد فكر في إرسال جيش إلى المغرب لمحاربة إدريس بن عبدالله والقضاء عليه، لكن بُعد المسافة حال دون ذلك[3].

واستشار الخليفة هارون الرشيد يحيى بن خالد البرمكي وكان من المقربين إليه في كيفية التخلص من إدريس فأشار عليه يحيى بن خالد برجل داهية ماكر وهو (سليمان بن جرير) المعروف بن (الشماخ)، واستطاع سليمان أن يصل إلى إدريس، ويتقرب منه، حتى أصبح من أقرب الناس إليه ولما وجد الفرصة مناسبة قام بقتله بواسطة السم، كما ذكرت كثير من المصادرذلك[4].

وكانت وفاة إدريس سنة سبع وسبعين ومائة[5]، وفي رواية أخرى سنة خمس وسبعين ومائة[6]، وقال المقريزي: (وكان وفاة إدريس سنة تسع وستين ومائة)[7].

---

(١) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٥٧؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢١؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص٦٤؛ كحيلة، المغرب، ص٦٤.

(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٢٣؛ وانظر: وفيقة، نشوء الدويلات، ص٢٢.

(٣) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢٢؛ الناصريّ، الاستقصاء، ج١، ص٦٧-٦٨؛ وانظر: حسن، تاريخ الإسلام، ج٢، ص٢٢٤؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص٢٢.

(٤) الطبريّ، تاريخ، ج٤، ص٥٩٩؛ الرقيق القيروانيّ، تاريخ افريقية، ص١٨٠؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٥٢؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص٢١٠؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢٢-٢٣؛ الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، العبر في خبر من عبر، تح صلاح الدين المنجد وفؤاد سيد، سلسلة التراث العربيّ، الكويت، ١٩٦٠م، ج١، ص٢٥٦؛ المقريزي، المقفى، ج٢، ص١٢.

(٥) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص١٠.

(٦) البكريّ، المغرب، ص١٢١؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢٥.

(٧) المقريزي، المقفى، ج٢، ص١٠؛ وقال محقق كتاب المقفى: بل سنة ١٧٥.

وبعد أن أنجز الشماخ مهمته في اغتيال إدريس بن عبدالله، عرج على افريقية لإعلام حليف العباسيّين إبراهيم بن الأغلب بنجاح مهمته، وذلك بالقضاء على نواة الدولة الإدريسية إدريس بن عبدالله الحسني[١].

وكان إبراهيم بن الأغلب قد كتب إلى الخليفة العباسيّ الرشيد يخبره بمقتل إدريس على يد سليمان بن جرير (الشماخ)، فقام الرشيد بتولية الشماخ بريد مصر، وكافأه على ذلك[٢].

وكان للأغالبة الدور الرئيس في محاولة القضاء على دولة الأدارسة، إذ كان الأغالبة يشهرون القدح في نسب الأدارسة، ويشككون به أمام الناس[٣].

إنّ عملية اغتيالِ مؤسس دولة الأدارسة في المغرب إدريس بن عبدالله، والتي تكاد تجمع المصادر التاريخية على دور الخليفة هارون الرشيد في ذلك، لدليل على الموقف العدائي الشديد الذي وقفته الدولة العباسيّة من دولة الأدارسة[٤].

ولقد دلت هذه المحاولة على متابعة الخليفة هارون الرشيد لما يجري من أحداث في الأجزاء البعيدة من الخلافة العباسيّة، وأن الخليفة لديه القدرة على الوصول إلى الأعداء، وهذا ما نلاحظه من الأبيات الشعرية التي قالها أنصار الخليفة من الشعراء[٥].

أتظن يا إدريس أنك مفلت ... كيد الخلافة أو يقيك فرار
إن السيوف إذا انتقاها سخطه ... طالت وقصر دونها الأعمار
ملك كأن الموت يتبع أمره ... حتى تخال تطيعه الأقدار

كانت الدولة العباسيّة تكافئ من يقف إلى جانبها ضد أعدائها، ومثال ذلك مكافأة الخليفة هارون الرشيد للشماخ بتوليته بريد مصر[٦].

---

(١) البكريّ، المغرب، ص١٢١؛ الرقيق القيروانيّ، تاريخ افريقية، ص٢١٥.

(٢) الرقيق القيروانيّ، تاريخ افريقية، ص٢١٥.

(٣) ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٣-١٤.

(٤) محمود إسماعيل، الأدارسة، ص١٠٩-١١٠؛ الغنيمي، موسوعة تاريخ المغرب، ص٢٧٠-٢٧١.

(٥) الطبريّ، تاريخ، ج٤، ص٦٠؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج٢٤، ص٥١-٥٢؛ المقريزي، المقفى، ج٢، ص١٢.

(٦) الرقيق القيروانيّ، تاريخ افريقية، ص١٨٠؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص١٩٩.

أما في ولاية افريقية فقد كانت هناك شخصية بارزة لعبت دوراً في تثبيت سلطة العباسيّين في افريقية، والوقوف ضد أعداء الخليفة، كان هناك إبراهيم بن الأغلب الذي شارك الدولة العباسيّة في عدائها للدولة الأدارسة، إذ ذكرت الروايات التاريخية أن إبراهيم بن الأغلب شارك وسهل علمية اغتيال إدريس بن عبدالله[١].

ولم تنته دولة الأدارسة بمقتل مؤسسها إدريس بن عبدالله، الذي لم يكن له أولاد حيث قتل، بل استمرت هذه الدولة تحت رعاية وإدارة راشد مولى إدريس، حتى وضعت زوجة إدريس (كنثرة) طفلها الذي يُسمى أيضاً (إدريس)[٢].

ولم يتوقف عداء الدولة العباسيّة في الكيد والنيل من الأدارسة، إذ قام والي افريقية (إبراهيم بن الأغلب) وهو من أنصار الخليفة هارون الرشيد، قام إبراهيم بدفع الأموال، وإغراء بعض الأعوان حتى تمكنوا من قتل راشد، وكان ذلك سنة ١٨٦هـ/٨٠٢م[٣].

وفي ذلك يقول إبراهيم بن الأغلب[٤].

ألم ترني بالكيد أوديت راشــداً   وإني بأخرى لابن إدريس راصــد
تناولــه عزمي على نــأي داره   بمختومــة فــي طيشــن المكـــائد

وكان محمد بن مقاتل العكي والي افريقية قد كتب إلى هارون الرشيد أنه هو الذي قتل راشد، إلا أن صاحب البريد كتب إلى الرشيد حقيقة الأمر، وولى عليها افريقية، إذ كان ابن الأغلب قبل ذلك عاملاً لابن العكي على بعض كور افريقية[٥].

---

(١) الرقيق القيروانيّ، تاريخ افريقية، ص١٨٠؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٩٥؛ ولنظر: إسماعيل، الأدارسة، ص١١٦.

(٢) ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص١٩٩؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢٤.

(٣) ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص١٨٦؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج٣، ص١٩٧؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٣.

(٤) الرقيق القيروانيّ، تاريخ افريقية، ص١٧٨؛ ابن فضل العمري، مسالك الأمصار، ج٢٤، ص٥٢.

(٥) الرقيق القيروانيّ، تاريخ افريقية، ص٢١٦؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٦٢؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢٨؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص٨٤-٨٥.

وبعد مقتل إدريس بن عبدالله مؤسس دولة الأدارسة حلَّ مكانه في الحكم ابنه إدريس الثاني، والذي تمت مبايعته من قبل قبائل البربر، وقد تمتع إدريس الثاني بصفات حميدة جعلت الناس يقبلون عليه مثل العلم، والفقه، والحلم، والعدل، وحب الجهاد، ونشر الإسلام، وحسن التربية، والأخلاق الحسنة[1].

وبعد موت إدريس بن عبدالله مؤسس دولة الأدارسة أصبح راشد مولى إدريس هو الذي يسير أمور الدولة، إذ أن إدريس عندما توفي لم يترك ولداً إلا حملاً من زوجته البربرية (كنزة)، وقد عمل إدريس الثاني على تثبيت أركان دولته، وإرساء دعائم حكمه، إذ قام ببناء مدينة فاس، والتي أصبحت مركزاً للدولة الأدارسة، ومنارة للعلم، فقد هاجر إليها كثير من العرب والبربر من افريقية والأندلس[2].

وفي الوقت الذي كان إدريس الثاني يعمد على تقوية دولته وتدعيم أركانها كانت الدولة العباسيّة بالتعاون مع حليفها في افريقية إبراهيم بن الأغلب ينشرون الأكاذيب حول صحة نسب إدريس بن إدريس بن عبدالله[3].

وكانت الدعاية العباسيّة وبمساعدة الأغالبة في افريقية قد عملت على نشر الطعن والقدح في نسب إدريس بن إدريس بن عبدالله، إذ قامت هذه الدعاية على أن إدريس الثاني ليس ابن إدريس بن عبدالله، بل هو ابن راشد مولى إدريس. وقد دافع ابن خلدون عن نسب إدريس بن إدريس، ومما قاله في هذا المقام: (ومثل هذا وأبعد منه كثيراً ما يتناجى به الطاعنون في نسب إدريس بن إدريس بن عبدالله .. الإمام بعد أبيه بالمغرب الأقصى .. قبحهم الله وأبعدهم ؛ ما أجهلهم ! كلا، والله، إنما صدرت هذه الكلمات من بني العباس أقتالهم

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج١، ص٨٤؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢٥.

(٢) ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٢٣٠-٢٣١؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢٥.

(٣) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المغربي، المقدمة، تح حامد أحمد الطاهر، دار الفجر الحديث، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص٥٥. وسيشار إليه فيما بعد: ابن خلدون، المقدمة.

ومن بني الأغلب عمالهم.. فليس في المغرب فيما نعلمه من أهل هذا البيت الكريم من يبلغ في صراحة نسبه ووضوحه مبالغ أعقاب إدريس هذا من آل الحسن)[1].

وفي عهد إدريس الثاني (١٧٧-٢١٣هـ/٧٩٣-٨٢٨م) ذكر بعض الروايات إلى أن إبراهيم بن الأغلب حاول بنفسه التوجه لمحاربة إدريس الثاني، ولكنه رغب عن ذلك نزولاً عند رغبة مستشاريه[2].

وكذلك قام إبراهيم بن الأغلب باستمالة أحد الرجال المقربين من إدريس، وهو بهلول بن عبد الواحد المطغري، الذي كان معظماً في قدمه، وقدم له إبراهيم بن الأغلب الأموال حتى جعله ينقلب ويتمرد على إدريس الثاني، وقد حاول إدريس إرجاع بهلول إلى الطاعة وعدم الانخداع والسير وراء الأغالبة[3].

ولما كان إبراهيم بن الأغلب حليفاً للدولة العباسيّة ووقف معها ضد الأدارسة، إذ عمل على إضعاف هذه الدولة، كتب إليه إدريس الثاني أن يكف عن ذلك، ويتذكر قرابة إدريس من الرسول الكريم[4].

وكان زيادة الله بن الأغلب حليف الدولة العباسيّة يحاول كأسلافه الانقضاض على الدولة الإدريسية، وحينما أراد منه المأمون الدعاء لعبدالله بن طاهر بن الحسين وهو ابن من قتل الأمين، قال زيادة الله في هذا الشأن: (قد علم أمير المؤمنين طاعتي له، وطاعة آبائي لآبائه، وتقدم سلفي في دعوتهم، ثم يأمرني الآن للدعاء لعبد خزاعة) ويقصد عبدالله بن طاهر بن الحسين، إذ رفض ذلك، وقد بعث إلى الخليفة العباسيّ المأمون بكيس فيه ألف دينار مضروبة باسم إدريس الحسني، يعلمه ما هو عليه من فتنة المغرب، ومجاهدة الأدارسة الطالبيين[5].

---

(١) ابن خلدون، العبر، ص٥٥، ٥٦، ٥٧.

(٢) الرقيق القيروانيّ، تاريخ افريقية، ص٢٢٥؛ ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٧٩.

(٣) الرقيق القيروانيّ، تاريخ افريقية، ص٢٢٥؛ ابن كثير، الكامل، ج٦، ص١٥٦؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ج١، ص٥٥.

(٤) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج٣، ص١٤-١٥؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ١٩٦.

(٥) ابن الآبار، الحلة السيراء، ج١، ص١٦٥.

استمرت حالة العداء بين الدولة الإدريسية وبين الأغالبة حلفاء العباسيّين حتى بعد وفاة إدريس الثاني سنة ٢١٣هـ/٨٢٨م، وتذكر بعض الروايات أن الأمير زيادة الله بن الأغلب هو الذي احتال حتى قتل(١).

وقيل أنه مات بدس السم، ولم يتعدَّ عمره السادسة والثلاثين، وما مات إلا بعد أن تمكن من تثبيت دعائم دولة الأدارسة(٢).

لقد أوكل العباسيّون إلى الأغالبة مهمة مراقبة دولة الأدارسة، وانصرف العباسيّون إلى أمور الشرق، كما انصرف الأدارسة إلى إتمام نشر الإسلام، واللغة العربية، ونشر الحضارة والآداب العربية الإسلامية في المغرب الأقصى، الذي كان من أهم أهدافهم، الأمر الذي جعل البربر يقبلون عليها ويتعلمونها، وقد ساعدت اللغة العربية في توحيد عناصر مجتمع الأدارسة(٣).

وبعد وفاة (إدريس الثاني)، بن إدريس بن عبدالله، والذي كان له الدور الكبير في تثبيت قواعد دولة الأدارسة في المغرب، تولى الحكم من بعده ولده الأكبر محمد بن إدريس، ولم يحافظ (محمد) على وحدة وسلامة الدولة، بل عمل على تقسيمها بين إخوته، وجعل كل واحد منهم على جزء من البلاد.

وقد أدى تقسيم الدولة الإدريسية بين أبناء إدريس الثاني إلى ظهور الخصام والصراع بينهم، ودبَّ الفساد والضعف في جسم الدولة، والتي أصبحت مع تقادم السنين تزداد ضعفاً وهزلاً، حتى طمع بها الأعداء وما لبث أن تغلب عليها الفاطميون، ودخلوا فاساً عاصمة ملكهم(٤).

---

(١) ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص١٥٤؛ وانظر: إسماعيل، الأغالبة، ص١١٢.

(٢) ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص١٥٤؛ ابن فضل العمري، مسالك الأبصار، ج٢٤، ص٥٢.

(٣) الطالبي، الدولة الأغلبية، ص٤١١-٤١٢؛ موسوعة تاريخ المغرب العربيّ، ج٢، ص٣٢٣.

(٤) ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٦؛ وانظر: إسماعيل، الأدارسة، ص١٢٧.

فقد غزا الفاطميون بقيادة (مصالة بن حبوس) قائد عبيد الله المهدي بلاد الأدارسة، والتقى مصالة مع أمير الأدارسة يحيى بن إدريس في معركة انهزم فيها يحيى، وتحصن في مدينة فاس، إذ حاصره مصالة، ثم اضطر يحيى إلى الصلح على أن يؤدي بعض الأموال، ويبايع للمهدي العبيديّ، وبعد أن انسحب مصالة ترك مكانه ابن عمه موسى بن أبي العافية الذي سيطر على بلاد المغرب، وقبض على يحيى بن إدريس، وسجنه مدة تصل إلى عشرين سنة ثم أطلقه، حيث مات يحيى بن إدريس في مدينة المهدية سنة ٣٢٧هـ[١].

وهكذا زالت دولة الأدارسة على يد الفاطميين، إذ أصبحت بلادهم تحت حكم ابن أبي العافية، والذي قام بنفي من تبقى من الأدارسة إلى قلعة حجر النسر[٢].

وكان الأمويون في الأندلس يتدخلون في شؤون المغرب، ولهم دور في سقوط دولة الأدارسة، إذ أن العداء بين الأمويين والعباسيّين قديم، وكان حكام الأندلس من الأمويين يخافون تسرب نفوذ الفاطميين إلى بلادهم، إذ يرون في ذلك تمهيداً لاستيلاء الفاطميين على الأندلس، وهذا ما جعل الأمير (عبد الرحمن الناصر) الأموي يعلن نفسه خليفة؛ لمواجهة خطر الفاطميين الشيعة، وهو يمثل السنة[٣].

ولقد حرص الأمويون على أن يجعلوا من بعض مدن شمال المغرب مراكز عسكرية، تسمح لهم بمنع كل تسرب عسكري من المغرب إلى الأندلس، وقد استولى الأمويون على مدينة سبتة من يد الموالين للأدارسة، وقد أرسل الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر، وكذلك المنصور بن أبي عامر الجيوش للمغرب لصد الخطر عن الأندلس[٤].

---

(١) البكريّ، المغرب، ص١٢٥؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٥٣؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٦؛

(٢) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٥٣؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٦؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص٤٥٥-٤٧٩.

(٣) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ج١، ص١١٦-١٣٧؛ وانظر: حركات، إبراهيم، ج١، ص١٠٦.

(٤) حركات، إبراهيم، ج١، ص١٠٦.

وبعد سقوط دولة الأدارسة في المغرب الأقصى خرج بعض من أفراد هذه الأسرة إلى الأندلس، وقد استطاع علي بن حمود الإدريسي وأخوه القاسم من الاستيلاء على الحكم في قرطبة، وقتل الخليفة الأموي سليمان بن الحكم الملقب بـ (المستعين) سنة ٤٠٧هـ[١].

وتلقب علي بن حمود بالناصر، ثم جاء بعده أخوه القاسم، والذي تلقب بالمأمون، ولم يدم حكم أسرة بني حمود في قرطبة ومدنا أخرى من الأندلس طويلاً، إذ دب النزاع والخلاف بين أفراد هذه الأسرة، الأمر الذي تمكن الأمويون من طردهم من قرطبة، واسترجاع الحكم فيها بمساعدة البربر[٢].

ومن المزايا التي امتاز بها حكام أسرة بني حمود أنهم قد تلقبوا بألقاب الخلافة العباسيّة، إذ قال المقرّي في نفح الطيب: (وقد كان بنو حمود من ولد إدريس العلوي الذين توثبوا على الخلافة أثناء الدولة المروانية بالأندلس يتعاظمون، ويأخذون أنفسهم بما يأخذها خلفاء بني العباس)[٣].

ومن الحكايات الطريفة التي تدل على تعاظم وكبرياء حكام أسرة بني حمود ما جاء عن الشاعر ابن مقانا الأشبوني، والذي مدح الخليفة الحمودي الملقب بـ (العالي) بقصيدته النونية المشهورة والتي أولها:

البرق لا ئح من أندريـــن   ذرفت عيناك بالماء المعيـــن

حتى وصل الشاعر إلى قولـه:

أنظرونا نقتبس من نوركـــم   أنه من نور رب العاليـــن

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٩٨-٩٩؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج٢٤، ص٥٥؛ المقري، أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، علق عليه مريم قاسم الطويل، ويوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م، ج١، ص٤١١. وسيشار إليه فيما بعد: المقري، نفح الطيب.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص ١٠٦؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج٢٤، ص٥٦-٦٣؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ٤١٤-٤١٦.

(٣) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٠٦.

وعندما سمع الخليفة العالي هذا البيت كشف الحجاب وطلب من الشاعر أن ينظر إلى وجهه، وأجزل له العطاء[1].

نخلص مما سبق أن الدولة العباسيّة وقفت منذ البداية موقفاً معادياً من دولة الأدارسة، الذين هم أبناء عمومة للعباسيين هذا الموقف المعادي للأدارسة، ولم يستطيعوا القضاء على دولتهم، بل استمرت هذه الدولة مدة من الزمن حتى قضى عليها الفاطميون أعداء العباسيّين.

ومهما يكن الصراع بين العباسيّين والأدارسة فقد كان للأدارسة الدور الهام في نشر الإسلام في أجزاء كبيرة من المغرب، إذ يقولِ حسن إبراهيم: (وكان لانتسابهم إلى الرسول الكريم أثر كبير في توحيد القبائل المعادية، وتأييد الأهلين لهم، بعد أن كادت فتن الخوارج تحرق شعلهم، واستطاع المولى إدريس لأول مرة أن يوحِّد بين إقليم السهول الساحلية (المغرب الأقصى)، وإقليم المراعي أي بين الحضارات القديمة، وإقليم البداوة، كما استطاع الأدارسة بفضل هذه الوحدة أن يوجهوا أنظارهم إلى حركة جهاد مقدس، بقصد إتمام نشر الإسلام في البلاد، ومحاربة العقائد الشاذة، والقضاء على بقايا اليهودية، والنصرانية بين قبائل المغرب)[2].

---

(١) ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م،ج٢، ص٤٦٧-٤٦٨؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٤١٤-٤١٦؛ ابن سعيد، المغرب، ج١، ص٤١٣.

(٢) حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام، ج٢، ص١٨٤.



- الأسباب التي أدت إلى قيام دولة الأغالبة
- المبادئ التي نادوا بها
- موقف السكان المحليين من دولة الأغالبة
- موقف الدولة العباسية من دولة الأغالبة

الفصل الثالث

دولـــة الأغالـــبة

(١٨٤ - ٢٩٦هـ/٧٩٩- ٩٠٨م)

* الأسباب التي أدَّت إلى قيام دولة الأغالبـة :

في جمادى الثانية سنة ١٨٤ هـ (٨٠٠م) قامت في أفريقية إمارة وراثية، بدأت مع إبراهيم بن الأغلب ابن المؤسس الحقيقي للدولة الأغالبة الأغلب بن عقال، وعملت جاهدة للإستقلال عن السلطة المركزية في بغداد[١].

وظهرت النزعة الاستقلالية قبل قيام دولة الأغالبة، ذلك عندما أراد عبد الرحمن بن حبيب (١٢٧-١٣٧هـ/٧٤٤-٧٥٤م) والي أفريقية التملص من سلطة بغداد، التي بدأت تتفكك وتتلاشى، لزيادة مساحتها وأقطارها البعيدة الخاضعة لها، ومحاولات العصيان من قبل الولاة وقواد الجيش، وكذلك بسبب عامل الشعوبية الذي تميزت به الدولة العباسية، والنزاعات الدينية والقبلية[٢].

وكانت ثورات البربر وحركاتها من الأسباب التي أتاحت للأغلب بن عقال أبرز قادة أبي جعفر المنصور وابنه إبراهيم بن الأغلب ١٨٤-١٩٥هـ/٨٠٠-٨١١م استغلال الفوضى السائدة في أفريقية، واعتبارها فرصة لإقامة الإمارة الأغلبية، وبرعاية شرعية من الدولة العباسية، التي أيدته صورياً، وبمباركة هارون الرشيد[٣].

وأرادت الدولة العباسية من قبول إقامة الإمارة الأغلبية أن تقضي على القلاقل والثورات للولاة والجند، والتي راهنت الدولة العباسية أنه لن يستطيع الأغلب بن عقال

---

(١) الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص١٥ مؤنس، تاريخ المغرب، م١، ص ٢٥٧، وما بعدها.

(٢) الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص١٥ مؤنس، تاريخ المغرب، م١، ص ٢٥٨.

(٣) المرجع نفسه، ص٥.

القضاء عليها، ولكنه تغلب عليها لحنكته السياسية وحصوله على المعاضدة من الجيش، ولاعتماده على حرسه الخاص، ولنقل مقر عاصمته من القيروان إلى العباسية[1].

وكان سبب نشوء دولة الأغالبة نتيجة لثورات البربر[*]، وعجز الخلافة العباسية عن إرسال الجيوش والأموال والعدة للقضاء عليهم، لذلك قبل الخليفة هارون الرشيد ولاية إبراهيم ابن الأغلب، وجعله يحكم أفريقية مستقلاً ومتوارثاً، على أن يدفع للخليفة خراج البلاد، والدعاء للخليفة وسك العملة باسم الدولة العباسية، ويقضي على حركات البربر، ومن الأسباب الأخرى التي أدت إلى قيام الدولة الأغلبية هو الوقوف في وجه الأدارسة والرستميين (الأباضيين)، إذا سوّلتِ لهم أنفسهم التسرب إلى أملاك الإمبراطورية الإسلامية[2]. وقد كان للبعد عن مركز الخلافة دور في نشوء دولة الأغالبة[3].

---

(1) الطالبيّ، مرجع سابق، ص٥.

(*) ثورات البربر: استطاع العرب خلال فتحهم أفريقية أن يجذبوا أهل هذه البلاد من البربر إلى الإسلام، ولكن سرعان ما أخذ هؤلاء البربر يثيرون الخلاف على العرب حتى غدت بلادهم مسرحاً للفتن والقلاقل، وقد زادت ثورات البربر خاصة بعد انتشار مذهب الخوارج بينهم، وقد كانت ثورتهم أيام المنصور عندما التفوا حول أبي الخطاب المعافري الخارجي فوجه المنصور محمد بن الأشعث بأربعين ألفاً لمحاربة الخوارج البربر وصحب معه الأغلب بن سالم التميمي فلقيهم ابو الخطاب بمنطقة سرت وتصادم الفريقان وقتل ابو الخطاب واستسلمت جموعه ودخل الأشعث القيروان سنة ١٤٤هـ وضبط المغرب أحسن ضبط وفتح طرابلس وولى عليها المخارق بن غفار الطائي وعلى طنجة والزاب ولى الأغلب بن سالم وهو جد الأغالبة ملوك افريقيا فيما بعد وعاد الأشعث إلى المشرق بعد أن بقي والياً على المغرب أربع سنوات. وقد ثار الخوارج البربر سنة ١٥٠هـ وفي سنة ١٧٨هـ ولى المنصور على المغرب هرثمة بن أعين، وعلى الرغم من أنه استطاع أن يضعف الثوار رأى أن إخضاعهم من الصعوبة بمكان لتأصل العداء في نفوسهم وكراهيتهم لولاتهم العرب لفرضهم الضرائب التي أثقلت كواهلهم، وعاد من المغرب سنة ١٨٨هـ بعد أن استعفى عن الولاية من الرشيد لما رآه من الخلاف، وقد كره السكان هذه الثورات وحملوا صاحب الشرطة إبراهيم بن الأغلب على طلب الولاية لنفسه من الرشيد فكتب على الخليفة واعداً إياه بهدوء الأحوال ويكف عن المطالبة بما كانت ترسله مصر إليها من الأموال التي اعتادت أن ترسلها إليه في كل سنة، ومقدارها اربعون ألف دينار على أن تكون الولاية وراثية في أولاده وأحفاده واستشار الرشيد من يثق بهم ولا سيما هرثمة بن أعين الذي اختبر أحوال البلاد وعرفها فأشار عليه بالقبول وامتدح مقدرة ابراهيم وأثنى عليه لما رآه في عقله وكفايته فولاه الرشيد إياها في شهر محرم سنة ١٨٤هـ/ ٨٠٠م. انظر: ابن أبي دينار، المؤنس، ص ٦٢،٦٣؛ وانظر: حسن،السياسي، ج٢، ص ١٧٧؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص ٢٥.

(2) ابن خلدون، المقدمة ، ص ٤٢، ٤٣؛ وانظر: وفيقة، نشوء الدويلات، ص ٣٣.

(3) وفيقة، نشوء الدويلات، ص ٣٥.

لهذه الأسباب كانت دولة الأغالبة دولة مستقلة منفصلة عن الدولة العباسية رسمياً، بشروط متفق عليها بين الطرفين العباسي والأغلبي، ومن تلك الشروط إرسال الخراج، وذكر اسم الخليفة في الخطبة، وضرب اسمه على النقود.

ومن الأسباب الأخرى لقيام دولة الأغالبة بُعدُ أفريقية عن مركز الدولة العباسية واتساعها، إذ أنها تضمّ طرابلس وأفريقية والزاب، ولذلك فإن الدولة العباسية اتسعت مع ابراهيم بن الأغلب في حكم الولاية على أن يلتزم بالشروط، رغم الاتفاق إلا أن الدولة الأغلبية وتعدّ دولة الأغالبة دولة استقلالية عن الدولة العباسية، لوجود ولاة ونظام حكم وراثي من الأغلب إلى ابنه إبراهيم إلى ورثته[1].

ولم يمانع بنو الأغلب من أن يعين الخلفاء قضاة القيروان كجزء من سيادتهم على بلاد بنو الأغلب، وعلى أن يؤدي كذلك بنو الأغلب جزءاً من المال للدولة العباسية[2].

يقول ابن خلدون (فمن قصرت عصبيته مثل حماية الثغور، أو جباية الأموال، أو بعث البعوث فهو ملك ناقص، ولم تتم حقيقته، كما وقع كثير لملوك البربر ولدولة الأغالبة في القيروان)[3]، ويرجع أصل الأغالبة إلى بني تميم[4].

سمّي الأغالبة بهذا الاسم نسبة إلى الأغلب بن سالم بن عقال الذي وُلد في مروا الروذ من أعمال خرسان ولّي أفريقية سنة ١٤٨- ١٥٠هـ/٧٦٥- ٧٦٧م[5].

وكان الأغلب من الجند العربي الخراساني الذي وفد مع القوات العباسية إلى مصر وأصبح من جنودها[6]، ودخل الأغلب أفريقية في قوات محمد بن الأشعث سنة ١٤٤هـ/٧٦١م وعهد اليه المنصور بولاية أفريقية في أواخر سنة ١٤٨هـ/٧٦٥م وأوائل

---

(١) مؤنس، تاريخ المغرب، م١، ص ٢٥٨.

(٢) المرجع نفسه، م١، ص٢٥٨.

(٣) ابن خلدون، المقدمة ص ٢١.

(٤) ابن حزم، جمهرة، ج١، ص٢٢١.

(٥) ابن الابار، الحلة السيراء، ج١، ص ٦٩-٧٠؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص٢٧.

(٦) البلاذريّ، فتوح البلدان، ص ٢٣٣؛ حسن، تاريخ، ج٢، ص ٢٠٨.

١٤٩هـ/٧٦٦م[1]. والأغلب هو والد إبراهيم بن الأغلب (مؤسس دولة الأغالبة) إذ قدم القيروان سنة ١٤٧هـ وسرعان ما ثار عليه البربر، وقتل الأغلب على أبواب مدينة القيروان سنة ١٥٠هـ/٧٦٧م، وقبره هناك يعرف بقبر الشهيد[2].

ولقد كان الأغلب بن سالم بن عقال من كبار رجال الجيش، ويستدلّ على ذلك أن الخلافة العباسية عندما أرسلت الوالي محمد بن مقاتل العكيّ إلى أفريقية كلفت الأغلب بن سالم بن عقال بالمسير معه في نفر من جند مصر فدخل أفريقية، واستقر بها والياً على إقليم الزاب[*]، إذ كان يعيش في ذلك الإقليم جمع كثير من قبيلة بني تميم، لكن الأغلب بن سالم بن عقالٍ قتل في إحدى المعارك ضد خوارج بني رستم، لمحاولتهم الاتجاه شرقاً إلى أفريقية، فما كان من هرثمة بن أعين كما أسلفت إلا أن قام بتعيين الأغلب خلفاً لوالده على إقليم الزاب[3].

ومن المرجح أن إبراهيم كان في أفريقية عندما قتل والده، الذي خرج لقتال الحسن بن حرب الكندي[4]، وكان معه أهل بيته وخاصته[5]، وبعد مصرع الأغلب رجع ابراهيم مع أهله إلى مصر، وكان أحد قادة جيش الأغلب سالم بن سوادة التميمي قد عين والياً عليها سنة ١٦٤هـ/٧٨٠م من قبل الخليفة المهدي ١٥٨-١٦٩هـ/٧٧٤-٧٨٥م[6].

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ١٢٦؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص٢٧.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ١٢٦؛ وانظر: زكار، سهيل، تاريخ العرب والإسلام (منذ ما قبل البعث وحتى سقوط بغداد)، دار الفكر: بيروت، ط٣، ١٩٧٩، ص ٢٨٧، وسيشار إليه فيما بعد: زكار، تاريخ العرب.

(*) اقليم الزاب: ويشمل الزاب الأعلى (طرابلس) وهي بلاد الجريد ويلي هذه البلاد بلاد الزاب الأسفل على مدينة تاهوت في المغرب الأوسط (الجزائر) ثم المغرب الأدنى، انظر : ابن الابار، الحلة السيراء،ج١، ص٧١،٧٠؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص ٨٧.

(٣) ابن الأثير، ج٥، ص٩٥؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ص ج١، ص٧١،٧٠؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص ٧٤؛ الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص٩١.

(٤) الحسن بن حرب : هو أحد المتمردين على الأغلب بن سالم سنة ١٥٠هـ/ ٧٦٧م. انظر:ابن الابار، الحلة السيراء، ج١، ص ٧٢.

(٥) ابن عذاري، البيان، ج١، ص٧٤،٧٥؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٥٥.

(٦) الكنديّ، الولاة، ص ١٢٣؛ الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص ٢١٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٢، ص ٤٦.

كما كان عبدالله أخو إبراهيم يعيش في مصر، ويتمتع بثروة عظيمة[1]، وقد تتلمذ في مصر على يد الفقيه الليث بن سعد[2]، ويبدو أن الليث بن سعد قد أعجب به، فوهب له جارية اسمها جلاجل[3]، كما قال عنه (ليكونن لهذا الفتى شأن)[4]، ولم يبق إبراهيم في مصر، فقد تركها والتجأ إلى أفريقية، ولا تفصل مصادرنا في سبب ذلك، وأحاطت المصادر ذلك الحدث بالغموض فقد أشار اليعقوبيّ إلى ذلك بقوله (وكان إبراهيم بن الأغلب بن سالم أحد الجند الذين أخرجوا من مصر إلى أفريقية)[5]. كما انفرد اليعقوبيّ برواية مفادها أن ابراهيم بن الأغلب تولى شرطة أفريقية، فلمّا توفي ابن مقاتل العكيّ استخلف إبراهيم على البلد[6].

لكن هذه الرواية لا يمكن الأخذ بها، لأن المصادر الأخرى لا تشير إلى أن إبراهيم تولى الشرطة لصاحب أفريقية، كما أن إبراهيم لم يتولّ أيّ منصب إلا بعد قدوم هرثمة بن أعين إلى أفريقية، لا بل تم تعيينه (إبراهيم بن الأغلب) على إقليم الزاب، في حين يوضح البلاذريّ هذا بشكل أكبر بقوله: (وكان إبراهيم بن الأغلب من وجوه جند مصر، فوثب ومعه اثنا عشر رجلاً، فأخذ من بيت المال مقدار أرزاقهم ولم يزدادوا على ذلك شيئاً فلحقوا بموقع يقال له الزاب، وعامل الثغر يومئذ هرثمة بن أعين)[7].

ولكن الرقيق القيرواني يشير إلى أن إبراهيم وصل إلى الزاب وعلى أفريقية الفضل بن روح (١٧٧-١٧٨هـ/٧٩٣-٧٩٤م) فلقي من شعبه، وسوء مجاورته عظيماً، على حين يذكر في موضع آخر بأن والي أفريقية سنة ١٧٤هـ /٧٩٠م وهي السنة التي جاء بها ابن الأغلب إلى

---

(١) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص ٢١٣.

(٢) ابن خلكان، أبو العباس، شمس الدين أحمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م، ج٤، ص ١٢٩-١٣٢. وسيشار إليه فيما بعد: ابن خلكان، وفيات الأعيان.

(٣) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص ٢١٣؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص ٩٢.

(٤) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ٩٤-٩٥.

(٥) اليعقوبيّ، تاريخ، ج٢، ص ٢١١.

(٦) المصدر نفسه، ج٢، ص٢١١.

(٧) البلاذريّ، فتوح البلدان، ص ٢٣١.

مصر، وكان النصر بن حبيب وليس الفضل بن روح الذي كان والياً على الزاب عند وفاة والده روح بن حاتم الذي تولى أفريقية سنة (١٧١-١٧٤هـ/٧٨٧-٧٩٠م)[١]، وكان نصر بن حبيب قد بادر بتعيين العلاء بن سعد والياً على الزاب[٢]، وعند ذلك خرج الفضل بن روح من أفريقية إلى هارون الرشيد، ليرجع إليها بعد ذلك من قبل الرشيد (سنة ١٧٧هـ/٧٩٣م)[٣]، وحال تسلمه الإمارة أقرّ العلاء بن سعد على ولايته في الزاب[٤].

لكنَّ الكنديّ في كتابه (الولاة والقضاة) يذكر أن محمد بن زهير الأزدي الذي ولّي مصر سنة (سنة ١٧٣هـ/٧٨٩م)، عين على الخراج عمران بن عيلان، الذي منع أعطيات الجند فثاروا ضده، لذلك عزله الخليفة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٨م)، وولي على مصر داود بن يزيد (١٧٤هـ/٧٩٠م) فقام هذا الوالي بطرد هؤلاء الجند إلى المغرب والمشرق[٥]؛ ولهذا فإن إبراهيم غادر مصر منفياً، لأنه كان ضمن الجند الذين وثبوا على بيت المال بمصر حسب رواية البلاذري[٦].

وبهذا يكون إبراهيم بن الأغلب قد عاصر في الزاب كلاً من الفضل بن روح، والعلاء بن سعيد[٧].

ويبدوا أن إبراهيم بن الأغلب خصص وقته في الزاب، ليمحو بعض الأحداث الماضية من ذهنه، وليقوي من وضعه، وليكون ذا شخصية بين الجند، وسيداً على

---

(١) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص ١٨٣، ٢١٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٨٣.

(٣) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص ١٨٣؛ ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ٩٤؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص ٨٦؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٢، ص ٢٤٢؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام ، ج٣، ص١١.

(٤)الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص ١٨٥؛ وانظر: عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، طبعة دار الكتب الشرقية: تونس، ط٣، ١٣٧٣هـ، ص ٦٤ وما بعدها؛ زكار، تاريخ العرب، ص ٤٨٧ وما بعدها.

(٥) الكنديّ، الولاة، ص ١٣٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٢، ص ٧٥-٧٦؛ وانظر: الطاليّ، الدولة الأغلبية، ص ١١١-١١٢.

(٦) البلاذريّ، فتوح البلدان، ص ٢٣١؛ وانظر: عبب، الحياة الفكرية، ص ٤٤.

(٧) الطاليّ، الدولة الأغلبية، ص ١١٤-١١٥.

منطقته، لا سيّما وأن الأحداث كانت تسير لصالحه، وذلك لأن العلاء بن سعيد كان مشغولاً في خضم الأحداث التي بدأت بعد مقتل الفضل بن روح[1].

ولهذا فإن إبراهيم أصبح يكثر من إرسال الهدايا إلى هرثمة عند قدومه إلى أفريقية سنة ١٧٩هـ/٧٩٥م، كما صرح له بأنه لم يمد يده إلى بيت المال إلا لحاجته للنقود، وأنه على الطاعة[2]. فولاه هرثمة على الزاب[3]، وهنا أثبت إبراهيم مدى إخلاصه للخلافة، فقد شارك بمؤامرة اغتيال إدريس الأول مؤسس دولة الأدارسة في المغرب الأقصى سنة ١٧٩هـ/٧٩٥م[4].

ومهما يكن من أمر، فإن ولاية إبراهيم لأفريقية لم تتم بسهولة، وأنه حدث بينه وبين الوالي السابق محمد بن مقاتل العكيّ صراع مرير. فهناك رواية في (تاريخ المغرب) للرقيق القيرواني تقول: أنه بعد أن أعاد ابن الأغلب إلى الولاية محمد بن مقاتل العكيّ كتب صاحب البريد في أفريقية يحيى بن زياد إلى هارون الرشيد بخبر إبن العكيّ وتمّام[*]، فلما قرأ الرشيد الكتاب على أصحابه وعرفهم ما فعل إبراهيم بن الأغلب، وشاورهم في

---

(١) المرجع نفسه، ص ١١٤-١١٥؛ قاسم، الحياة الفكرية، ص ٤٥.

(٢) البلاذريّ، فتوح البلدان، ص ٢٣١.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ٩٥؛ إبن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٢، ص ٨٩-٩٠، وقد أشار ابن خلدون في العبر، ج٤، ص ١٩٥، على أن إبراهيم بن الأغلب كان عاملاً على الزاب.

(٤) رواية الرقيق القيروانيّ في تاريخ أفريقية والمغرب تقول : أن وزير الرشيد يحيى بن خالد البرمكي اشترى أحد شيعة الطالبيين وهو سليمان بن جرير (الشماخ) وأرسله إلى المغرب وتقول الرواية أن الشماخ حمل رسالة من الرشيد إلى ابن الأغلب وأنه قدم إلى إبراهيم – بعد اغتيال إدريس الأول – فأخبره بما كان منه. ومهما يكن من أمر، فإن الشماخ أعطى إدريس سنوناً مسموماً قاتلاً وأمره أن يستن عند طلوع الفجر ـ حيث أن إدريس قد شكا ألماً في أسنانه، وهرب الشماخ فلما طلع الفجر كان إدريس قد مات من السنون المسمومة بعد أن سقطت أسنانه، وبحث عن الشماخ فلم يظفر به. انظر : الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية والمغرب، ص ٢١٥؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ٨؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٢، ص ٢٥٢؛وانظر: مصطفى، شاكر، دولة بني العباس، دار الفكر: دمشق، ط١، ١٩٧٣م، ج١، ص ٦٩٥؛ الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص ١٢٢.

(*) تمام بن تميم: هو أحد الثائرين على محمد بن مقاتل العكيّ سنة ١٨٣هـ/ ٧٩٩م في تونس. انظر: ترجمة حياته في ابن الابار، الحلة السيراء، ج١، ص ٦٩-٧٠. ومما هو جدير بالذكر أن تماماً هذا، هو جد أبي العرب: محمد بن تميم صاحب كتاب طبقات أفريقية، ابن الابار، الحلة السيراء، ج١، ص ٩٠؛ وانظر: قاسم، الحياة الفكرية، ص ٤٦؛ نيبلة؛ محاضرات، ص ١٧٠؛ زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص ١٢٩؛ الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص ١١٦-١١٨؛ قاسم، الحياة الفكرية، ص٤٦.

الأمر، واستشار على وجه الخصوص هرثمة بن أعين والي المغرب السابق، الذي أكد أنه ليس بأفريقية (أحد أفضل طاعة، ولا أبعد صيتاً، ولا أرضى عند الناس من إبراهيم)، فكان ذلك سبباً أن كتب الرشيد عهده على أفريقية إلى إبراهيم بن الأغلب[1].

وهناك رواية أخرى في الكامل لابن الأثير تقول: إن ابن الأغلب كان قد كتب إلى الرشيد بناءً على طلب أهل البلد يطلب منه ولاية أفريقية، وأنه عرض على الرشيد الاستغناء عن المعونة السنوية التي كانت تحمل إلى أفريقية وتقدر بمائة ألف دينار، وأنه تعهد أن يحمل كل سنة أربعين الف دينار إلى بيت مال الخلافة[2].

وإذا اعتبرنا أن اتصال ابن الأغلب بالرشيد كان عن طريق عمّال الخليفة مثل صاحب البربر، ويمكن أن نكون قد وفقنا بين الروايتين.

وفي هذا الشأن يجب التمييز بين نوعين من الإمارات، إمارة استكفاء، وإمارة استيلاء، وتعقد الأولى بعقد عن اختيار، وتوافق مهام الوالي التقليد المولى، والمراقب، والمنقول، والمعزول، بحسب ما تقوله السلطة المركزية من رغبة[3].

وتطابق إمارة الاستكفاء الوضع السابق لانتصاب الأغالبة في الحكم، وهي النوع الذي يكتسب تماماً الصبغة الشرعية المرضية[4].

وتناط الإمارة الثانية بعقد عن اضطرار، وترمي إلى إخفاء الصفة الشرعية على وضع سيء في الواقع، طبقاً لمبدأ الضرورة[5]، ويعني ذلك أن يستولي الأمير بالقوة على بلاد الخليفة، ويفوض إليه تدبيرها وسياستها، فيكون الأمير باستيلائه مستبداً

---

(١) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص ٢٢٠؛ ابن الابار، الحلة السيرا، ج١، ص ٧٠.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ١٠٤؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٩٦؛ ابن أبي الضياف، اتحاف، ج١، ص ١١٠؛ دبوز، تاريخ المغرب، ج٣، ص١٣؛ عبد الوهاب، خلاصة، ص ٦٤؛ الجيلاني، تاريخ الجزائر، ج١، ص ٩٤؛ بونار، رابح، المغرب العربي (تاريخه وثقافته)، ط٢، الجزائر، ١٩٨١م، ص٣٠. وسيشار إليه فيما بعد: بونار، المغرب.

(٣) الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص ٣٧٧.

(٤) الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص ٣٧٧.

(٥) المرجع نفسه، ص ٣٧٧.

بالسياسة والتدبير، والخليفة بإذنه منفذ أولاً أحكام الدين ليحرم من الفساد إلى الصحة، ومن الحظر إلى الإباحة)[١].

وهناك رواية أخرى يذكرها البلاذريّ مفادها أن الرشيد عندما علم بأحداث أفريقية، استشار هرثمة فاقترح عليه الأخير بتعيين إبراهيم بن الأغلب، فكتب له الرشيد العهد، وأنه قد صفح عنه[٢].

وتشير مصادر أخرى إلى أن الرشيد ولى إبراهيم أفريقية، إلا أن إبراهيم تمكن من قتل أحد موالي إدريس الثاني ويدعى راشداً، فنسب العكيّ ذلك لنفسه، وعندما علم الرشيد بحقيقة الأمر عزل العكيّ، وولى إبراهيم على أفريقية[٣]، وهذه الرواية غير واقعية، لأنها تشير إلى مقتل راشد سنة ١٨٤هـ/٨٠٠م على حين أن مقتله كان سنة ١٨٦هـ/٨٠٢م[٤].

ومهما اختلفت الروايات في مسالة تعيين إبراهيم بن الأغلب على أفريقية، فإن تعيينه كما يرى بعض المحدثين جاء بناءً على موافقة الرشيد، لا سيما بعد أن عرض عليه أن يدفع له أربعين الف دينار، ويستغني عن المائة ألف دينار التي كانت ترسلها خزينة مصر لأفريقية[٥].

وكانت سياسة الرشيد في تلك الفترة ترمي إلى الحدّ من نفوذ البرامكة، الذين كانوا يدعمون محمد بن مقاتل العكي[٦].

فعزل محمَّد بن مقاتل العكيّ وتعيين إبراهيم بن الأغلب مكانه يندرج ضمن سياسة الخلافة في الشرق[٧].

---

(١) الطالبيّ، مرجع سابق، ص ٣٧٧.
(٢) البلاذريّ، فتوح البلدان، ص ٢٣١؛ وانظر: الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص ١٢٢.
(٣) ابن الابار، الحلة السيراء، ج١، ص ٩٠-٩١؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٧-٢٨.
(٤) الطبريّ، تاريخ، ج٨ ص ٣٠٢؛ ابن عذاري، البيان، ص ٨٢.
(٥) ابن أبي دينار، المؤنس، ص ٦٣؛ وانظر: الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص ١٢٣.
(٦) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص ٢٢١؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٨٩.
(٧) الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص ١٢٥-١٢٦؛ قاسم، الحياة الفكرية، ص٥٠.

ويجب أن لا نغفل أيضاً أن هناك مسألة مهمة كنا قد ذكرناها، وهي وجود دولة الأدارسة في المغرب الأقصى، وقد كانت قد بدأت تزاحم الخلافة أملاكها في المغرب، بل وامتدت مزاحمتها إلى مصر، فقد راسل إدريس الأول أهل مصر[1].

ولهذا فمن الطبيعيّ أن تقوم بالدفاع عن أراضيها، ولكن نتيجة الثورات ووجود حركات انفصالية أخرى تزاحم الدولة العباسية على أراضيها قبلت الدولة العباسية بوجود دولة أخرى تدافع عن أراضيها، ضمن شروط تم الاتفاق عليها مسبقاً، وفي الوقت نفسه منفصلة عن الخلافة بإنشاء دولة تكون جاهزة[2]، أي تكون حاجزة بين ممتلكاتها وبين مناطق المغرب العربي[3].

وبمعنى آخر إن الخلافة اتعظت من مشكلاتها في المغرب، ومن تعيين الولاة بين فترة وأخرى، فقررت إيجاد أسرة موالية لها في المغرب[4].

وهكذا عيّن إبراهيم على أفريقية، وعاد محمد العكيّ إلى المشرق، بعد أن أقام عدة أيام في القيروان، نزولاً عند رغبة إبراهيم بن الأغلب[5]. وفي طريق عودته إلى المشرق لقي في طرابلس حماداً السعوديّ رسول الخليفة الرشيد إلى أفريقية[6]، فعمد محمد العكيّ إلى

---

(١) ابن الخطيب، أعمال الأعلام ج٣، ص ١٧-١٨؛ وانظر: سالم، المغرب الكبير، ج٢، ص ٣٧٤؛ قاسم، الحياة الفكرية، ص٥٠.

(٢) العبادي، في التاريخ العباسي، ص ٩٢، وسيشار إليه فيما بعد: العبادي، في التاريخ العباسي؛ زكار، تاريخ العرب، ص ٤٨٨.

(٣) الأصطخري، المسالك، ص ٤٥؛ وانظر: بل، الفريد، الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، بنغازي، ليبيا، ١٩٦٩م، ص ٨٩. وسيشار إليه فيما بعد: بل، الفرق الإسلامية؛ المطوي، محمد العروسي، سيرة القيروان، رسالتها الدينية والثقافية في المغرب الإسلامي (ليبيا، تونس)، ١٩٨١م، ص٢٣.

(٦)Vonderhyden, Lberberie Orientale Sous Ladyastie Des Bonou, L, Arab – ٨٠٠-٩٠٠, Paris, ١٩٣٧, P.٨.

(٥) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص ٢٢٠؛ وانظر: الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص ١٢٧.

(٦) النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٥٤؛ قاسم، الحياة الفكرية، ص ٥١.

تزوير كتاب كتبه له داوود القيرواني[*]، بعزل إبراهيم وإقرار محمد العكيّ على أفريقية وأرسل الكتاب إلى القيروان[1].

وعندما تسلم إبراهيم الكتاب، امتثل لما جاء فيه، فرجع إلى الزاب[2]، وما أن علم الرشيد بذلك حتى أرسل كتاباً شديد اللهجة إلى محمد بن مقاتل العكيّ يأمره بالقدوم إليه[3].

وعند ذلك خرج العكيّ (من أفريقية وأعمالها، على هذه الحال لم يكافيء إبراهيم بن الأغلب على حسن ما أسلفه في جانبه إلا بأقبح الأفعال)[4].

فعاد إبراهيم ليدخل القيروان، وذلك لاثنتي عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة ١٨٤هـ/ الموافق للتاسع من أيلول سنة ٨٠٠م[5]، وفي هذا التاريخ تأسست الدولة الأغلبية في أفريقية.

ويبدو أنَّ إبراهيم بن الأغلب على جانب عظيم من الشجاعة، ورجاحة العقل، الأمر الذي مكنه من إقناع الدولة العباسية بتأسيس دولة له ولذريته من بعده، وإقامة دولة بينه وبين الأدارسة في المغرب، تكون درعاً متيناً، ومنطقة حياد تحفظ امتداد حكمهم إلى دولة حاجزة.

(*) داوود القيروانيّ : كان كاتباً لمحمد العكيّ ثم ولي الكتابة لإبراهيم بن الأغلب لمزيد من التفاصيل انظر : ابن الابار، أعتاب الكتاب، تح صالح الأشتر، دار الفكر: دمشق، ١٩٦١، ص ١٠٥-١٠٧.

(١) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص ٢٢٠؛ ابن الابار، الحلة السراء، ج١، ص ٩٤؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٥٤؛ وانظر: الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص ١٢٧-١٣٠؛ قاسم، الحياة الفكرية، ص٥٢.

(٢) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص ٢٢١، ابن الابار، الحلة السيراء، ص ٩٤-٩٥.

(٣) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص ٢٢١؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٥٥.

(٤) ابن الابار، الحلة السيراء، ج١، ص ٩١.

(٥) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص ٢٢١؛ مجهول، العيون والحدائق، ج٣، ص ٣٠٣؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٥٥؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص ٦٣؛ وانظر: الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص ١٢٨-١٢٩؛ سليمان، أحمد سعيد، معجم الأسر الإسلامية الحاكمة، مكتبة لبنان : بيروت، ط١، ٢٠٠٤م، ص ٢٨. وسيشار إليه فيما بعد: سليمان، معجم الأسر.

إنَّ اتفاق الدولة العباسية مع إبراهيم بن الأغلب كان اتفاقاً معقولاً، وحلاً سليماً لمشكلة حكم ولاية بعيدة واسعة، تضم طرابلس، وأفريقية (تونس)، والزاب، بعد أن بذلت الدولة العباسية جهوداً في المحافظة على هذا الجزء من أملاكها في الشمال الأفريقي.

وقد أيّد بنو العباس بني الأغلب خوفاً من اتساع الدولة الإدريسية، وتهديدهم سلطانهم في المشرق[1].

وكان الهدف الرئيس من الجهود التي بذلتها الدولة العباسية للمحافظة على أفريقية هو تأمين مصر ولايتها الكبرى في الغرب، فكان ولاة الدولة على مصر هم الذين يكلفون بقيادة الجيوش التي ترسل لحرب الخوارج في أفريقية، لأن ذلك كان من اختصاصهم، وكانت تلك الجيوش تدعم من أموال مصر، لأن ذلك حماية لها، وما دامت أفريقية سالمة خالصة للدولة العباسية، فإن ما يقع إلى غربها لم يكن ليقلق بال خلفاء بني العباس، خاصة وقد امتدت حدود أوليائها وأنصار المذهب السني إلى آخر حدود ولاية أفريقية غرباً[2].

لقد كان ابن الأغلب يفخر في بعض أشعاره بأنه يكيد للأدارسة، ويعمل على القضاء عليهم[3].

وبعد أن تولّى إبراهيم بن الأغلب أفريقية (تونس) كان لا بد له من القيام ببعض الأمور؛ لتثبيت حكمه، منها بناء مدينة العباسية الواقعة على بعد ثلاثة أميال من القيروان سنة ١٨٤هـ/٨٠٠م[4]، أمّا ابن عذاري فيجعل بناءها سنة ١٨٥هـ/٨٠١م[5] وقد سمّيت

---

(١) مؤنس، تاريخ المغرب، ص ٢٥٨-٢٥٩.

(٢) مؤنس، تاريخ المغرب، ص ٢٥٩؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص ٢٥-٢٦.

(٣) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ٨٥؛ مؤنس، تاريخ المغرب، ص ٢٥٩؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص ٢٥-٢٦.

(٤) البكريّ، المغرب، ص ٢٨-٢٩؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص ٧٥؛ ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٥٦.

(٥) ابن عذاري، البيان، ج١، ص٩٢.

بهذا الاسم تيمناً بالخلافة العباسية[1]، كما أطلق عليها أيضاً (القصر القديم)[2]، وقد سمّاها البلاذريّ بالقصر الأبيض وجعل بناءها سنة ١٨٤هـ/٨٠٩م[3].

فالخلافة العباسية كانت تهدف إلى أن تشكل الدولة الأغلبية بعاصمتها العباسية قوة مانعة أمام الرستميين بتاهرت[*]، وتحقيق طموحات الدولة العباسية في التصدي لتلك الدول الاستقلالية[4].

ولم يكد إبراهيم يستقر حتى تمرد عليه بتونس سنة ١٨٦هـ/٨٠٢م رجل يدعى خريش بن عبد الرحمن الكنديّ[5]، وسمّاه الرقيق القيرواني بحمديس[6]، واكتفى ابن عذاري بتسميته بالكنديّ[7]، لكنه جعل تمرده في الوقتِ الذي بدأت فيه الحرب بين الأمين والمأمون[8]، وقد خلع حمديس (خريش) السواد، أي أن هذا الأخير كان متمرداً على الدولة العباسية[9]، دلالة على عدم الطاعة للدولة العباسية والتمرد عليها، ولكنّ هذا التمرد قضي عليه على يد عمران ابن مجالد أحد قادة إبراهيم بن الأغلب[10].

---

(١) المصدر نفسه، ج١، ص١٩٢؛ وانظر: قاسم، الحياة الفكرية، ص ٥٣.

(٢) البلاذريّ، فتوح البلدان، ص ٢٣١؛ زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص ١٥٣-١٥٥.

(٣) البكريّ، المغرب، ص ٢٨؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص ٩٢؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٥٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٤٧٦؛

(*) تاهرت:مدينة من مدن المغرب الأوسط. لمزيد من التفاصيل، انظر : اليعقوبيّ، البلدان، ص ١٠٤؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٨٦. وعن بنائها، انظر : أبا زكريا، سير، ص ٨١ وما بعدها؛ الدرجيني، طبقة المشايخ، ج١، ص ١٤١ دبوز، تاريخ المغرب، ج٣، ص ٢٦١-٢٧٦؛ بكير، بحاز إبراهيم، الدولة الرستمية، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، رسالة ماجستير، كلية الآداب:جامعة بغداد، بغداد، العراق، ١٩٨٣، ص ٨٦-٩٤.

(٤) كحيلة، المغرب، ص٤٥؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص ٢٥، ٣٣.

(٥) ابن الابار، الحلة السيراء، ج١، ص ١٠١-١٠٤.

(٦) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص ٢٢٤.

(٧) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ٩٣.

(٨) زغلول، تاريخ المغرب ج٢، ص ٣٤-٣٥.

(٩) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص ٢٢٤-٢٢٥؛ ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص ١٥٩؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤،ص٥٥.

(١٠) عمران بن مجالد: أحد قادة جيش إبراهيم بن الأغلب، لمزيد من المعلومات حول ذلك، انظر: الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص ٢١٢٤؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٥٥؛ البلاذريّ فتوح البلدان، ص ٢٣١؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص ٢٣٥؛ ولمعلومات عن ترجمة حياة عمران بن مجالد، انظر، ابن الابار، الحلة السيراء، ج١، ص ١٠٥.

وَمَا إن بدأ إبراهيم يستقر بعد قضائه على تمرّد حمديس(خريش)، حتى تمردت عليه منطقة طرابلس سنة ١٨٩هـ/٨٠٥م، فقد ثار بها الجند على الوالي سفيان بن المضاء في ولايته الرابعة على هذه المدينة، حيث كانوا دائماً يشكون من ولاتهم فقد نصّبوا عليهم إبراهيم بن سفيان التميمي مكانه(١)، كما وقعت في المدينة نفسها حرب بين الأبناء(*) من جهة وبين بني أيوب وبني يوسف من جهة أخرى، لكن إبراهيم بن الأغلب، استطاع أن يُخمد هذا الوضع بعد أن استنجد بأحمد بن إسماعيل والي مصر (١٨٧-١٨٩هـ/٨٠٢- ٨٠٤م)(٢). ثمَّ أمر بإحضار المتنازعين إلى القيروان، فسألوه الأمان، فقبل بعد أن أخذ منهم العهود(٣) وتمرد عليه كذلك قائده عمران بن مجالد سنة ١٩٤هـ/٨٠٩م، واستولى على القيروان(٤)، وكاد الأمر يتفاقم إلى أكثر من ذلك لولا وصول الأموال من مصر إلى إبراهيم(٥). فنودي أنه من كان من جند أمير المؤمنين فليأخذ عطاءه، فتفرق أصحاب عمران عنه، وهرب هو إلى الزاب(٦)، وبقي في الزاب إلى أن توفي إبراهيم، وصار الأمر إلى ابنه أبي العباس، فكتب إليه يساله الأمان فأمنه، ثم قتله في عهد الأمير عبدالله بن إبراهيم ١٩٦- ٢٠١هـ/٨١١- ٨١٦م(٧)، كما تمرد على إبراهيم رجل يدعى (أبا عصام) لكن إبراهيم قضى على تمرّده(٨).

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص١٠٤.

(*) الأبناء: هم أبناء الجند المولودين في أفريقية سواء كانوا عرباً أم عليين أو من عرب حروب التحرير، ولم ينخرطوا في الصفوف العسكرية. انظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص ٣٤-٣٥.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٢، ص ١٢٤.

(٣) ابن خلدون، العبر، ج٤، ص ١٩٦؛ سالم، المغرب الكبير،ج٢، ص ٣٧٦؛ الزاوي، الطاهر أحمد، ولاة طرابلس، دار صادر : بيروت، ١٩٧٠م، ص ٥٧، البرغوثي، عبد اللطيف، تاريخ ليبيا الإسلامي (من الفتح الإسلامي حتى بداية الفتح العثماني)، دار صادر: بيروت، ١٩٧٣م، ص ٢٠١.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ١٠٤؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٥٥، لكن ابن الأثير لا يذكر السنة.

(٥) البلاذريّ، فتوح البلدان، ص ٢٣١؛ علي حين يشير كل من ابن الأثير في الكامل، ج٦، ص ١٥٦، ج٥، ص ٣٢٨ وابن خلدون في العبر، ج٤، ص ٢٣٥ : بأن الأموال حملت من الرشيد إلى إبراهيم ونحن نعلم أن الرشيد توفي سنة ١٩٣هـ/ ٨٠٨م.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ١٠٤؛ الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص ١٦٣-١٧٢.

(٧) النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٥٦.

(٨) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ١٠٤-١٠٥.

ولم تهدأ الأوضاع في منطقة طرابلس، فقد حدثت الاضطرابات فيها كذلك سنة ١٩٦هـ/٨٠٢م[١]، ما حدا بابراهيم إلى إرسال ابنه إليها، وفعلاً دخل عبدالله طرابلس، واشتبك مع عبد الرحمن بن رستم امام الخوارج الأباضيين في تاهرت[٢].

وكان لحركات التمرّد في عهد إبراهيم أسباب كثيرة منها الخروج عن الطاعة، والطموح الذي كان يسعى إليه بعض القادة، أو بسبب الخوارج القاطنيين في منطقة طرابلس الذين كثيراً ما أحدثوا الاضطرابات في هذه المنطقة، ولم تهدأ هذه الاضطرابات من قبل الخوارج إلا سنة ٢٨٣هـ/٨٩٦م، ولم تكن فترة عبدالله بن إبراهيم[*] صعبة وشاقة إذ لم يحدث في عهده ما يستحق الذكر، إلا أن العبء الأكبر في تثبيت الدولة الأغلبية، والدفاع عنها وقع على عاتق أخيه زيادة الله بن إبراهيم[*] ٢٠١-٢٢٣هـ/٨١٦-٨٣٧م[٣].

فقد قامت العديد من حركات التمرُّد ضدَّه، منها تمرُّد زياد بن سهل سنة ٢٠٧هـ/٨٢٢م الذي يُعرف (بابن الصقلبية) الذي خرج بموضع يُعرف بفحص أبي صالح، وهو قريب من منطقة باجة التي حاصرها، لكن هذه الثورة انتهت سريعاً على يد سالم بن سوادة قائد زيادة إلله الأغلبي، الذي تمكن من فك حصار باجه، وقتل كثيراً من

---

(١) ابن الأثير، ج٥، ص ١٠٥؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص ١٩٧؛ وانظر: قاسم، الحياة الفكرية، ص ٥٥.

(٢) ابن عبد ربه، ابا عمر أحمد بن محمد، العقد الفريد، بولاق : القاهرة، ١٩٤٠م، ج٢، ص ٣٩١. وسيشار إليه فيما بعد: ابن عبد ربه، العقد؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٩٣؛ البغدادي، الفرق، ص ١٠٣ وما بعدها؛ ابن حزم، جمهرة، ص ١٨؛ دبوز، تاريخ المغرب، ج٢، ص ١٢٨ وما بعدها؛ اسماعيل، الخوارج، ص ٢٢٠.

(*) عبدالله الأول بن إبراهيم بن الأغلب (١٩٦-٢٠١هـ/ ٨١١-٨١٦م) ولاه أبوه بعده أي اتبع طريق الوراثة في الحكم، وكان سيء السيرة، حتى أغضب أهل بيته، وأهالي أفريقية، واشتط في جمع الضرائب، وكانت معاملته للأهلين تنطوي على كثير من العنت والجور، مات سنة ٢٠١هـ/ ٨١٦م. انظر : ابن عذاري، البيان، ج١، ص ٩٥ وما بعدها؛ وانظر: رفيقة، نشوء الدويلات، ص ٢٦.

(*) زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب، ٢٠١-٢٢٣هـ/ ٨١٦-٨٣٧م. تولى السلطة بعد وفاة أخيه عبدالله عام ٢٢٣هـ/ ٨٣٧م في أول أيام المأمون، وكان أطول الأغالبة عهداً بالحكم وكان يميل إلى الظلم والجور، ويمتاز عهده بقيام بعض الثورات ومحاولة فتح جزيرة سردينية ثم فتح جزيرة صقلية في البحر الأبيض المتوسط. انظر : ابن أبي دينار، المؤنس، ص ٦٣-٦٤؛ وانظر: عبد الوهاب، خلاصة، ص ٦٥-٦٦؛ رفيقة، نشوء الدويلات، ص ٢٦.

(٣) ابن الابار، الحلة السيراء، ج١، ص ١٦٦،١٦٧؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص ٦٣؛ وانظر: عبد الوهاب، خلاصة، ص ٦٥.

أصحابه الذين خالفوا معه، وغنم أموالها[1]، ويبدو أن سبب هذا التمرد سوء سيرة ومعاملة زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب للجند[2].

لكنَّ هذا التمرد قضى عليه من قبل سفيان بن سوادة قائد جيش زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب[3]، وتمرد عليه كذلك عمرو بن معاوية سنة ٢٠٨هـ/٨٢٣م، لكن هذا التمرد قضي عليه، وقتل عمرو مع ولديه على يد زيادة الله بن إبراهيم[4].

ويبدو أنَّ سياسة زيادة الله التي تتسم بالعنف، تعدّ من الأسباب أهمّ التي أدّت إلى تمرد الكثيرين عليه، وأكبر تمرد واجهه هو الذي قاده منصور بن نصير الطنبذي[5] (سنة ٢٠٨هـ/٨٢٣م)[6].

وكاد هذا التمرد أن يطيح بالدولة الأغلبية حتى أن زيادة الله بن إبراهيم لم يبق بيده إلا الساحل وقابس[7]، وتعدَّى الأمر إلى أكثر من ذلك، فقد سك منصور نقوداً باسمه، وضرب على النقد الذي أصدره اسم أفريقية، وذلك دليل على مدى قوته وما استولى عليه من البلاد، بل غيّر كلمة (غلب) الذي هو شعاراً الأغالبة إلى كلمة (عدل)، واتخذ هذا اللفظ شعاراً لتمرده[8]، وهكذا كاد منصور أن يقيم دولة مستقلة عن بني الأغلب[9]، ولكن انقسام

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص١٨٤-١٨٥؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص ٩٧؛ وقارن ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢٣٦.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج١، ص٩٦.

(٣) ابن عذاري، ج١، ص ٩٦-٩٧؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص ٤٤؛ الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص ١٨٣-١٨٥.

(٤) ابن عذاري، البيان، ج١، ص٩٧-٩٨؛ وانظر: الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص ١٨٥-١٨٩.

(٥) خرج الطنبذي، منصور بن نصر على زيادة الله سنة ٢٠٩هـ/ ٨٢٤م. ومنصور هذا كما يقول ابن الابار في الحلة السيراء، هو من قبيلة هوزان من ولد دريد بن الصمة، ويعرف بالطنبذي نسبة إلى قصر له في قرية طنبذة، من إقليم المحمدية بالقرب من تونس. انظر: البكريّ، المغرب، ص ٣٨؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص ٤٣.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ١٨٥؛ وجعل ابن عذاري هذا التمرد سنة ٢٠٩هـ/ ٨٢٤م، انظر: ابن عذاري، البيان، ج١، ص ٩٨.

(٧) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج٣، ص ١٩.

(٨) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ٩٨-٩٩؛ ابن أبي الضياف، اتحاف، ج١، ص ١٠٦؛ وانظر : عبد الوهاب، حسن حسني، ورقات من الحضارة العربية بأفريقية التونسية، الدار التونسية: تونس، ١٩٦٤، ج١، ص ٤٣٠، وسيشار إليه فيما بعد: عبد الوهاب، ورقات؛ ابن قربة، صالح، المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد، الجزائر، ١٩٨٦، ص ٢٤٧؛ وسيشار إليه فيما بعد : ابن قربة، المسكوكات.

(٩) ابن قربة، المسكوكات، ص ٢٤٧.

المتمردين على أنفسهم، بعد مقتل منصور سنة (٢١١هـ/٨٢٦م)[١] على يد أحد قواده، وهو عامر بن نافع، حال دون تحقيق ذلك، ولم ينته هذا التمرد إلا بعد وفاة عامر سنة ٢١٤هـ/٨٢٩م، فلما سمع زيادة الله بن إبراهيم بذلك قال (الآن وضعَت الحرب أوزارها)[٢].

ولم يكن عصيان منصور آخر تمرُّد حصل في عهد الأمير زيادة الله، فقد تمرد عليه كذلك رجل يدعى فضل ابن ابي العنبر (سنة ٢١٨هـ/٨٣٤م) في تونس، لكن زيادة الله تمكن من قمع تمرده[٣]، ويبدو أن قوة زيادة الله وشدته ومقدرته على قمع كل التمرُّدات التي حصلت ضدَّه قد هيأت فترة من الهدوء السياسي في عهده، وقد خلفه الأمير أبو عقال الأغلب بن إبراهيم ٢٢٣-٢٢٦هـ/٨٣٧-٨٤٠م[٤].

وباستثناء الحملة التي أرسلها ضد قبائل لواته، وزواغة، ومكناسة، الموجودة بين قفصه وقسطيلية[٥]، وذلك سنة ٢٢٤هـ/٨٣٨م، بقيادة عيسى بن ريعان الذي انتصر عليها[٦]، وكانت هذه القبائل الموجودة في تلك المنطقة من الخوارج الإباضية، الذين كانوا غالباً ما يثيرون القلاقل ضد دولة الأغالبة[٧].

وفي عهد أبي العباس محمد الأول بن الأغلب (٢٢٦-٢٤٢هـ/٨٤٠-٨٥م)[٨]، وأحرقت العباسية عاصمة الأغالبة من قبل الرستميين سنة ٢٣٩هـ/٨٥٣[٩]، ونلاحظ في

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ١٨٥-١٨٦.

(٢) ابن الابار، الحلة السيراء، ج١، ص ١٦٧.

(٣) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ٩٨-٩٩؛ زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص ٤٦-٦٠؛ الطالبي، الدولة الأغلبية، ص ١٩٠-٢٢٩.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص ٢٥٢-٢٥٣؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١٠٧؛ ابن خلدون، العبر، ج٣، ص ٣٨٣؛ (ويسميه ابن أبي العين)، وانظر: سالم، المغرب الكبير، ج٣، ص ٣٨٣؛ زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص ٦٢؛ الدولة الأغلبية، ص ٢٣٢-٢٣٤. وأبو عقال (الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب وهو أخو زيادة الله وتولى السلطة من ٢٢٣-٢٢٦هـ/ ٨٣٧-٨٤٠م بعده ابنه محمد الأول بن الأغلب (٢٢٦-٢٤٢هـ)، حيث انهى أبو عقال فتح صقلية واختط قصره، وفي أيامه عصى أهل تونس، فثار عليهم وسبى منهم خلقاً كثيراً وفي أيامه فتحت مدينة (بانه) في صقلية وبني بها مسجداً. انظر: ابن أبي دينار، المؤنس، ص ٦٤-٦٥؛ وانظر: عبد الوهاب، خلاصة، ص ٦٨؛ وفهلة، نشوء الدويلات، ص ٢٧.

(٥) ابن عذاري، البيان، ج١، ص١٠٧؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص ٢٣٩.

(٦) ابن عذاري، البيان، ج١، ص١٠٧؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢٣٩.

(٧) الزاوي، تاريخ الفتح، ص ٢١٦؛ سالم، المغرب الكبير، ج٢، ص ٣٩٣؛ وانظر:زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص ٧٥-٧٦؛ الدولة الأغلبية، ص ٢٤٢-٢٤٣.

(٨) الزاوي، تاريخ الفتح، ص ٢١٦؛ وانظر: سالم، المغرب الكبير، ج٢، ص ٣٩٣.

(٩) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٣١؛ وانظر: اسماعيل، الخوارج، ص ٥٢.

عهده ملاحظة لم تعهدها من قبل وهي تغلب أخيه أحمد بن محمد على الحكم سنة ٢٣١هـ/٨٤٥م[١]، ما يشير إلى وجود خلافات بين أفراد الأسرة الأغلبية الحاكمة. لكن الأمير محمد استطاع أن يسترد الأمور من يد أخيه (سنة ٢٣٢هـ/٨٤٦م)[٢]، ولكنَّ عهده لم يخل من بعض الثورات والتمرُّدات الأخرى، فقد حدث تمرُّد ضدَّه (سنة ٢٣٣هـ/٨٤٧م)، قاده سالم بن غلبون الذي استغل حالة النزاع بين الأخوين[٣]، ولكن هذا التمرد قضى عليه بقيادة خفاجة بن سفيان أحد قادة الأمير محمد، ودفع سالم بن غلبون حياته ثمناً له[٤].

ولم تكد الأمور تهدأ للأمير محمد حتى تمرد عليه عمرو بن سليم التجيبي (القويع) في تونس سنة ٢٣٤هـ/٨٤٨م[٥]، ودام تمرده سنتين حتى انتهى بمقتله[٦].

وامتنع السكان في منطقة طرابلس في عهد الأمير أبي إبراهيم أحمد بن محمد[*] (٢٤٢- ٢٤٩هـ/٨٥٦- ٨٦٣م في سنة ٢٤٥هـ/٨٥٩م) عن دفع العشور والصدقات، فأرسل أخاه زيادة الله الثاني[*]، فعادوا إلى الطاعة[٧].

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١٠٨.

(٢) النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٦٣؛ وانظر: الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص ٢٤٥-٢٥٤.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص ٤٠؛ وانظر:زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص ٨٣-٨٤.

(٤) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١٠٩، ١١٠؛ وانظر: الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص ٢٦٤.

(٥) ابن الأثير ، الكامل، ج٥، ص ٢٨٢.

(٦) ابن الأثير، ج٥، ص ٢٨٢؛ زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص ٨٤-٨٥؛ ولنظر: الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص٢٦٥-٢٦٨.

(*) في سنة ٢٤٢هـ/ ٨٥٦م توفي محمد بن الأغلب بعد أن حكم خمسة وعشرين سنة وثمانية أشهر واثني عشر يوماً فخلفه ابنه أحمد (٢٤٢-٢٤٩هـ/ ٨٥٦-٨٦٣م) وكان كما يقول ابن عذاري كان محمد حسن السيرة، كريم الأخلاق والأفعال، من أجود الناس وأسمحهم وأرفقهم بالرعية، وفي أيامه منع الإمام أبو سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي (ولد سنة ١٦٠هـ) أهل الأهواء من المسجد الجامع، وكانوا قبل ذلك يجتمعون فيه ويظاهرون بمذاهبهم مثل: الإباضية والصفرية والمعتزلة فمنعهم سحنون من الاجتماع. انظر: النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٦٦؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص ٦٤؛ حسن، تاريخ الإسلام، ج٣، ص ١٦٥؛ وفيقة؛ نشوء الدويلات، ص ٢٧؛ عبد الوهاب، خلاصة، ص ٦٨.

(*) زيادة الله الثاني: زيادة الله الثاني محمد بن إبراهيم بن الأغلب (٢٤٩-٢٥٠هـ/ ٨٦٣-٨٦٤هـ) وكانت ولايته سنة وستة أشهر حسب رواية ابن أبي دينار القيروانيّ في المؤنس. وكذلك انظر : ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١٠٧وما بعدها؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص ٦٥-٦٦؛ حسن، تاريخ الإسلام، ج٣، ص ١٦٥-١٦٦؛ عبد الوهاب، خلاصة، ص ٦٨-٦٩؛ وفيقة، نشوء الويلات، ص ٢٧.

(٧) ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص ٩١؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٦٦ص (لا يذكر السنة)؛ ابن خلدون، العبر، ج٢٤، ص ٢٤٠ ولنظر : الزاوي، تاريخ الفتح، ص ٢١٧-٢١٨؛ سالم، المغرب الكبير، ج٢، ص ٣٩٨، زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص ١٠٠.

كما لاحظنا أن الاضطرابات كانت تحدث دائماً في منطقة الزاب، لأن سكانها كانوا موالين للدولة الرستمية، ويعملون دائماً على إثارة المشكلات ضد دولة الأغالبة، وقد حدث اضطرابات في المنطقة المذكورة في عهد الأمير أبي عبدالله محمد بن أحمد بن محمد بن الأغلب (أبي الغرانيق)[1]، "وكان أبو الغرانيق: محمد الثاني بن أحمد قد تولى من ٢٥٠-٢٦١هـ/٨٦٤-٨٧٤م وقد وصفه ابن عذاري في هذه العبارة (أنه كان مسرفاً في العطاء مع حسن سيرته ثم غلبت عليه اللذات، وكان متابعاً في عهده لفتح صقلية، ويقول ابن عذاري أن الحروب التي وقعت بين المسلمين والروم في صقلية ٢٥٥-٢٥٩هـ وقد عاصر الخلفاء العباسيين، المستعين، والمعتز، والمهتدي، والمعتمد. انظر: ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١٠٧وما بعدها؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص ٦٥-٦٦؛ حسن، تاريخ الإسلام، ج٣، ص ١٦٥-١٦٦؛ عبد الوهاب، خلاصة، ص ٦٨-٦٩؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص ٢٧". الذي حكم من (٢٥٠-٢٦١هـ/٨٦٤-٨٧٤م)، ما اضطره إلى إرسال خفاجة بن محمد بن إسماعيل لقتالهم ولكن هذا القائد قتل على يد المهلب بن صولات، وهو من قبائل هوارة، فانسحب الجيش الأغلبي إلى مدينة طبنة منهزماً[2].

وبعد أن تسلم الأمير إبراهيم بن أحمد الحكم (٢٦١-٢٨٩هـ/٨٧٤-٩٠١م)[3] بدأ ببناء عاصمة له سماها رقادة[*]، وذلك سنة ٢٦٣-٢٦٤هـ/٨٧٦-٨٧٧م)[4].

---

(١) أبو الغرانيق: لقب بهذا الإسم لأنه كان يهوى صيدها، انظر: ابن عذاري، ج١، ص ١١٤؛ والغرانيق: طيور مائية عريضة الجناح ، طويلة الساق، انظر : النويريّ : نهاية الأرب، ج٢٢، ص ٢٧٢، هامش رقم (٣٩).

(٢) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١١٤؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص ١٦٧؛ الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص٢٨٣-٢٨٩.

(٣) ابن الابار، الحلة السيراء، ج١، ص ١٧٠-١٧٢؛ وانظر : حسن، حسين، أعلام تميم، ط١، دار صادر: بيروت، ١٩٨٠م، ص ٣٥-١٣٧ وعن ترجمته وكيفية توليته الإمارة، انظر : ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١٥ ابن عذاري،البيان، ج١، ص ١١٦؛ النويريّ، ج٢٢، ص ٢٧٤.

(*) رقادة: بينها وبين القيروان مسيرة أربعة أيام، هواؤها طيب وتربتها خصبة، انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٥٥.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص ١٦؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١١٧؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص ١٦٩؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج٣، ص ٢٧؛ ابن دينار، المؤنس، ص ٥٢؛ وعن رقادة، انظر : ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص ٥٥-٥٦؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٢٧١.

وفي سنة ٢٦٥هـ/٨٧٨م فكر العباس بن أحمد بن طولون بالاستقلال عن والده بإمارة يقتطعها لنفسه في برقة، ويضيف إليها طرابلس، والأقاليم الشرقية من إمارة الأغالبة.

وانتهز العباس فرصة غياب والده أحمد بن طولون في الشام وقام بانقلاب أيّده فيه كبار القادة، واستولى على ما كان في بيت المال في مصر، وقبض على وزير والده، وقيده، وأخذه إلى برقة[١]، التي وصل إليها في ثمانمائة فارس، وعشرة آلاف راجل من السودان، وخمسة آلاف جمل[٢].

وأخذ العباس يراسل رؤساء القبائل البربرية في طرابلس، فاستجاب له بعضهم، لأنهم كانوا يقفونَ موقف المعارضة من الدولة الأغلبية، ولأنهم كانوا يدينونَ بمذهب الخوارج الإباضية، وتقول رواية ابن الأثير أن العباس حاول التغرير بإبراهيم بن أحمد، وكتب إليه يقول: (أن أمير المؤمنين قلدني أم أفريقية وأعمالها)[٣]. ودخل العباس بن طولون إلى لبدة شرق طرابلس، وأرسل إبراهيم بن أحمد الأغلبي قائده أحمد بن قرهب في ألف وستمائة فارس، ودخل طرابلس قبل وصول العباس إلى منطقة لبدة، وهزم أحمد بن قرهب، ودخل الجيش الطولوني لبدة سنة ٢٦٦هـ/٨٧١م[٤].

وفوجئ العباس وجيشه بالإباضية من بربر نفوسه بقيادة زعيمهم إلياس بن منصور الذي غضب لما حل بأهل طرابلس، وانسحب العباس محاولاً العودة.

وكانت الدولة العباسية تراقب الأحداث عن بعد، ولم تحرك ساكناً، ولم يكن لها أي دور في ذلك، لأن الدولة الأغلبية في نظرها هي التي ستكون السد المنيع بينها وبين أطماع الدول الاستقلالية الأخرى.

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١١٨؛ وانظر: الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص ٣٩٢؛ نبيلة، محاضرات، ص ٢٠٣؛ عبد الحميد، تاريخ المغرب، ج٢، ص١٢٠.

(٢) الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص ٣٩٢؛ نبيلة، محاضرات، ص ٢٠٣؛ زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص ١٢٠.

(٣) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١١٨؛ ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص ٢١؛ وانظر: نبيلة، محاضرات، ص ٢٠٤.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص ٢١؛ وانظر: نبيلة، محاضرات، ص ٢٠٥؛ أبو دياك، صالح محمد فياض، المظاهر السياسية والحضارية للدولة الرستمية في المغرب (١٤٤-٢٩٦هـ/ ٧٦١-٩٠٩م)، مجلة دراسات تاريخية، السنة ١٧، ع ٥٥-٥٦، آذار-حزيران، ١٩٩٦م/ جامعة دمشق، سوريا.

وقد تعرضت البلاد (أفريقية) في عهده إلى غزو قام به العباس بن أحمد بن طولون والي مصر، لكن هذا الغزو باء بالفشل، وسحق معظم جيش العباس[1].

كما حدثت في سنة (٢٧٥هـ/٨٨٨م) حركة كان سببها إصلاح مالي للنقد قام به إبراهيم وسميت (ثورة الدراهم)[2]، فقد عمد إبراهيم إلى ضرب دراهم صحيحة، ومنع ما كان يتعامل به من الدراهم التي كانت تقطع إلى أجزاء صغيرة، كالأنصاف، والأثلاث، والأرباع[3]، الأمر الذي أدى إلى انتشار الإرباك في عملية المقايضات، فاستطاع الأمير إبراهيم أن يقضي عليه بالدراهم الصحيحة التي ضربها، وكانت خالصة العيار، فأصبح كل عشرة دراهم تساوي ديناراً ذهبياً فسمِّيت (بالعاشرية)[4].

ولم يرض التجار عن هذا الإصلاح، لأنه كان سيؤدي إلى تقليل أرباحهم بسبب اختفاء هذه القطع في تعاملهم اليومي[5]، فقاموا بالتمرد، لكنهم قمعوا، وتم إسكات ثورتهم بالقوة[6]، واستقر الإصلاح النقدي المذكور منذ سنة (٢٧٥هـ/٨٨٨م)، وصارت نقود أفريقية الذهبية والفضية تؤخذ صرفاً لا وزناً.

ويبدو أنَّ سياسة إبراهيم التي اتصفت بالقسوة والشدة، كانت سبباً في حدوث بعض التمردات الأخرى عليه في تونس[7]، إذ بلغت هذه التمردات درجة كبيرة من القوة بحيث لم يبق في يده إلا الساحل والشرق من طرابلس[8]. ويذكرنا هذا الموقف العصيب الذي مر به إبراهيم بأيام زيادة الله الذي خرجت من يده كل أفريقية إلا بعض المناطق،

---

(١) الكندي، الولاة، ص ٢٢٢؛ وانظر فيما بعد ص ١٠١، ١٠٢؛ قاسم، الحياة الفكرية، ص ١٠١-١٠٢.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١٢٠.

(٣) عبد الوهاب، ورقات، ج١، ص ٤٣٢؛ ابن قربة، المسكوكات، ص ٢٣٧.

(٤) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١٢١؛ وانظر: ابن قربة، المسكوكات، ص ٢٣٧-٢٣٨.

(٥) عبد الوهاب، ورقات، ج١، ص ٤٣٢؛ ابن قربة، المسكوكات، ص ٢٣٧-٢٣٨.

(٦) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١٢٠-١٢١؛ وانظر: سالم، المغرب الكبير، ج٢، ص ٤١٢؛ سالم، تاريخ المغرب، ص ٣٢٦؛ زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ١٢٨-١٢٩؛ الطالبي، الدولة الأغلبية، ص ٣٠٤-٣٠٥.

(٧) ابن عذاري، البيان، ج١، ص١٢٣؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٧٢-٧٣ ويجعلها سنة (٢٧٨هـ/ ٨٩٠م).

(٨) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١٢٣.

عندما تمرّد عليه منصور الطنبذي[1]، ولكن إبراهيم بقوته وبطشه استطاع التغلب على هذه التمردات وقمعها جميعاً[2]، أما خليفتاه وهما ابنه عبدالله (٢٩٠-٢٩١هـ/٩٠٢-٩٠٣م) وحفيده زيادة الله الثالث (٢٩١-٢٩٦هـ/٩٠٣-٩٠٨هـ)[3]، فقد انشغلا في مقاومة أبي عبدالله الداعي الفاطمي[4]، الذي تمكن من دحر جيوش الأغالبة، فسقطت على يديه الدولة الأغلبية (سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م)[5].

*** المبادئ التي نادوا بها:**

وفي الوقت الذي تأسست فيه دولة الأغالبة في المغرب كانت هناك دولتان أخريان مستقلتان هما:

دولة الرستميين الخوارج في شرقي المغرب الأوسط (الجزائر) ١٣٧-٢٩٧هـ/٧٥٤-٩٠٩م، ودولة الأدارسة في المغرب الأقصى (فاس) ١٧٢-٣٧٥هـ/٧٨٨-٩٨٥م، وكان لكل من هذه الدول مبادئها وأسسها التي قامت عليها، ودورها الذي قامت به في صنع تاريخ المغرب الإسلامي.

ولكن دولة الأغالبة تتميز عن هذه الدول بأنها كانت ممثلة للدولة الإسلامية العامة (العباسية) في المغرب، ومواصلة لسياسة تلك الدولة العامة، وهي المحافظة على وحدة الإسلام، دولة الإسلام (الجماعة، والتمسُّك بالسنة)، في حين كانت بقية دول المغرب

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١٢٣.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص ١٢٣-١٢٤ و ص ١٢٩؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٧٣؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص ١٣٦-١٤٠؛ الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص ٣١٨-٣٢٣.

(٣) ابن الابار، الحلة السيراء، ج١، ص ١٧٤-١٧٨.

(٤) أبي عبدالله: هو أبي عبدالله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا الداعي لنشر المذهب الفاطمي في المغرب. والذي استطاع أن يسقط الدولة الأغلبية وباقي دول المغرب العربي، وأقام أركان الخلافة الفاطمية، انظر: القاضي النعمان،ابن حيون أبا حنيفة، النعمان بن محمد، افتتاح الدعوة، تح ، فرحات الدشراوي، الدار التونسية : تونس، ١٩٧٥م، ص ٣٠، وسيشار إليه فيما بعد : القاضي النعمان، افتتاح.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص ١٦٨، ١٩١؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص ٥٣-٥٤؛ وانظر: سالم، المغرب الكبير، ج٢، ص ٤٣ وما بعدها؛ زغلول، =تاريخ المغرب، ج٢، ص ٥٧، ص ١٦٣-١٦٨،١٦٤، وما بعدها ص ٥٦٢ وما بعدها، الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص ٥٩١ وما بعدها.

المعاصرة لها لا تتفق والدولة العباسية لا مذهبياً ولا سياسياً بل معادية لها، وهذا هو الذي جعل دولة الأغالبة القاعدة الكبرى للإسلام والعرب في المغرب في ذلك العصر[1].

وكان قيام الدولة الأغلبية نتيجة مباشرة لنشاط الطالبيين والخوارج في أفريقية، فبعد مقتل عامل القيروان عمرو بن حفص على يد الخوارج كادت ثورات هؤلاء أن تطيح نهائياً بالحكم العباسي في تلك البلاد، إذ أن المنصور أرسل حملة بقيادة يزيد بن حاتم، ليتمكن من إعادة الهدوء، وإقرار الأمن لبعض الوقت في هذه الولاية، إلا أن خطر الخوارج عاد بصورة أشد في عهد الخليفة هارون الرشيد، وبدأ واضحاً أن المغرب كله يسير بكامله في اتجاه الاستقلال، وعلى ذلك فقد وجد الخليفة أن مصلحة الدولة تقتضي بأن يبحث عن شخصية قوية تتولى أمر المغرب، وتحافظ على ارتباطه بالسلطة المركزية[2].

ولذلك اعتبرت ولايته ضمن الدول المستقلة التي قامت في الدولة العباسية، وكل ما يربطه بالدولة العباسية هو مبدأ تأدية ما عليه من الخراج إلى بيت المال، والمحافظة على الإجراءات الرسمية المتعلقة بالخليفة، أما ما عدا ذلك فكانت دولة الأغالبة مستقلة استقلالاً تاماً[3].

وهكذا قامت هذه الدولة كرد فعل مباشر من جانب الخلافة العباسية على نشاط الخوارج، وقيام دولة الأدارسة في المغرب والوقوف بوجه امتداد نشاط الأدارسة نحو المشرق[4].

ولم يخيِّب إبراهيم بن الأغلب ظن الرشيد، فقد كان من أنجح الولاة، وأكثرهم كفاءة، فقد استطاع تطبيق المبادئ التي نادى بها، وأن يدفع عن ولايته الخطر المتمثل بالأدارسة، وإمداد الحكم المركزي بالعائدات المالية المرتفعة التي جاءت نتيجة سياسته

---

(١) المالكيّ، رياض النفوس، ج١، ص ٢٥٩. وانظر: مؤنس، تاريخ المغرب، م١، ص ٢٩.

(٢) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص ٢٠٩-٢٢١؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ص ٣٦٠-٣٦٦.

(٣) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص ٢٠٩ وما بعدها؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١١٦، ١٦٠؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج١، ص ٩٣، ص ١٦٣-١٨٢؛ انظر: زغلول، تاريخ المغرب، ص ٣٦٠-٣٦٦.

(٤) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص ٢٠٩ -٢٢١؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج١، ص ٩٣، ص ١٦٣-١٨٢؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ص ٣٦٠-٣٦٦.

الاقتصادية الناجحة، وفي الوقت نفسه كانت مبادئه تتمثل في عدم اخفاء طموحه بإنشاء دولة وراثية شبه مستقلة، وانسجاماً مع هذه المبادئ والطموحات اتخذ ابن الأغلب لدولته عاصمة جديدة بالقرب من القيروان، ونستطيع القول أن من المبادئ التي نادى بها ابن الأغلب هوعدم قطع الصلة التي تربطه بالعباسيين[1]، وقد اعترف العباسيون بالطابع الوراثي للدولة الأغلبية القائمة في القيروان[2].

ومن المبادئ التي نادى بها الأغالبة مبدأ الجهاد، ونشر الإسلام خارج أفريقية، لذلك فإن أهم عامل دفع الأغالبة لفتح صقلية سنة ٢١٢هـ/٨٢٧م هو عامل الجهاد في سبيل الله[3]، وما تولية أسد بن الفرات[*] قائداً لهذه الحملة إلا دليل على صفتهاالجهادية ومبدأ أسياسي نادت به الدولة الأغلبية[4].

وأصبح الاعتزال مذهباً رسمياً لدولتهم، ولأسباب تخص الساحة الداخلية، المحافظة على التوازن بين المعتزلة القليلي العدد وبين السكان المحليين الأكثر عدداً، إذ كانت الوزارة من نصيب المالكية، بينما تولى القضاء معتزلي وفي ذلك قال عياض: (ولما أراد

---

(١) الرقيق القيرواني، تاريخ أفريقية، ص ٢٠٩-٢٢١؛ ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ١٠٤، ١٠٥؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١١٦-١٦٠؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج١، ص ٧٠، ٧١؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص ٣٦٠-٣٦٦؛ نبيلة، محاضرات، ص ١٧٢.

(٢) الرقيق القيرواني، تاريخ أفريقية، ص ٢٠٩؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص ٣٦٠ وما بعدها.

(٣) مجهول، العيون والحدائق، ج٣، ص ٣٧٠؛ انظر: سالم، تايخ المغرب، ص ٣٠٠؛ المدني، أحمد توفيق، المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، (د.مط) الجزائر ط٢، ١٩٨٥م، ص ٥٦. وسيشار إليه فيما بعد: المدني، المسلمون.

(*) أسد بن الفرات: قاضي القيروان وقائد جيش الأغالبة الذي أرسل لفتح صقلية وذلك يوم السبت من ربيع الأول سنة ٢١٢هـ/ نيسان سنة ٨٢٧م، وقد اختلفت المصادر في ذكر عدد جيش الحملة التي أرسلت لفتح صقلية، انظر: ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١٠٢؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص ٣٨١؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص ٤٩؛ حول عناصر الحملة انظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص ٢١٧-٢١٨؛ الطالبي، الدولة الأغلبية، ص ٤٥٧.

(٤) المالكي، رياض النفوس، ص ١٨٦-١٨٧؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٢، ص ٤٦٠؛ وانظر: المدني، المسلمون، ص ١٥٨؛ الطالبي، الدولة الأغلبية، ص ٤٤٥-٤٥١.

محمد بن الأغلب (محمد الأول) أن يولي سحنون(*). جمع الفقهاء والعلماء للمشورة فأشار سحنون بسلمان بن عمران، وأشار سليمان بسحنون، وأشار غيرهم بسليمان، فادخلوا فرادى، فقال كقولهم الأول، وذلك أن أكثر الفقهاء اذ ذاك على رأي الكوفيين، وكان سليمان يرى رأيهم، فقال سليمان: (ما ظننت أنه شاور في سحنون، صححت فرأيت أهل مصر يتمنون كونه بين أظهرهم، وما يستحق أحد القضاء و(سحنون حي)[1].

ورفع الأغالبة راية الكتاب والسنة في الحكم، ودليل ذلك أن الأغالبة أظهروا اتباع المذهب الصفري بالقيروان، فالقاضي سحنون الذي ولّي قضاء القيروان سنة ٢٣٤هـ/٨٤٨م عمد إلى تفريق حلقاتهم ومنعهم من مزاولة التعليم في المساجد كما اتهموا بالزندقة[2].

وتشير المصادر إلى أن أمير سجلماسه اليسع بن مدرار (٢٧٠-٢٩٧هـ/٨٨٣-٩٠٩م) قام باعتقال أبي محمد عبدالله المهدي(*)، تنفيذاً لرغبة كل من الخلافة العباسية والأغالبة[3].

(*) الإمام سحنون: أبو سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي، ولد بالقيروان ١٦٠هـ وتلقى العلم بافريقية عن علي بن زياد وأسد بن الفرات، ثم توجه في طلب العلم إلى المشرق سنة ١٨٨هـ / فزار مصر والحجاز والشام، ووكيع بن الجراح وغيرهم، وعاد إلى بلده سنة ١٩١هـ فاظهر بها علم أهل المدينة، ومذهب مالك بن انس، ولما اشتهر سحنون وذاع صيته، راوده الأمير ابو العباس أحمد بن الأغلب حولاً كاملاً عن خطة القضاء حتى قبل منه الولاية سنة ٢٣٤ هـ على شروط منها اطلاق يده في تنفيذ الأحكام الشرعية على أقاربه من بني الأغلب ورجال دولته، ومنها الزام المتنازعين من البيت المالك بالحضور لديه مع الخصوم، فقبل أحمد الشروط كلها، وانتصب سحنون للقضاء وباشر الحسبة والمظالم بنفسه ولقب بسراج القيروان. وله كتاب (المدونة الكبرى) جمع فيه مسائل الفقه على مذهب مالك بن أنس توفي في ٦ رجب سنة ٢٤٠ هـ في أيام حكم محمد بن الأغلب ودفن بالقيروان انظر : المالكيّ، رياض النفوس، ج١، ص ٢٧٢-٢٧٣؛ وانظر: حسن، تاريخ الإسلام، ج٣، ص ٦٩-٧٠؛ الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص ٢٦٤-٢٦٥.

(١) المالكيّ، رياض النفوس، ج١، ص ٢٧٢ وما بعدها؛ وانظر: الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص ٢٦٤ وما بعدها.

(٢) أبو العرب، طبقات، ص١٠٢؛ المالكيّ، رياض النفوس، ج١، ص ٢٧٢-٢٧٣؛ ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبدالله محمد التلمساني الغرناطي، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تح محمد كمال شبانه، الرباط، المغرب، ١٩٧٦، ص١٨٠-١٨١. وسيشار إليه فيما بعد: ابن الخطيب، معيار الاختيار؛ وانظر: اسماعيل، الأغالبة، ص ١٠١.

(*) ابو محمد عبدالله المهدي، هو أول خليفة فاطمي بويع بالخلافة في ٢١ ربيع أول سنة ٢٩٧هـ/ ٩٠٩م. ابن عذاري، البيان، ج١ص ١٦٦؛ انظر: اسماعيل الأغالبة، ص ١٠١ وما بعدها، قاسم، الحياة الثقافية، ص ١٠٩؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص ٢٨.

(٣) ابن خلدون، المقدمة، ص٣٨؛ المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين، تح جمال الدين الشيال، بولاق، القاهرة، ١٩٦٧م، ص ٤٥. وسيشار إليه فيما بعد: المقريزي، اتعاظ الحنفا.

واستطاع الأغالبة خلال خمس وسبعين سنة من الجهاد أن يسيطروا على صقلية ١٨٩-٢٦٤هـ/٨٠٥-٨٧٧م، وقد كانت لتلك الفتوحات نتائج اجتماعية واقتصادية وثقافية على صقلية، فقد غدت هذه الجزيرة جسراً عبرت منه الثقافة العربية إلى أوروبا(١).

ولم تقتصر مهمة الدولة الأغلبية على سياسة الدفاع عن هذه المنطقة ضد الأدارسة والخوارج الرستميين، وإنما كان لها جهود ضخمة على صعيد المجابهة مع البيزنطيين، ذلك أن ابن الأغلب أولى الأسطول البحري اهتماماً، وتمكن من إيقاف الخطر البيزنطي على السواحل الأفريقية، وكان أبرز نتائج هذه السياسة سقوط جزيرتي صقلية سنة ٢١٢هـ/٧٤٠م ومالطة سنة ٢٦١هـ/٨٧٧م في أيدي الأمراء الأغالبة الذين جاءوا بعد ابن الأغلب(٢).

وكان إبراهيم بن الأغلب الذي تولى حكم دولة الأغالبة عام ١٨٤هـ/٨٠٠م سبباً في إعادة الأمن إلى الجزائر الشرقية، وتونس، وأسس دولته التي سميت باسمه، ودامت قوية إلى أن قضى عليها أبو عبدالله الشيعي عند الدعوة للفاطميين عام ٢٩٦هـ/٩٠٨م(٣).

ومهما يكن من أمر، فإن الدولة الأغلبية، ومنذ قيامها قد التزمت بعدد من المباديء التي نادت بها، وتعهدت بالبقاء على الطاعة والولاء للدولة العباسية، وقد وافقت هذه الأخيرة على أن تجعل الولاية وقفاً على أهل بيت ذلك الرجل، يتوارثونها فيما بينهم ما داموا على الولاء الكامل للبيت العباسي(٤).

ومن المبادئ التي نادى بها الأمير إبراهيم بن الأغلب (١٨٤-١٩٦هـ/٨٠٠-٨١٢م) مع ما كانت الدولة العباسية تسعى إليه من وضع أمور أفريقية في أيدٍ أمينة، وتستريح من تكاليف

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١٠٢؛ مجهول، العيون والحدائق، ج٣، ص ٣٧؛ وانظر: المدني، المسلمون، ص ١٦١؛ الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص ٤٥٥ وما بعدها.

(٢) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص ٢٠٩-٢١٠؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١٠٢-١١٧؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج١، ص ٩٣-١٠١؛ ص ١٦٣-١٨٢.

(٣) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص ٢٠٩؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١١٦؛ ؛ وانظر: الغنيمي، موسوعة تاريخ المغرب العربي، ج٢، ص١٦٧.

(٤) الرقيق، تاريخ أفريقية، ص٢١٠-٢١١؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ١١٦؛ الغنيمي، موسوعة تاريخ المغرب، ج٢، ص ١٦٩.

نفقاتها عليها، وعلى هذا تم الاتفاق بين الرشيد وإبراهيم الأغلب، إذ أن الرشيد ولى إبراهيم بن الأغلب منطقة تونس، واعترف به أميراً مستقلاً بإمارته تحت ظل الخلافة العباسية[1].

ومما سبق نستطيع القول إن الدولة الأغلبية مرت بثلاث فترات هي[2]:

* **الفترة الأولى:** فترة التأمين من عام ١٨٤-٢٢٣هـ/٨٠٠-٨٣٨م، وتشمل الأغلب وابنه العباس عبدالله، وزيادة الله الأول.

* **الفترة الثانية:** فترة الاستقرار والازدهار، وهي من ٢٢٦-٢٨٩هـ/٨٤٠-٩٠٢م، وتمتد من حكم زيادة الله إبراهيم بن الأغلب (الأول) من عام ٢٠١هـ/٨١٦م إلى نهاية حكم أبي عبدالله محمد الثاني، ثامن أمراء البيت الأغلبي الملقب (بأبي الغرانيق) وذلك عام ٢٦١هـ/٨٧٥م.

* **الفترة الثالثة:** فترة التدهور والأفول، تبدأ من حكم إبراهيم بن أحمد ٢٨٩-٢٩٦هـ/٩٠٢-٩٠٩م، وفي كل الفترات التي دامت بها الدولة الأغلبية تبنت عدة مبادئ منها:

الحفاظ على مذهب أهل السنة والجماعة، وإحياء روح الجهاد والفتوحات، والبقاء في نطاق الأمة الإسلامية، والمحافظة على الطابع الإفريقي، والمحافظة على نشر اللغة العربية والروح الإسلامية الصادقة، والاهتمام بالعلم، والفقه، ورعايته والعلماء والفقهاء[3].

* موقف السكان المحليين من دولة الأغالبة:

كانت تسكن أفريقية (تونس) التي أقام بها بنو الأغلب دولتهم مجموعات سكانية عديدة أهمها:

---

(١) الباروني، مختصر، ص ٣٠؛ وانظر: معمر، ص ٢٣؛ وانظر: السامرائي، إمامة الدفاع، ص ٩٧-٩٨؛ الغنيمي، موسوعة تاريخ المغرب، ج٢، ص ١٦٩.

(٢) الرقيق القيرواني، تاريخ أفريقية، ص ٢٠٠؛ وانظر: الغنيمي، موسوعة تاريخ المغرب العربي، ج٢، ص ١٦٨.

(٣) الرقيق القيرواني، تاريخ أفريقية، ص ٢٠٠؛ وانظر: الغنيمي، موسوعة تاريخ المغرب، ج٢، ص ١٦٨.

١. **العرب:** وهم القبائل العربية التي دخلت أفريقية في حروب التحرير العربية، فعلى سبيل المثال دخل مع حسان بن النعمان الغساني إلى أفريقية سنة (٧٤هـ/٦٩٣م) نحو أربعين الف مقاتل[1].

كما دخل المغرب مع كلثوم بن عياض (١٢٣هـ/٧٤٠م) نحو ثلاثين الفاً من العرب، بقي منهم عشرة آلاف من الجند الشاميين[2]، ووفد كذلك إلى المنطقة مع محمد بن الأشعث الذي ولّي أفريقية (سنة ١٤٢هـ/٧٥٩م)، حوالي عشرة آلاف عربي[3]، كما دخل أفريقية مع يزيد بن حاتم سنة ١٥٤هـ/٧٧٠م ستون ألفاً من العرب[4]، وقد استقر هؤلاء العرب في مدن أفريقية كتهودة، وطبنة، وبلزمة، وباجة[5].

أمّا الجند الذين أطلق عليهم اسم الخراسانيين فينتمون إلى أصول عربية، فكما هو معروف فقد هاجر نحو خمسين ألف عائلة عربية من الكوفة والبصرة، وسكنت خراسان منذ عهد معاوية بن أبي سفيان (٤١-٦٠هـ/٦٠-٦٧٩م)[6]، وأطلق عليهم اسم خراسان، لسكناهم فيها، ومن أعقاب هؤلاء جاء أولئك الذين سكنوا أفريقية[7].

وكان معظم عرب أفريقية جنداً يستنفرهم الأمراء في أوقات الحرب، ولكن هؤلاء الجند كانوا كثيراً ما يعلنون ثوراتهم على الأمراء والعمال في مدن أفريقية، ويشكلون بذلك خطراً جسيماً على دولة الأغالبة[8].

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ٣٤.

(٢) ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر، تاريخ افتتاح الأندلس، تح عبدالله أنيس الطباع، طبعة دار النشر، بيروت، ١٩٥٨م، ص ٤٠-٤١. وسيشار إليه فيما بعد: ابن القوطية، تاريخ افتتاح؛ وانظر: حمامة، جيل المولدين، ص ٥٨ وما بعدها؛ مؤنس، فتح العرب، ص١٢؛ سالم، تاريخ المغرب، ج٢، ص ١٢٥-١٢٦.

(٣) النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٩.

(٤) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص ١٥٩.

(٥) البكريّ، المغرب، ص ٧٢.

(٦) البلاذريّ، فتوح البلدان، ص ٣٩٦؛ البكريّ، المغرب، ص ٧٢، ٧٣.

(٧) البلاذريّ، فتوح البلدان، ص ٣٩٦؛ البكريّ، المغرب، ص ٧٢، ٧٣.

(٨) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ١٠٤-١٠٥؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٣، ص١٤؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص ٣٣٠.

وقد عانى إبراهيم بن الأغلب من ثورات الجند كثيراً، ففي عام ١٨٦هـ خرج عليه حمديس الكنديّ، ونزع شعار العباسيين (السواد)، كما ثار عليه عمران بن مجالد وهدد ابن الأغلب، ولذلك عمّد ابن الأغلب إلى اصطناع العبيد، واستكثر من طبقاتهم[١].

٢. **العجم (الفرس)**: أشار اليعقوبيّ إلى جماعات من المشارقة تضم عرباً وعجماً كانت تسكن بلاد أفريقية، ويقصد اليعقوبيّ بالعجم الفرس الذين قدموا من خراسان وفارس مع ولاة بني العباس على أفريقية[٢].

فقد أشار اليعقوبيّ إلى وجودهم في قابس، ومجانه، وقسطيلية، والزاب[٣]، كما سكنوا في مناطق المسيلة، وبسكرة، وطبنة، وباغاي[٤]، كما أشار البكري إلى وجودهم في قسطينة، ومدن بنطوس[٥].

وقد ساهم الخراسانيون بنصيب كبير في الجهاد بصقلية ، فالحملة التي نظمها محمد بن إبراهيم لغزو صقلية سنة ٢١٢ هـ /٨٢٧ م كان معظم جنودها من الفرس الخراسانيين يقودهم القاضي أسد بن الفرات، و كان خراسانيا كذلك[٦].

٣. **البربر**: وكانوا يؤلفون السواد الأعظم من سكان أفريقية ، و كان معظمهم من الإباضية الذين طالبو الأمويين بالمساواة ، و كانت لهم ثوراتهم المتعاقبة على ولاة بني أمية وبني العباس. فلما تولى إبراهيم بن الأغلب إمارة أفريقية ، أطاعته قبائل البربر، و لكن إبراهيم لم يلبث أن تعرض لثوراتهم في طرابلس معقل الإباضية

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٢٣٥؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٣، ص١٤؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص٣٣٠.

(٢) اليعقوبيّ، البلدان، ص ٩٩-١٠٣؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٩٧؛ وانظر: جوليان، تاريخ أفريقية، ج٢، ص ٦١؛ قاسم، الحياة الفكرية، ص ٦٧.

(٣) اليعقوبيّ، البلدان، ص ٩٩-١٠٣؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٩٧.

(٤) اليعقوبيّ، البلدان، ص ٩٩-١٠٣؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٩٧.

(٥) البكريّ، المغرب، ص٧٤؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص ٣٣١؛ قاسم، الحياة الفكرية، ص ٦٧.

(٦) البكريّ، المغرب ، ص ٧٤، وما بعدها.

الأمنع. و يذكر ابن عذارى أنه كان له مع بربر أفريقية حروب كثيرة[1]. وفي عهد إبراهيم بن أحمد قامت في صقلية فتنة بين العرب و البربر في سنة ٢٨٥ هـ، فكتب اليهم الامير يدعوهم إلى الرجوع إلى الطاعة[2].

٤. **العبيد:** وينقسمون إلى قسمين:

أ) **العبيد السودان:** فقد أكثر الأمراء الاغالبة من شراء العبيد، إذ اشترى إبراهيم بن الأغلب ١٨٤ - ١٩٧ هـ العبيد السود و جعلهم حرسا خاصا له[3]، أمّا أحمد بن الأغلب ، فقد اتخذهم حرساً وحجاباً له، عندما تغلب على حكم الامارة سنة ٢٣١هـ/ ٨٤٥م[4]، كما استكثر منهم الأمير إبراهيم بن أحمد ٢٦١-٢٨١هـ، واتخذهم جندا له[5] ، وقد استخدمهم للدفاع عنه عندما تمردت بعض المناطق كتونس و غيرها خلال فترة حكمه[6].

ذكر ابن عذاري ان زيادة الله الثالث (٢٩٠- ٢٩٦هـ / ٩٠٢- ٩٠٨م) كتب اسم احدهم ويدعى (خطابا) على الدنانير والدراهم[7]، وقد أخرج عدداً كبيراً مع هذا الامير عندما هرب من رقادة إلى المشرق حاملين معهم أمواله[8].

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١١٧، وانظر: ذنون، طه عبد الواحد، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال أفريقية والأندلس، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٢م، ص ٤٩-٥٠. وسيشار إليه فيما بعد: ذنون، الفتح والاستمرار؛ حاملة، الأندلس، ص ٢٨ وما بعدها؛ جيل المولدين، ص ٢٧ وما بعدها؛ سالم، تاريخ أفريقية، ج٣، ص٦٧.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج١، ص١٣٠، وانظر: حاملة، جيل المولدين ، ص٢، جوليان، تاريخ أفريقية، ج٣، ص٦٧.

(١) البلاذريّ ، فتوح البلدان، ص ٢٣١؛ الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية ، ص ٢٢٢؛ ابن الأثير، ج ٦، ص ١١٩؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص ٣٣- ٣٤؛ الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص ١٥٤.

(٢) الرقيق القيروانيّ، ص٢٢٢؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٧٠؛ وانظر: قاسم، الحياة الفكرية، ص٦٧.

(٣) النويريّ، نهاية الأرب، ج ٢٤، ص ٧٠؛ ابن خلدون ، العبر ، ج ٤، ص ٢٠٠.

(٦) ابن عذاري، البيان، ج٢، ص ١٢٣، النويريّ، نهاية الأرب، ج ٢٤، ص ٧٠-٧١؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص ١٣٦- ١٣٧؛ الطالبيّ ، الدولة الأغلبية، ص ٣١٨.

(٧) ابن عذاري، البيان، ج١، ص١٤٣.

(٨) ابن عذاري، البيان، ج١، ص١٤١،١٤٣، وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج٢٢، ص١٨٢، الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص٧٤٤.وقد لعب الفتيان والعبيد دورا هاما في الدولة الاغلبية، وسجلت اسماء بعضهم على العملات، باعتبار ان القائمين بالاشراف على دار السكة منهم فهم موضع ثقة الأمراء في هذه الوظائف الخطيرة، كذلك سجلت أسماء بعضهم في النقوش التاريخية على بعض المنشآت التي تمت على أيديهم ومن هذه الأسماء المسجلة اسم: مسرور الخادم مولى الأمير زيادة الله بن إبراهيم (٢٠١- ٢٢٣هـ) حيث نقش على لوحة من الرخام تعلو باب المأذنة برباط سوسة الذي أسس سنة ٢٠٦هـ ، واسم خلف الفتى اسم يطلق على برج من أبراج سور سوسة،

ب) **العبيد البيض، (الصقالبة)**: وهؤلاء عبيد من الجنس الأبيض يؤتى بهم من أوروبا، و صقلية، و يربون تربية ذات طابع اسلامي[1]، ولقد كثر هؤلاء في عهد الأمير إبراهيم بن أحمد ٢٦١-٢٨١هـ، لكن إبراهيم أخذ يعمل على التخلص منهم بعد أن احتجوا عليه، و ذلك لانتقاله إلى رقادة[2].

و يدل هذا الأمر على قوتهم، بحيث أصبحوا يتدخلون في أعمال الأمير، و يبدو أن الأمير إبراهيم بن أحمد قد شن عليهم حملة أخرى لتصفيتهم خلال فترة حكمه[3]، لكنه لم يقض عليهم تماما، فقد قام اثنان منهم بقتل ابنه الأمير عبد الله أحمد ٢٨٩-٢٩٠هـ / ٩٠١- ٩٠٢ م[4]. والحقيقة أنّ هؤلاء الغلمانِ ارتقوا إلى أعلى المناصب بفضل مكانتهم عند الأمراء[5].

٥. **فئات أخرى**:

أ) **الروم**: وهم بقايا جند الحاميات البيزنطية الذين لم يرحلوا عن البلاد[6]، وقد أشار اليعقوبيّ إلى بقائهم في بعض المناطق كقسطيلية، والزاب[7].

ب) **الأفارقة**: وهؤلاء جماعات خليطة من الفنيقيين، والإغريق، والوندال والرومان، وكانوا يدينون بالمسيحية[8].

ويقع في الزاوية الجنوبية الغربية من السور، ونقرا اسم نصر وفتح الله على قبة المحراب في جامع الزيتونة في تونس في نقش نصة (بسم الله الرحمن الرحيم، فما أقر بعملة المستعين بالله أمير المؤمنين العباسي طلب ثواب الله، وابتغاء مرضاته، على يدي نصر مولاه سنة خمس ومئتين يا أيها اللذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله – صنعه فتح الله) وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص٣٣٤- ٣٣٥.

(١) مؤنس ، معالم تاريخ، ص ٨٥؛ سالم ، تاريخ المغرب ، ص ٣٣٤.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج١، ص١١٧؛ النويريّ نهاية الأرب ، ج ٢٤، ص ٧٠.

(٣) مجهول، العيون و الحدائق، ق١، ص ٧٣؛ و انظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج ٢، ص ١٣٢.

(٤) ابن عذاري، البيان ، ج ١ ، ص ١٣٤، وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج ٢، ص ١٣٢.

(٥) جوليان ، تاريخ أفريقية ، ج ٢، ص ٦٥.

(٦) صفر، أحمد، مدنية المغرب العربي في التاريخ، دار بوسلامه، مطبعة العمل، تونس، ١٩٥٩م، ج١، ص ١٦٥ وما بعدها. وسيشار إليه فيما بعد: صفر، مدنية؛ جوليان، تاريخ أفريقية، ج٢، ص ٦١؛ سالم، تاريخ المغرب، ج٢، ص٣٣٠.

(٧) اليعقوبيّ، البلدان، ص ١٠٢؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ج٢، ص ٣٣٠ وما بعدها.

(٨) البكريّ، المسالك، ص ٥٦؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص ٣٧؛ وانظر: حتاملة، الأندلس، ص ٤٩، ذنون، الفتح والاستقرار، ص ٥١؛ سالم، تاريخ المغرب، ج١، ص ٣٣٣.وقد جعلهم اندريه جوليان نصارى من البربر على دين النصرانية أحفاد الرومان المعروفين بالافارقة. انظر: جوليان، تاريخ أفريقية، ج٢٣، ص ٦١-٦٢.

ج) **اليهود**: لم يكن لهم أي سلطة، وقد أشار ابن حوقل إلى دفعهم للضرائب، كما أنهم لم يتضايقوا من معايشتهم للمسلمين[1]، وكانت لهم سوق خاصة بهم، وهذا دليل على تسامح المسلمين تجاه غيرهم ممن يدينون بديانات أخرى[2].

وعند ولاية إبراهيم بن الأغلب (١٨٤-١٩٦هـ/٨٠٠-٨١١م) استشار هارون الرشيد هرثمة بن أعين والي المغرب السابق، الذي أكد على أنه ليس بأفريقية (أحد أفضل طاعة ولا أبعد صيتاً ولا أرضى عند الناس من إبراهيم)[3]، فكان ذلك سبباً في تولية الرشيد له سنة ١٨٤هـ/٨٠٠م، وإن دلّ ذلك على شيء فإنما يدل على رضا الناس عن إبراهيم بن الأغلب، وقبولهم في أن يكون والياً عليهم.

ورواية أخرى تدل على موقف السكان الإيجابي من إبراهيم بن الأغلب، وهو أن السكان قد طلبوا منه توليته لنفسه على أفريقية وأنه قد كتب إلى الخليفة هارون الرشيد بناء على طلب العامة والسكان[4].

وفي سنة ١٨٦ هـ / ٨٠٢ م تعرض ابن الاغلب لثورة خطيرة في تونس، قادها والي المدينة العربي و زعيم "الأبناء" [5] خريش "حمد يس" بن عبد الرحمن بن خريش الكندي[6].

وقد سببت طرابلس بدورها الكثير من المتاعب لابن الأغلب ، فقد كثر شغب أهل طرابلس على ولاتهم ، وكان ابراهيم بن الأغلب أمير أفريقية قد ولى عليهم عدة ولاة، فكانوا يشكون من ولاتهم فيعزلهم و يولي عليهم آخرين و في سنة ١٨٩ هـ - ٨٠٥ م،

---

(١) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٧٢؛ وانظر: حاملة، الأندلس، ص ٥٣؛ جوليان، تاريخ أفريقية، ج٢ : ص ٦٧؛ ذنون، الفتح والاستقرار، ص ٥ وانظر أيضاً، صفر، مدنية المغرب، ص ٣٦١-٣٦٢.

(٢) حاملة، جيل المولدين، ص٢٠؛ الأندلس، ص ٣٩؛ جوليان، تاريخ أفريقية، ج٢،، ص ٦٣ حول وجود اليهود في شمال أفريقية والأندلس، انظر : حاملة، ايبيريا، ص ٢٤٣، ٢٤٦، ٢٥٣، ٢٥٩.

(٣) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص ١٢٢؛ مجهول ، العيون والحدائق، ج٣، ص ٣٠٢.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص ٦٢-٦٣؛ ابن خلدون، ج٤، ص ٢٣٤-٢٣٥.

(٥) الأبناء: أبناء الجند الذين ولدوا في افريقيا سواء كانوا من العرب البلديين أي الفتوح الأولى، كما يقول ابن الأبار، أو من الوافدين بعد ذلك من أهل الشام ، و من خرسان ، و أبناء الجند الذين ولدوا و لم ينخرطوا في العسكرية، انظر: ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥، ص ١٠٤؛ ابن الأبار الحلة السيراء ، ج ١، ص ٣٩١.

(٦) عن ثورة حمديس الكنديّ (خريش)، انظر: الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص ٢٢٥؛ ابن الاثير، الكامل، ج٥، ص١٠٤.

ثار أهل طرابلس ضد واليهم سفيان بن المضاء (وهي ولايته الرابعة) فاتفق أهل البلد على اخراجه عنهم، واعادته الى القيروان، فزحفوا اليه، فأخذ سلاحه، و قاتلهم هو ومن معه، فأخرجوه من داره، وألجأوه الى المسجد الجامع، فقاتلهم فيه، فقتلوا أصحابه، ثم سمحوا له بالخروج بالامان بعد ولاية استمرت سبعة و عشرين يوما(١).

ويفهم من رواية ابن الاثير الذي ينفرد بذكر خبر ثورة طرابلس ان جند طرابلس وليس أهلها هم الذين قاموا بتلك الثورة، اذ أن الجند هم الذين ولوا على البلد ابراهيم بن سفيان وبين قوم من بني أبي كنانة وبني يوسف حتى فسدت طرابلس(٢) وعندما بلغت ابراهيم أخبار تلك الفتنة أرسل جمعاً من الجند وأمرهم أن يحضروا الأبناء وبني أبي الكنانة وبني اليوسف فأحضروهم عنده بالقيروان سنة ١٨٩ هـ ، فلما قدموا عليه سألوه العفو عنهم في الذي فعلوه، فعفا عنهم وعادوا الى بلدهم(٣).

اما اشد الثورات خطراً فهي تلك الثورة التي قام بها قائد ابن الاغلب عمران بن مجالد الذي قضى على فتنة خريش (حمديس)، بالاشتراك مع قريش بن التونسي سنة ١٩٤ هـ / ٨١٠م(٤) الذي نجح في الاستيلاء على القيروان التي صارت هي واكثر بلاد أفريقية معه(٥).

ولم يكن لابراهيم بن الأغلب ملاذا الا في العباسية ، فخندق حولها واعتصم باسوارها (٦)، وقد أتى الفرج في الأموال التي أرسلها الرشيد الى ابن الأغلب لدفع

---

(١) يضع ابن عذاري (الثورة) ضمن أحداث سنة ١٨٥ هـ و لو أنه يتبع ذلك بقوله : أنه كان لابن الأغلب مع الكنديّ وقائع وافقت محاربة المأمون للأمين من بعد موت الرشيد الى بعد سنة ١٩٣ هـ ، واعتقد أن ابن عذارى يخلط بين ثورة الكنديّ هذه و ثورة عمران بن مجالد الذي قضى على ثورة خريش (حمديس) سنة ١٩٤هـ/ ٨١٠م. انظر: ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص١٢١؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ص ٣٦٧-٣٦٨.

(٢) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص ٢٢٤؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج١، ص٣٩١؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ص ٣٦٨.

(٣) ابن الاثير، الكامل، ج٥، ص ١٢١.

(٤) المصدر نفسه، ج٥، ص ١٢١.

(٥) عياض، القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى، ترتيب المدارك ، دار هارون بيروت، ١٩٦٥ م، ص ٤٧٨. وسيشار إليه فيما بعد: عياض، ترتيب المدارك؛ ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ١٢١-١٢٢.

(٦) ابن الاثير، الكامل، ج ٥، ص١٠٤.

مرتبات الجند و ترك عمران بن مجالد القيروان الى الزاب حتى وفاة ابراهيم بن الأغلب عام ١٩٦ هـ / ٨١٢م[١].

وفي ولاية أبي العباس عبد الله بن ابراهيم بن الأغلب (١٩٦- ٢٠١ هـ / ٨١٢ - ٨١٧م) و التي ولاه أبوه اياها للمرة الثانية أثر اضطراب أحوالها، نتيجة لاضطراب الجند الأغلبي من جهة، و تهديد الخوارج من جهة أخرى، و كان ابراهيم بن الأغلب قد اضطر الى اعادة ابنه عبد الله الى طرابلس مرة ثانية، بعد أن كان عهد بولايتها الى سفيان بن المضاء الذي ظهر عجزه في مقاومة البربر فهزمهم عبد الله واستقر في المدينة، وجدد تحصيناتها وبنى اسوارها[٢].

و بينما كان عبد الله في طرابلس قام أخوه زياد الله بأخذ البيعة من رؤساء الجند، وأرسل يخطره بالأمر[٣]، فاضطر الى عقد صلح مع أباضية عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم اعترف لهم فيه بالسيادة عن ظواهر المدينة[٤].

وهذا يعني أنه أثبت كفاءته، و كانت وصية ابراهيم بن الأغلب أن تكون الامارة له بعد وفاته، و بعد أخذ البيعة لعبد الله من قبل أخويه زيادة الله واخباره بموت أبيه وعقد الصلح مع الإباضية، وقدعاد عبد الله بن ابراهيم الى القيروان وتسلم مقاليد الحكم والولاية[٥].

وقد وافق الخليفة المأمون على ولايته على أفريقية سنة ١٩٨ هـ / ٨١٣ م، كما تقول رواية ابن عذارى[٦].

وقد استمرت ولاية أبي العباس خمس سنوات وشهرين، ويورد له الكتاب عملين:

---

(١) ابن الاثير، الكامل، ج ٥، ص ١٠٤؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص ١٩٧.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص١٠٥؛ ابن عذاري، البيان، ج ١، ص٩٥.

(٣) ابن الاثير، الكامل، ج ٥، ص ١٠٥؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص٩٥.

(٤) ابن الاثير، الكامل، ج ٥، ١٠٥؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص٩٥؛ ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ١٩٧.

(٥) ابن الاثير، الكامل، ج ٥، ص ١٠٥؛ ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ٢٣٥-٢٥٦.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص١٠٥؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص ٤١.

- **أولهما:** إساءته إلى أخيه زيادة الله الذي يرجع إليه الفضل في أخذ البيعة له من كبار الجند عند وفاة والدهما إبراهيم والذي ساس شؤون الدولة حتى رجوعه من طرابلس[1].

- **وثانيهما:** خاص بإصلاح نظام الضرائب، وكانت الضريبة المعتادة هي العشر من الحب الذي تخرجه الأرض، وجعل الخراج ضريبة ثابتة وهي قفيز واحد[2]، وعارض الفقهاء هذا الإجراء، وطلبوا منه العدول لكنه رفض ذلك. وبقي الأمر على ذلك، حتى تولى الحكم (أبو عقال)، الأغلب بن إبراهيم، فأعاد ضريبة العشر[3].

وفي عهد زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب (٢٠١-٢٢٣هـ/٨١٧-٨٣٧م)، تذكر الروايات أنه في سنة ٢٠٧هـ/٨٢٢م ونتيجة لسوء سيرة زيادة الله في الجند قامت ضده ثورة تزعمها أحد قواد الجند، وهو زياد بن سهل ويعرف بـ (ابن الصقلبية)، كما يقول ابن الأثير، الذي خرج في موضع يعرف بفحص[*] أبي صالح بالقرب من مدينة باجة، لكن هذه الثورة انتهت سريعاً على يد سفيان بن سوادة قائد زيادة الله، والذي فك حصار باجة، وقتل كثيراً من أصحابه الذين خالفوا معه، وغنم أموالهم[4].

وفي سنة ٢٠٨هـ/٨٢٣م حدثت ثورة الزعيم القيسي عمر بن معاوية الذي كان عاملاً لزيادة الله على منطقة القصرين، وكان لعمرو بن معاوية ولدان الأول يسمى حباب والآخر سجمان، وقد قال حباب لأبيه عمرو: (انك دخلت في أمر عظيم، وعرضت

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص١٠٥؛ وانظر: نبيلة، محاضرات، ص ١٧٧؛ زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص ٤١.

(٢) القفيز يساوي (٢,١٥٩م٢). انظر: ابن عذاري، البيان، ج١، ص٩٥؛ ابن ابي الضياف، اتحاف، ج١، ص ١٠٥؛ زغلول، تاريخ المغرب العربي، ج٢، ص ٤١؛ الطالبي، الدولة الأغلبية، ص ١٧٨-١٧٩.

(٣) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١٠٧؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٢، ص ٢٦٥؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص ٧٦-٧٧.

(*) الفحص كل موضع يسكن سواء كان سهلاً أو جبلاً بشرط أن يزرع، والفحص كذلك كورة كبيرة، وقد يكون إقليم من الأقاليم. انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص ٢٣٠؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص ٢٢٣؛ ٢٥١،٢٥٢؛ وانظر: العمايرة، محمد نايف، مراحل سقوط الثغور الأندلسية بيد الإسبان، المطابع العسكرية : عمان، ج١، ١٩٩٩م، ص١٤٢؛ وحولة باجة، انظر : حتاملة، إيبيريا، ص ١٧٧، ٢٣٨؛ الأندلس، ص ٨٤.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص١٨٥؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص ٩٦-٩٧.

نفسك لهلاك ، ولست من رجال هذا الأمر ، ولا ينفعك عدد ولا علة ، فما كان من والده إلا أن ضربه مائتي سوط ، كما تقول الرواية ، وتمادى على الخلاف)[1].

ولم تستمر ثورة القصرين طويلاً ، إذ قبل القيسي وولداه الاستسلام مقابل الأمان ، وذلك عندما أرسل إليهم زيادة الله قواته/ وجيء بهم إلى زيادة الله فأمر بحبسهم في قصر وزيره وابن عمه الأغلب بن عبدالله الذي يلقب بـ (غلبون) حتى يرى فيهم رأيه[2].

وقد اتبع الأمير زيادة الله أسلوب القسوة والشدة في التنكيل بالثائر القيسي، الأمر الذي أدى إلى ثورة كبرى كادت أن تعصف بالدولة الأغلبية ، وكان قائد تلك الثورة هو منصور بن نصر الطنبذي[*] الذي خرج على زيادة الله سنة ٢٠٩هـ/٨٢٤م[3].

فعندما وصلت أخبار قتل زيادة الله للثائر القيسي عمرو بن معاوية وولديه ثار لأبناء عصبيته ، وامتعض ودعا بني تميم في طرابلس إلى مؤازرته للأخذ بالثأر[4].

وقد أرسل زيادة الله إلى الطنبذي سرية من الجند ، مكوّنة من ثلاثمائة فارس بقيادة القائد محمد بن حمزة الرازي المعروف بـ (الحرون) نحو تونس لمباغتة منصور، ولكنه لم يجده ، إذ كان غائباً في قصره في طنبذة[5].

ومهما يكن من أمر، فإن زيادة الله قد أرسل ابن عمه (غلبون) الطنبذي، ولكن الهزيمة لحقت بهم أما جيش منصور الطنبذي. ولم يستطع غلبون ورجاله الصمود

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ٩٧-٩٨.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ٩٧-٩٨؛ وانظر : زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص ٤٥، ص ٢٧٢-٢٧٦؛ نيلة، محاضرات، ص ١٨٠.

(*) منصور بن نصر الطنبذي من قبيلة هوازن من ولد دريد بن الصمة، ويعرف بالطنبذي نسبة إلى قصر له في قرية طنبذة من إقليم المحمدية بالقرب من تونس. حول ترجمة حياته انظر : ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص ٣٨٢؛ ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص ٣٣٠.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص ٣٣٠؛ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص ١٦٧؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٥٩.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص ٣٣٠؛ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص ١٦٧؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٥٩.

(٥)ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص ١٦٧؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٦٠.

أمامها[1]، وكان ذلك في الخامس من جمادى الأولى سنة ٢٠٩هـ/الموافق الثاني من أيلول(سبتمبر) ٨٢٤م[2].

وتقول الرواية ان القاضيين أبا محرز وأسد بن الفرات خرجا إلى منصور الطنبذي، حيث جرى بينهم حديث كان الهدف من ورائه اقناع منصور بحقن الدماء والعودة إلى الطاعة، ولكن لم يصل الطرفان إلى اتفاق[3]. ما حدا بمنصور إلى استخدام أسلوب القوة حيث عسكر قرب القيروان، وحفر خندقاً حول العسكر[4].

أمّا زيادة الله، فقد زحف على رأس قواته من القصر القديم (العباسية)، واتخذ موضعاً له بين القيروانِ والقصر، وكانَ هناك خندقِ حولِ عسكر الطنبذي[5].

واكتفى زيادة الله بهدم سور القيروان، الذي كان منصور الطنبذي قد أصلحه حتى سوّاه بالأرض[6].

وقد فشل الطنبذي في الاستيلاء على أفريقية، نتيجة هزيمته الساحقة أمام قوات زيادة الله، وظهر الانشقاق في صفوف أتباعه أمثال : عبد السلام ابن المفرج، وعامر بن نافع ... وحاول زيادة الله القضاء على أحد أنصار منصور وهو عامر بن نافع فعبأ جيشاً كبيراً وجعل على مقدمته ابن عمه محمد بن عبدالله بن الأغلب، ويرفقته بعض الأسرة الأغلبية، وعدداً من كبار القواد، وتم اللقاء قرب منطقة سبيبة قرب القيروان في العشرين

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ١٨٥؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص ٩٩-١٠٠؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب العربي، ص ٤٨؛ نيلة، محاضرات، ص ١٨٢.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١٠٠؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص ٥١.

(٣) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١٠٠؛ وانظر: نيلة، محاضرات، ص ١٨٣؛ زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص ٥١.

(٤) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١٠٠؛ وانظر : زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص ٥١.

(٥) النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص١٦٠ حيث يقول النويريّ: (ان زيادة الله نزل بين الفسطاط والقصر)، وقارن: ابن خلدون، ج٤، ص ١٩٨ (حيث النص على حصار زيادة الله في العباسية (العباسية)).

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ١٨٥؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١٠٠؛ وانظر كذلك : نيلة، محاضرات، ص ١٨٤؛ زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص ٥٣.

من محرم سنة ٢١٠هـ/٤أيار (مايو) ٨٢٥م، وقد انتهى القتال بهزيمة منكرة لجيش زيادة الله، إذ قتل قائده محمد بن عبدالله بن الأغلب[1].

ونجح سفيان بن سواده قائد زيادة الله في فتح إقليم نفزاوة حتى وصل إلى حدود قسطيلية، حيث كان عامر بن نافع قد وصل[2].

وفي قسطيلية حشد عامر بن نافع الجند السودان، حتى جمع منهم ألف أسود ومعهم الفؤوس والمساحي، وضمهم إلى رجاله، واتجه بهم عامر على نحو نفزاوة حيث اتخذ من مدينة نقيوس منزلاً له[3].

وانتهى القتال بين قوات سفيان وعامر بن نافع بهزيمة الجند من قوات عامر بن نافع ومقتل الكثير منهم، وانسحب عامر إلى قسطيلية، وبعد ذلك عاد إلى تونس، وحدث صراع بينه وبين منصور الطنبذي[4]، ذلك أن عامر كان يعد نفسه نداً لمنصور الطنبذي، وإثر توعّد منصور لعامر، رأى هذا الأخير أن يبدأ بالتخلص من منصور، ونجح في استمالة الجند إلى جانبه وخرج من تونس، لمفاجأة منصور وهو بالمحمدية، وحاصره، وجرت مفاوضات بين الطرفين وانتهت المفاوضات بأن عرض عليه منصور أن يسمح له بالخروج مع الأمان على أن يتوجه في سفينة إلى المشرق، وأجابه عامر إلى ذلك[5].

ولكن الطنبذي أشار عليه أصحابه بأن لا يخضع لضيم عامر بن نافع وأنه يمكنه الاتجاه إلى مدينة الأريس[*] وفعلاً تحصن بها، وعندما علم عامر بذلك سافر إلى الأريس على إثر

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص١٨٥؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١٠١؛ ويقول ابن الأثير: (ان محمد بن عبدالله بن الأغلب لم يقتل بل عاد منهزماً بمن معه إلى القيروان).

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ١٨٥؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١٠١؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٦٠.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ١٨٥؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١٠١؛ وانظر: نبيلة، محاضرات، ص ١٨٢.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ١٨٥؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١٠١؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص٥٦.

(٥) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١٠١؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٦٠؛ ابن خلدون، العبر ج٤، ص ٢٣٧.

(*) الأريس: ضبطها ياقوت الحموي في معجم البلدان بضم الهمزة والياء وكتبها البكريّ في تشكيل (الربس) وهي مدينة بتونس بينها وبين القيروان مسيرة ثلاثة أيام، وهي مدينة مسوّرة لها ربض كبير، وبأرضها توجد أطيب الزعفران ولذلك تعرف ببلدة العنبر. انظر : ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص١٣٦.

منصور، وضرب عليه الحصار، ومع طول الحصار ضج أهل المدينة، وكلّموا منصور بالخروج من مدينتهم، فطلب منهم أن يمهلوه بعض الوقت حتى ينظر في أمر خلاصه[1].

وطلب منصور الطنبذي من أحد قاده عامر بن نافع وهو عبد السلام بن المفرج اليشكري الوساطة لكي يحصل من عامر على الأمان، وعاهده أن يسير إلى المشرق، ونجح عبد السلام في الحصول على الأمان لمنصور[2]، بواسطة استخدام السفن[3].

ويفهم من تلك الروايات أن عامراً عندما أعطى الطنبذي الأمان كان يضمر الغدر به، وذلك أن عامراً أمر صاحب خيله الذي رافق منصوراً في السفينة من تونس بأن يسير به سراً إلى جزيرة جربة ويسجنه بها، ففعل ذلك، وسجن معه أخاه حمدون[4].

فلمّا علم عبد السلام بن المفرج بذلك، وكتب عامر إلى أخيه وهو واليه على جربة يأمره بقتل منصور وأخيه حمدون، ويرجع فيهما، فأحضرهما عنده، وقرأ عليهما كتاب عامر، وهنا طلب منصور دواة وقرطاساً ليكتب وصيته، ولكنه لم يستطع الكتابة، وتم قتلهما، وأرسل برأسيهما إلى عامر[5].

ولم يمر مقتل الطنبذي وأخيه حمدون دون ردود فعل بين الجند الأغلبي المتمرد، وخاصة المضرية منهم، والذين انضموا إلى جانب منافسه عبد السلام بن المفرج الذي رفع راية الثأر للمقتول المظلوم، وانتهى الأمر بخروج بن المفرج نحو تونس لقتال عامر، وانتهى اللقاء بانتصار ابن المفرج وهزيمة عامر إلى جربة، ولّما أيقن بالموت دعا بنيه وأوصاهم باللحاق بزيادة الله فعملوا برايه وقدموا إلى زيادة الله مستأمنين سنة ٢١٣هـ/٨٢٨م، كما قدم الجند إليه يطلبون الأمان فأمنهم وأحسن إليهم[6].

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص١٨٥؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١٠٢؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٦٠؛ وانظر: نبيلة، محاضرات، ص ١٨٦.

(٢) النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٦٠؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص ٥٧.

(٣) النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٦٠؛ وانظر زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص ٥٧.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ١٨٥.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ١٨٥-١٨٦؛ انظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص ٥٨.

(٦) ابن عذاري، البيان، ج١، ص١٠٣؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٦١.

عندما بلغ زيادة الله نبأ وفاة عامر بن نافع قال: (اليوم وضعت الحرب أوزارها، كما يقول ابن عذاري، ولكن ابن الابار في (الحلة السيراء)، يعلق على مقالة زيادة الله على نهاية الحرب بنهاية عامر، بقوله: (فكان كذلك لم يزل أمر الجند مدبراً حتى انقضت الحرب، وطفئت الثائرة، وصفت له أفريقية)[1].

وقامت بعض الفتن في البلاد، لكن زيادة الله قضى عليها بسهولة، ففي حوليات ابن عذاري مثلاً ذكر لفتنة سنة ٢١٦هـ/٨٣١م بأفريقية بين رئيسين من رؤساء الجند، هما: مطيع السلمي، واسماعيل بن الصمصامة، انتهت بهزيمة مطيع، وقتله، وفرار اصحابه[2].

وفي سنة ٢١٨هـ/٨٣٣م عادت منطقة تونس للاضطراب من جديد، عندما ثار بجزيرة ستريك قائد من قواد الجند هو فضل بن ابي العنبر، ونجح في هزيمة العسكر الذين وجههم إليه زيادة الله، فتغلب على المنطقة، وأعلن الاستقلال بها [3].

وقد استجاب عبد السلام بن المفرج لطلب المعونة من قبل الفضل، فخرج من باجه إلى جزيرة ستريك ولكن الرجلين لم يستطيعا مواجهة القوات الأغلبية، وانتهى الأمر بمقتل عبد السلام بن المفرج، كما سبق، بينما انهزم الفضل إلى تونس، وامتنع بها[4].

وسيّر زيادة الله جيشاً كثيفاً إلى تونس بقيادة ابن عمّه والي صقلية أبي فهد محمد بن عبدالله بن الأغلب، ففر الفضل من تونس، كما نجح من الإفلات كثير من عسكره، واقتحم العسكر الأميري المدينة، وقتلوا كثيراً من أهلها، وهرب آخرون[5].

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج١، ص١٠٣. وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص ٦٠؛ نيلة، محاضرات، ص ١٨٧.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١٠٤.

(٣) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١٠٥؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص ٢٣٧.

(٤) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١٠٥؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص ٢٣٧.

(٥) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١٠٥؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص ٢٣٧-٢٣٨.

ويلو، وحسب المصادر أن الفقهاء كان لهم دورهم في تلك الثورة عن طريق قيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ يذكر ابن عذاري قتل أحد الفقهاء وهو عباس بن الوليد[1].

وفي سنة ٢١٩ هـ/٨٣٤م أعلن زيادة الله العفو عن كل من شارك في تلك الثورة، وأفلت من تونس، فاستجاب له أهل المنطقة، وركن الإقليم إلى الهدوء والسكينة[2].

وشهدت البلاد خلال حكم أبي إلى عقال الأغلب بن الأغلب (٢٢٣-٢٢٦هـ/٨٣٨-٨٤١م) فترة من الهدوء والأمن والسكينة والاستقرار، باستثناء تلك الحملة التي يورد ذكرها ابن عذاري سنة ٢٢٤هـ/٨٣٨م، والتي أرسلها بقيادة عيسى بن ريحان الأزدي إلى قبائل لواته وزواغة، ومكناسة، فيما بين مدينتي قفصة وقسطيلية، وقد انتهت تلك الحملة بقتل تلك القبائل، إذ تنص الرواية على أن عيسى (فقتلهم عن آخرهم)[3].

وخلال فترة حكمه استتب الأمن بين الناس، واستقرت أمور الجند بفضل الإجراءات التي اتخذها الأغلب[4]، ويفسر ابن الأثير تلك الأحداث التي غيرها بأنها كانت من المظالم[5].

أما عن عماله ونوابه في الأقاليم فقد كف أيديهم عن التطاول على أموال الناس، وعما كانوا يرتكبونه من المظالم عن طريق زيادة رواتبهم، ودفعها لهم في أوقاتها المقررة[6].

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١٠٥؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص ٢٣٧-٢٣٨؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص ٦٢.

(٢) ابن عذاري، البيان، البيان، ج١، ص ١٠٥؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص ٢٣٨؛ وانظر : زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص ٤٢٤.

(٣) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١٠٧؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص ٢٣٩؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص ٧٥؛ نيلة، محاضرات، ص ١٩٠.

(٤) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١٠٧؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٦٣.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٢٥٢-٢٥٣؛ ابن عذاري، البيان، البيان، ج١، ص ١٠٧.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ٢٥٣.

ومن أعماله التي كان لها موقف حسن وأثر طيب في قلوب المشايخ والناس أنه منع عمل النبيذ والخمر في القيروان[1]. بل وعاقب أيضاً على بيعه وشربه[2].

وفي عهد ابي العباس محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب (٢٢٦-٢٤٢هـ/٨٤١-٨٥٦م)، تمتعت البلاد في السنوات الأولى من حكمه بالهدوء والاستقرار، إذ أنه اشرك أخاه أحمد بن الأغلب في الحكم، وعهد الأمير محمد بالوزارة إلى الأخوين، محمد بن علي بن حميد، وأحمد بن علي بن حميد، ويفهم من الروايات أن ابني حميد غلباه على أمره واستبدا بالأمور دونه، مستغلين فرصة انشغاله (بلهوه ولذته) مما أثار حقد أخيه أحمد[3].

وقد اتفق أحمد بن الأغلب مع عدد من أنصاره على مباغتة مقر الأمير محمد في مدينة القصر القديم، سنة ٢٣١هـ/٨٤٤م (وقت الظهيرة)، عندما يكون القصر خالياً من الحرس، ونجح المتآمرون من أصحاب أحمد من اقتحام أبواب القصر، وهجموا على الوزير بن حميد فقتلوه بأمر أحمد، ودار القتال بين الفريقين، ولما بلغ الخبر الأمير محمد اعتصم في علية من القصر مرتفعة (ولمّا صعب الأمر على رجال أحمد، أعلنوا أنهم لم يخلعوا طاعة الأمير محمد، وأنهم قاموا بعملهم هذا من أجل تخليصه من استبداد بني حميد الذين استأثروا دونه بالسلطان والمال[4].

وإزاء ذلك الموقف اضطر الأمير محمد إلى النزول إلى مجلس العامة، وأذن لأخيه أحمد ورجاله بالدخول عليه، فدخلوا بسلاحهم وتعاقب الإخوان، واصطلحا وتعاهدا على أن لا يغدر أحد منهما بأخيه[5].

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ٢٥٣؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٦٣.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١٠٧.

(٣) النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٦٣؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٣، ص ٢١؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب العربي، ج٢، ٧٩.

(٤) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١٠٨؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٦٣؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٣: ص٢١.

(٥) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١٠٨؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٣، ص ٢١؛ وانظر : نيلة، محاضرات، ص ١٩٣.

وفي سنة ٢٣٢هـ/٨٤٥م استرجع محمد سلطانه عندما دارت بين الفريقين حرب عظيمة انتهت بانهزام اصحاب أحمد، إذ أن محمداً نفى أخاه إلى مصر بأهله، فمات هناك[١].

وفي إقليم الزاب انتهز سالم بن غلبون، الذي كان عاملاً على إقليم الزاب من قبل الأمير محمد، فرصة النزاع بين الأخوين وخرج على الطاعة، وبعد استقرار الأمور لمحمد ظل سالم رافعاً راية العصيان، ما جعل الأمير يعزله عن ولايته في سنة ٢٣٢هـ/٨٤٥م، ولكن سالماً خرج سنة ٢٣٣هـ/٨٤٦م يريد دخول القيروان، ولكنه عدل عن ذلك أثناء الطريق، وسار إلى مدينة الاربس (مظهراً الخلاف)، ولكن أهلها منعوه من دخولها، فسار إلى باجة، وتمكن من دخولها، وسيطر عليها وحينئذ سير الأمير محمد جيشاً بقيادة خفاجة بن سفيان الذي صاهره، حتى اضطره إلى الهرب ليلاً، واتبعه خفاجة صباح اليوم التالي ولحقه، وقتله وحمل راسه إلى محمد[٢].

ويذكر ابن عذاري في حوليات سنة ٢٣٢هـ/٨٤٧م ثورة عمر بن سليم التجيبي المعروف (بالقويع)[*] في تونس، ولم يتمكن خفاجة بن سفيان بن سوادة من الغلبة عليه، وفي سنة ٢٣٥هـ/٨٤٩م أرسل الأمير محمد بن الأغلب قائده محمد بن موسى المعروف بـ (عريان) بجيشه إلى تونس لقتال القويع، وانتهى القتال بمقتل ابن موسى بعد أن انكسرت رجله، وقتل كثير من أصحابه، وعاد بقية الجيش إلى ابن الأغلب مهزومين إلى القيروان[٣].

وفي سنة ٢٣٦هـ/٨٥٠م خرج اليه خفاجة بن سفيان في جيش كثيف وقاتله قتالاً شديداً وقتل أصحابه، وانتهى اللقاء بانهزام القويع الذي قبض عليه، وضربت عنقه، ودخل خفاجة تونس عنوة، وسبى ما فيها، ثم عاد بالجيش إلى القيروان[٤].

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١٠٩؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٦٤؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٣، ص ٢١-٢٢.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١٠٩-١١٠؛ وانظر: نبيلة، محاضرات، ص ١٩٤.

(*) القويع: طائر صغير له عرف أشبه بعرف الهدهد، انظر: ابن الأثير، الكامل، ج٧ : ص٤٤. حيث القراءة القويع، أما في (تراجم أغلبية) للقاضي عياض فتجد القراءة (بالقويبع) وكذلك في المالكيّ، رياض النفوس، ص ٢٨٠.

(٣) المالكيّ، رياض النفوس، ص ٢٨٠، ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ٢٨٢؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١١٠.

(٤) المالكيّ، رياض النفوس، ص ٢٨٠، ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ٢٨٢؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١١٠.

وفي ولاية أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الأغلب ٢٤٢-٢٤٩هـ/٨٥٦-٨٦٣م، كان على ولاية طرابلس عبدالله بن محمد بن الأغلب، والظاهر أن مثيري القلاقل في الإقليم كانوا من قبائل البربر الإباضية من هوارة ولواته، ويفهم من رواية ابن الأثير أنهم امتنعوا عن الوالي، ولم يؤدوا ما كان عليهم من العشور والصدقات، وأن الوالي عبدالله (أخا الأمير) قام بقتلهم بمن معه من الجند، واستمر الأمير أحمد الذي سير إليه الكثير من العساكر مع أخيه زيادة الله[1].

ودارت رحى الحرب بين قوات الدولة الأغلبية في القيروان وبين الخوارج الإباضية من البربر، وانتهت بقتل الكثيرين منهم، وخضع ثوار طرابلس من القبائل البربرية وأعطوا الرهائن لابن الأغلب وأدّوا ما كان عليهم من الأموال[2]، وقد عرفت هذه الحوادث باضطراب طرابلس، إذ كان على ولاية طرابلس عبدالله بن محمد بن الأغلب[3].

أما زيادة الله بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب (٢٤٩-٢٥٠هـ/٨٦٣-٨٦٤م) فإن إمارته لم تطل حيث ولي الإمارة سنة وأسبوعاً، وقد كان عاقلاً حليماً، حسن السيرة، جميل الأفعال، ذا رأي وجود وشجاعة[4]، ما يدل على رضى الناس عنه، وإعجابهم بشخصيته.

وولي محمد بن أحمد بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب (ابو الغرانيق) من ٢٥٠-٢٦١هـ/٨٦٤-٨٧٥م ويصفه الكتاب بأنه كان غاية في الجود والسخاء مسرفاً في العطاء، حسن السيرة مع الرعية[5].

وفي أيام حكم محمد بن أحمد الأغلب كللت الحروب في صقلية بالظفر بقيادة خفاجة بن سفيان بن سوادة، إذ أرسل إلى بلاد الزاب جيشاً عظيماً جعل قيادته إلى قائده

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ٢٩٧؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص ٢٤٠؛ وانظر: نيلة، محاضرات، ص ١٩٧.
(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ٢٩٧؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص ٢٤٠؛ وانظر: نيلة، محاضرات، ص ١٩٧.
(٣) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ٢٩٧؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص ٢٤٠؛ وانظر: نيلة، محاضرات، ص ١٩٧.
(٤) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١١٤؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ٢٥٠.
(٥) النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٦٨؛ وانظر: نيلة، محاضرات، ص ٢٠٠.

محمد بن اسماعيل الذي وصل إلى مدينة (تهودة) ثم (بسكرة) ثم طبنة) ثم على مدينة (أبة)، ونزلها بعسكره، وأعلن رؤساء القبائل طاعتهم وخضوعهم ولكنه لم يقبل منهم، ودارت معركة بين جيشه وبني كملان انتهت بمقتل محمد بن إسماعيل ومقتل الكثير من جند القيروان، وانهزام الجند حتى أبواب طبنة[1].

أما في عهد إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب (٢٦١-٢٨٩هـ/٨٤٧-٨٧٥م)، فمنع الظلم ونتشر العدل بين الناس والرعية، ولكن له سيئاته كأعمال العنف والقسوة التي تصل إلى سفك الدم لأدنى سبب، ولم يسلم منها أهل الأمير من بني عمومته، وأخوانه، وحتى أبنائه وبناته. وقد نجح الأمير في إخماد الفتن والاضطرابات في طرابلس وتونس وبلاد الزاب[2].

واستاء الصقالبة من الأغالبة لخروج الحكم من القصر القديم (العباسية أو العباسة) إلى رقادة، ولكن إبراهيم قضى على حركتهم بعنف وقسوة، وتقول الروايات أنه عندما حل وقت دفع المرتبات إلى الجند والخدم، إذ حضر إليه العبيد والموالي في قصره في رقادة فقتل بعضهم وشتتهم، وأمر بحبس عدداً منهم في سجن القيروان حتى الموت، ونفى عدد منهم إلى صقلية[3].

واتجه إلى الاستعانة بالعبيد من السودان، فاشترى أعداداً كبيرة منهم، ودربهم على أعمال الجندية، وأصبح يعتمد عليهم في الحروب[4].

وصل العباس بن أحمد بن طولون إلى برقة بعدما استولى على ما كان في بيت المال في مصر، وقبض على وزير والده أحمد بن محمد الكاتب في ثمانمائة فارس وعشرة آلاف

---

(١) النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٦٨؛ وانظر: نيلة، محاضرات، ص ٢٠٠.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص ٥؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٦٩؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١٣٢-١٣٣؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص ٢٤٣.

(٣) النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٧٠؛ ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص ٢٨٠؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص١١٩.

(٤) النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٧١؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص ١١٩؛ نيلة، محاضرات، ص٢٠٢.

رجل من السودان في شهر ربيع الأول سنة ٢٦٥هـ/٨٧٨م[١]. وأخذ العباس يكاتب رؤساء القبائل البربرية في طرابلس، وقد استجاب له بعضهم، لأنهم كانوا يقفون موقف المعارضة من الدولة الأغلبية لأنهم كانوا يدينون بمذهب الخوارج الإباضية[٢].

ونتيجة لاستجابة بعض زعماء البربر، تشجع العباس على المسير نحو منطقة لبدة شرق طرابلس، وعندما وصل إبراهيم بن أحمد نبأ مسير العباس أسرع إلى إرسال قائده أحمد بن قرهب في ألف وستمائة فارس ودخلها قبل وصول العباس[٣].

وقد حشد ابن قرهب جنده، من بربر المنطقة ودخل لبدة قبل وصول القوات الطولونية[*][٤].

وانهزم جيش ابن قرهب في موقعة (ورداسة) إذ انهزم نحو طرابلس[٥]، وقد أساء رجال العباس معاملة أهل لبدة ونهبوهم[٦]، وعلاوة على ذلك، فإن رجال العباس من السودان أخذوا يغيرون على أهل البوادي، ويسيئون معاملتهم حتى اعتدوا على الحرم، مما أثار بربر نفوسة الإباضية[٧].

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص ٢١؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١١٨؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص ٤٠؛ أحداث سنة ٢٦٥هـ، وانظر : نبيلة، محاضرات، ص ٢٣.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص ٢١؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١١٨؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص ٤٠؛ أحداث سنة ٢٦٥هـ، وانظر : نبيلة، محاضرات، ص ٢٣.

(٣) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١١٨.

(*) الطولونية (الدولة الطولونية): تأسست سنة ٢٥٤هـ واستمرت حتى ٢٩٢هـ مؤسسها أحمد بن طولون، كان أبوه من الأتراك، تولى نيابة مصر للمعتز سنة ٢٥٤هـ فأحسن إلى أهلها وأنفق فيهم من بيت المال وبنى بها جامع طولون الذي استغرق بناءه ثلاث سنوات وبنى مارستاناً (مستشفى) للمرضى وفي سنة ٢٦٤هـ دخل في حوزته بلاد الشام والثغور وبلغت حدود ملكه إلى الفرات، مات سنة ٢٧٠هـ وأعقبه ابنه خمارويه (٢٧٠-٢٨٢) ثم ابو العساكر جيش بن خمارويه (٢٨٢-٢٨٣) ثم هارون بن خمارويه (٢٨٣-٢٩٢) ثم حكم شيبان بن أحمد بن طولون (٢٩٢-٢٩٢). انظر: الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، إعداد فريق البحوث والدراسات الإسلامية، مكتبة علاء الدين، الاسكندرية، ١٩٩٨م، ص ٣١٩.

(٤) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١١٨؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٧٠.

(٥) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١١٨؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٧٠.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ص ٢١.

(٧) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١١٩؛ وانظر: نبيلة، محاضرات، ص ٢٠٥.

وقد أصاب البلاد القحط في عهده سنة ٢٦٨-٢٦٩هـ/٨٨١-٨٨٢م، وتقول رواية ابن عذاري، ان ابراهيم بن أحمد (قد قتل أطفال قبائل الزاب، وحملوا على العجل إلى الحفر، والقوا فيها)[١].

وقامت قبيلة هوارة هي الأخرى بالعصيان، ولكن حركتها انتهت بطلب الأمان والركون إلى الطاعة[٢]. وفي سنة ٢٧٩هـ/٨٩٢م تخلص إبراهيم بن أحمد من فتيانه الصقالبة، وذلك خوفاً من أن تتحقق نبوءة أحد المنجمين الذي قال ان إبراهيم سيقتله (رجل ناقص العقل)[٣] وانه يمكن أن يكون أحد من خلمه، وقد أحاط نفسه بحاشية من السودان[٤].

وفي سنة ٢٨٩هـ/٩٠٢م أظهر إبراهيم بن أحمد التوبة، وأراد أن يرضي العلمة والناس، ويستميل قلوب الخاصة بأفعاله فرد المظالم، وأسقط القيالات (المكوس) وأخذ العشر طعاماً، وترك لأهل الضياع خراج سنة، وسماها سنة العدل[٥]، وقد أعطى فقهاء القيروان ووجوه أهلها أموالاً عظيمة ليوزعوها على الضعفاء والمساكين[٦].

وفي سنة ٢٨٩هـ/٩٠١م أي عندما كان عبدالله نائباً لوالده بعد خروج والده على صقلية، استرجع معظم الأموال التي كان أبوه قد أخرجها للفقهاء ووجوه الناس، ليفرقوها في المساكين، والتي أعطيت لمن لا يستحقها[٧].

وقد عاهد ابو العباس عبدالله بن إبراهيم الناس عند تسلمه ولايته بالوعد الجميل، والعدل والرفق والجهاد في سبيل الله[٨].

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١١٩؛ وانظر: نيلة، محاضرات، ص ٢٠٥.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١١٩؛ وانظر: نيلة، محاضرات، ص ٢٠٥.

(٣) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١٢٢-١٢٣؛ وانظر: نيلة، محاضرات، ص ٢٠٨.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص ١٢٢-١٢٣.

(٥) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١٣١؛ وانظر: نيلة، محاضرات، ص ٢١٢.

(٦) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١٣١-١٣٢؛ وانظر: نيلة، محاضرات، ص ٢٠٨-٢٠٩.

(٧) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١٣٤؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص ٢٤٥.

(٨) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١٣٢-١٣٤؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص ٢٤٥.

وما استوثق الأمر لزيادة الله بن أبي العباس عبدالله بن إبراهيم (٢٩٠-٢٩٦هـ/٩٠٣- ٩٠٩م) حتى أمر بقتل من قتلوا والده وقتل عمه أبا الأغلب الزاهد الساكن بسوسة، وقتل أخا أبا عبدالله الذي كان يقاتل أبا عبدالله الشيعي في طبنة[1].

وقد ثار أهل أفريقية ضد الداعي الشيعي ابي عبدالله الشيعي الذي كان يلعن أبا بكر وعمر (رضي الله عنهما) من صحابة الرسول (ص)، والذي كان يزعم أن أصحاب النبي (ص) ارتدوا بعده، والذي يبيح دم من يخالفه في رأيه[2].

وقد هزم إبراهيم وجنده الأغلبي من العرب أمام جيش أبا عبدالله الشيعي في موقعة قرب قسنطينة[3].

وتتلخص نتائج هزيمة العسكر الأغلبي في سنة ٢٩٢هـ/٩٠٥م في ازدياد قوة الداعي الشيعي، وحلول الوهن والضعف بين صفوف أهل أفريقية ودخول الهلع في قلوبهم[4].

وفي سنة ٢٩٤هـ/٩٠٦م كان لسقوط مدينة باغاية واستسلامها لأبي عبدالله الشيعي، اثره في نفس زيادة الله فنصحه وزيره عبدالله الصائغ بالرحيل سراً إلى مصر، ولكنه خاف من ثورة الناس عليه، فتوقف عن تنفيذ النصيحة[5]، إذ أظهر له قائد جيوشه إبراهيم بن جيش خطأ فكرة الهروب، وأظهر له أن أهل البلاد معه وليس ضده، وأرسل الرجال والأموال إلى مدينة الأريس.

ولكن مدينة الإريس سقطت في ٢٤ جمادى الآخرة سنة ٢٩٦هـ/ ١٨ آذار (مارس) ٩٠٩م، وانهزم إبراهيم بن الأغلب (واليها)، ودخل أبو عبدالله الشيعي المدينة عنوة[6].

---

(١) ابن عذاري، مرجع سابق، ج١، ص ١٣٥-١٣٦.

(٢) ابن عذاري، مرجع سابق ، ج١، ص ١٣٧.

(٣) ابن عذاري، مرجع سابق ، ج١، ص ١٣٨.

(٤) القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص ١٥٩.

(٥) ابن عذاري، البيان، ج١ن ص ١٤٣؛ وانظر: نبيلة، محاضرات، ص ٢٥٥.

(٦) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١٤٦؛ انظر: نبيلة، محاضرات، ص٢٥٥، ٢٥٦.

وقد قدم إبراهيم بن الأغلب القيروان ونزل بدار الإمارة، وبعث يستقدم الناس، وانتقد في حضورهم تصرفات زيادة الله، وطلب من الناس الإخلاص له، وإمداده بالرجال والأموال، إلا أنهم صاحوا به قائلين: (لا طاعة لك علينا، ولا بيعة لك في أعناقنا، فاخرج عنا)[1]. واضطروه هو ومن معه إلى ركوب خيلهم، والنجاة بأنفسهم، ثم أنهم لحقوا بزيادة الله[2].

وقد هرب إبراهيم بن الأغلب إلى الاسكندرية، واستجار بعاملها من زيادة الله الذي سخط عليه، وبذلك انتهت دولة بني الأغلب بعد أن حكمت مائة وإحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر وعشرة أيام[3].

وقد انتقل إبراهيم بن الأغلب إلى تونس، وانتقل أهل بيته وجميع قواده ومواليه، وحارب ابن طولون في مصر، وهزم أهل نفوسة الذين اعترضوه في طرابلس، إذ قتل عاملها محمد بن زيادة الله[4].

* موقف الدولة العباسية من دولة الأغالبة:

فتح العرب شمال أفريقية في العصر الأموي على يد عقبة بن نافع في زمن معاوية ابن أبي سفيان، وأسس عقبة مدينة القيروان في أفريقية وتونس الآن، سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م؛ ليتخذها قاعدة لأعماله الحربية، واستكمال فتوحاته حتى وصل المحيط الأطلسي، وكان يسمى وقتذاك بحر الظلمات[5].

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١٤٨؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٣، ص ٤٤.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١٤٨؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٣، ص ٤٤.

(٣) النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٧٢-١٧٣؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٣، ص ٤٤-٤٥؛ وانظر: نبيلة، محاضرات، ص ٢٢٧.

(٦) النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٧٢-١٧٣؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٣، ص ٤٤-٤٥؛ وانظر: نبيلة، محاضرات، ص ٢٢٧.

(٥) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص٣٣٠، ٣٣١.

وكان عقبة بن نافع مقيماً ببرقة، وزويلة من أيام عمر بن العاص، فجمع من أسلم من البربر، وضمه إلى الجيش، ليستعين بهم في فتح الشمال الإفريقي، وقام عقبة ببناء مدينة القيروان، واختلط بها دار الإمارة والمسجد الأعظم[1].

وقد ذكر النويري في نهاية الأول أنه لما سيطرت الصفرية على أفريقية سنة ١٤١هـ، بعد أن قتلت قبيلة ورفجومة البربرية من قتلت من عربها، خرج جماعة إلى الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور[*] منهم عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، ونافع بن عبد الرحمن السلمي وغيرهم أتوه يستصرخونه ويستنجلون به على البريد وأعمال التخريب في أفريقية، وكان أبو جعفر المنصور قد ولّى محمد بن الأشعث مصر، ووجه أبا الأحوص عمرو بن الأحوص العجلي إلى أفريقية فهزمه أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري سنة ١٤٢هـ[2] وكانت تلك الموقعة في منطقة سرت (بالقرب من طرابلس)[3].

ورجع أبو الأحوص يجر أذيال الخيبة والهزيمة إلى مصر، فكتب أبو جعفر المنصور إلى محمد بن الأشعث يأمره بالمسير بنفسه، ووجه إليه الجيوش، فبلغ عدد الجيش ما يقارب أربعين ألف مقاتل، ثلاثون ألفاً من أهل فارس، وعشرة آلاف من أهل الشام[4].

وكان أبو جعفر المنصور قد وجههم مع محمد بن الأشعث الأغلب بن سالم التميمي، فلقيهم أبو الخطاب بمدينة سرت، وحدثت معركة كبيرة أدت في النهاية إلى هزيمة جيش أبي الخطاب من البربر، وقتل أبو الخطاب وبعث ابن الأشعث برأس أبي الخطاب إلى بغداد[5].

---

(١) النويريّ، نهاية الأرب، ج ٢٤، ص ١٢.

(*) أبو جعفر المنصور: هو ابن جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وأمه سلامة البربرية، ولد سنة ٩٥هـ في البصرة، وبويع بالخلافة معهد من أخيه، وقد تولى المنصور الخلافة سنة ١٣٧هـ/ فأول ما فعل أن قتل أبو مسلم الخراساني صاحب دعوتهم ومهد لملكتهم، وفي سنة ١٤٠هـ شرع ببناء مدينة بغداد.انظر: المسعودي، التنبيه والإشراف، ٣١١، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٢٤٠، ٢٤٢، ٢٤٣.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ٧٢، الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص ١٢٧، النويريّ، نهاية الأرب، ج ٢٤، ص ٣٩.

(٣) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص ٢٧.

(٤) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ٧٢، الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص ١٢٨؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٣٩.

(٥) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ٧٢؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص ١٢٨.

وكان أبو الخطاب قد استقدم عبد الرحمن بن رستم من القيروان، وأتى ابن رستم بمن معه للمشاركة في القتال ضد ابن الأشعث، ولما علّم عبد الرحمن بن رستم ما آلت إليه الحرب وهزيمة البربر، وقتل قائدهم أبي الخطاب، ولّى هارباً إلى تاهرت فنزل بها[1].

وكان محمد بن الأشعث قد ضبط وسيطر سيطرة كاملة على أفريقية، وأحكم قبضته عليها، حيث كان يقتل كل من يخالفه من البربر، ولذلك فقد أطاعوه وأعلنوا ولاءهم له ولدولته[2].

إذ أن محمد بن الأشعث اتبع سياسة القبضة الحديدية في السيطرة على البلاد والعباد، إلا أن سياسة القبضة الحديدية أدت إلى الانفلات داخل صفوف الجند، وقد تحدث الجند أن أبا جعفر المنصور قد دعا ابن الأشعث يأمره بالقدوم إليه، فرفض ابن الأشعث أوامر الخليفة العباسي، فثار عليه أحد الجند ويدعى عيسى بن موسى بن عجلان الخراساني، إذ قام بإخراج ابن الأشعث من القيروان وذلك سنة ١٤٨هـ[3].

ولما بلغ المنصور خروج محمد بن الأشعث من أفريقية بعث إلى ابن الأغلب بن سالم بن عقال التميمي وولاه أفريقية[4].

وكان أبو جعفر المنصور عندما بعث إلى الأغلب بن سالم بكتاب عندما ولاه أفريقية، ووصاه، وأمره في بكتابه بالعدل في الرعيه، وحسن السيرة في الجند، وتحصين مدينة القيروان وتأمينها[5].

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ٧٢؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص ٢٨؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٤٠.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ٧٢؛ الناصريّ الاستقصا، ج١، ص ١٢٨؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج ٢٤، ص ٤٠.

(٣) ابن الابار، الحلة السيراء، ج١، ص ٧٠؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص ٧٣؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص ١٢٨؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٤٠.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ٢٦؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج١، ص ٧٠؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص ٧٤؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص ١٢٩؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٤١.

(٥) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ٧٤، الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص ١٢٩.

وعندما جاء كتاب أبي جعفر المنصور كان الأغلب بن سالم والياً على منطقة طبنة من قبل محمد بن الأشعث، والأغلب بن سالم هذا هو جد الأغالبة ملوك وحكام أفريقية من بعده، وكان من ذوي الرأي والشجاعة وهو من أصحاب أبو مسلم الخراساني[1].

ويتبين لنا مما سبق أن الخليفة العباسي أبا جعفر المنصور كان يثق بالأغلب بن سالم وسيرته، ومن أجل ذلك فإنه قد ولاه شؤون أفريقية، وربما كانت هناك حكمة في نفس أبي جعفر المنصور أرادها من خلال تولية الأغلب بن سالم شؤون أفريقية.

وقد ثار على الأغلب ابن سالم شخص يدعى أبي قرة الصفري، بمشاركة جمع كبير من البربر، وحدثت معركة بينهما، وأدت بالتالي إلى هزيمة أبو قرة هذا وهروبه، إذ قدم الأغلب بن سالم إلى منطقة الزاب، وعزم على الرحيل إلى تلمسان ثم إلى طنجة، الأمر الذي أدى إلى مضايقة الجيش، ما أدى إلى تسلل جند الأغلب ليلاً إلى القيروان، ولم يبق إلا القليل من الجيش مع الأغلب[2].

وفي سنة ١٥٠هـ/ ٧٦٧م عندما شدد ابن الأغلب في محاربة الصفرية، ثار عليه أحد قواد البريد، ويدعى الحسن بن حرب الكنديّ بتونس، وكان هذا الأخير قد حبس عامل الأغلب على القيروان وهو سفيان بن سواده التميمي، وكان الأغلب قد بعث بكتاب إلى الحسن بن حرب الكنديّ يعرفه فيه بفضل الطاعة وعقبى المعصية، إلا أن الكنديّ رفض نصائح الأغلب، الأمر الذي أدى إلى القتال بينهما، وأدى ذلك إلى هزيمة الكثير من جيشه، وانهزم الحسن إلى تونس ورجع الأغلب إلى القيروان[3].

وكان أبو جعفر المنصور قد بعث بكتاب إلى الحسن بن حرب الكنديّ يدعوه إلى الطاعة والأذعان لأوامر خليفة المسلمين، فأبى الحسن ورفض رفضاً باتاً الإذعان

(١) طبنة: بلدة في الطرف الغربي لأفريقية (تونس) وهي تقع على ضفة الزاب، كان قد فتحها موسى بن نصير، وليس بين القيروان إلى سجلماسه مدينة أكبر منها. انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص ٢١.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ٢٦؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص ١٢٩؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٤٠- ٤١.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ٢٦؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص ١٢٩؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٤١.

لأوامره، الأمر الذي أدى إلى إرسال جيش، لمحاربته على رأسه الأغلب حليف الدولة العباسية في أفريقية[1].

وقد حدث لقاء ثان بين الحسن بن حرب الكنديّ وبين جيش الأغلب بن سالم، إذ حشد الحسن بن حرب الكنديّ الجيش، والعدة، والعتاد، ولمعاودة الكرة مرة أخرى لمحاربة الأغلب الذي كان في القيروان، وفعلاً حصلت الحرب بينهما، فأصيب الأغلب بسهم فقتله[2] وقد قام بأمر أفريقية بعد الأغلب المخارق بن غفار، الذي هزم الحسن بن حرب الكنديّ في تلك الموقعة[3].

مما سبق يتبين لنا أن أفريقية كادت تخرج عن طاعة العباسيين في معظم عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، وأن البربر والعرب مالوا إلى مبادئ الخوارج، ويحاولون خلع طاعة العباسيين الذين أخذوا يرسلون الجيوش تلو الجيوش لإخضاعهم، واستمرت أفريقية تسقط في أيدي الثوار حيناً، وفي أيدي العباسيين حيناً آخر.

ومهما يكن من أمر، فإنه لّما قتل الأغلب بن سالم ولّى المنصور على أفريقية أبا جعفر عمر بن حفص بن قبيصة أخي المهلب بن أبي صفرة، فوصل إلى القيروان. وكان جند الأغلب قد استولوا عليها بعد وفاته- وأقرّ الأمن في هذه البلاد نحو ثلاث سنين، ثم سار ناحية الزاب لبناء مدينة طُبنة، فانتهز البربر من الإباضية والصفرية غياب عمر بن حفص عن أفريقية، فثاروا عليه وهاجموا القيروان[4].

وكانت أفريقية قد ثارت كلها، فقد حاصر طبنة أبو قره الصفري، وكان معه أربعون ألفاً وعبد الرحمن بن رستم ومعه خمسة عشر ألفاً، وأبو حاتم وعاصم السدراتي

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ٢٦؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص ١٢٩.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ٢٦؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص ٧٥؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص ١٢٩؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٤٢.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ٢٦؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص ٧٥؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص ١٣٠؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٤٢.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ٣١؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص ٧٥؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص ١٣٠، النويريّ، ج ٢٤، ص ٤٣.

في ستة آلاف فارس، والمسعود الزناتي الإباضي في عشرة آلاف فارس، ولكن عمر بن حفص استطاع فك حصار طبنة بارشاد بعض المحاصرين من الخوارج، فترك هؤلاء حصار طبنة، وحاصروا القيروان[1]

وعندما علم أبو جعفر المنصور بما حل بجند عمر بن حفص يزيد بن حاتم بن قبيصة بن أبي صفرة بعث بمدد قوامه ستون ألفاً، فوصل إلى أفريقية سنة ١٥٤هـ/ ٧٧١م، فالتقاه أبو حاتم الخارجي، لكن الهزيمة لحقت به، وقتل هو وجنده على يد البربر سنة ١٥٥هـ/ ٧٧٢م، وراح المهلب يقتلون الخوارج[2].

ويبدو أن الخليفة العباسي لّما تخلص من أعدائه أصبح من القوة بمكان، بحيث استطاع أن يرسل إلى بلاد المغرب جيشاً جراراً لإقرار الأمن في جميع أرجاء هذه البلاد وحيناً من الدهر.

واستمرت قبائل البربر في أفريقية تحمل لواء الثورة ضد العباسيين من سنة ١٧٨هـ/ ٧٩٥م إلى ١٨١هـ/ ٧٩٨م، محاولة الخروج على الحكم العباسي، يتقاسمون الفوز والهزيمة، بينهم وبين العباسيين، حتى بعث هارون الرشيد هرثمة بن أعين بجيش جرار؛ ليحد من نشاطهم، ويضعف قوتهم، إلا أن هرثمة لم يكمل المسيرة، فاعتذر عن البقاء، فكاتب الرشيد، وأمره الرشيد بالتوجه إلى بغداد، فسار إليها في رمضان ١٨١هـ/ ٧٩٨م، وكانت مدة ولايته على أفريقية سنتين ونصف[3].

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ٣٢، ابن عذاري، البيان، ج١، ص ٧٥؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص ١٣٠؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٤٣.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ٣٢؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص ٧٤؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص ٧٦؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص ١٣١، النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٤٣.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ٩٥؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج١، ص ٩٠؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص ٨٩؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص ١٣٥؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٥١، ٥٢.

وكان قد تولى أفريقية قبله مجموعة من القادة الذين حاولوا إرساء أسس الأمن والاستقرار في أفريقية، نذكر منهم: داوود بن يزيد بن حاتم الذي تابع هزيمة البربر وإخضاعهم، وروح بن حاتم، ونصر بن حبيب المهلبي، والفضل بن روح[1].

ولم يكن العداء بين البربر والعباسيين عداءً عرقياً أو مذهبياً يوماً ما، لأن المذهب المالكي قد انتشر انتشاراً واسعاً في المغرب والأندلس، ولأن حلفاء بني العباس قد طهروا من البدع، ولأن خوارج العراق قد بثوا فيهم "أن الخلافة لا تشترط القرشية بل ولا العربية، وأن كل من اتقى الله كان أحق بها، ولو كان عبداً حبشياً، وبثوا فيهم بعض مبادئ الخوارج وخلافتهم وقد أخذ البربر بذلك[2].

وفي عهد إبراهيم بن الأغلب (١٨٤ - ١٩٦هـ) تولّى أمر أفريقية بعد أن كتب إلى هارون الرشيد يطلب منه توليته عليها، وقد وافق الرشيد على ذلك، وبارك له ما أراد بشرط تحقيق أهداف الدولة العباسية[3].

وعندما ولي إبراهيم بن الأغلب أمر الحكم في أفريقية، ضرب بيد من حديد على مواطن الشر والفتن بأفريقية، واتبع سياسة اللين والمعاملة الحسنة مع أهلها، وكل من تسول له نفسه شراً ومخالفة أوامر الخلافة كان يبعث بهم إلى بغداد لمحاسبتهم، ومعاقبتهم عقاباً شديداً[4].

ويجسد إبراهيم بن الأغلب ولاءه للخلافة العباسية في بغداد وولائه للبيت العباسي من خلال هذه الأبيات الشعرية، التي يرويها لنا الرقيق القيرواني في تاريخ أفريقية، إذ يقول إبراهيم بن الأغلب[5]:

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ٨٤، ٩٤، ٩٥، ابن الابار، الحلة السيراء، ج١، ص ٧٧، ٨٠، ٨١، ٨٥؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص ٨٢، ٨٤، ٨٥؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص ١٣٤، ١٣٥.

(٢) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص ١٣٦، ١٣٧، ١٣٩.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ١٠٤؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص ٩٤.

(٤) النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٥٥.

(٥) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص ٢١٤.

ألم ترني بالكيد أرديت راشداً بأخرى وإني لابن ادريس راصد

تناولـه عزمي على نـأي داره بمختومـة فـي طيّهـن المكائـد

وكان راشد هذا قد علا أمره بالمغرب، حينما ساعد إدريس على الوصول إلى المغرب وقد تولى رعاية ابنه إدريس الثاني من بعده، وهو مولى إدريس بن عبد الله مؤسس الدولة الإدريسية في المغرب الأقصى سنة ١٧٢هـ/ ٧٨٨م[1]، وأن دلّ ذلك على شيء فإنما يدل على العلاقات الجيدة بين الخلافة العباسية وإبراهيم بن الأغلب ذلك لأن هناك أهدافاً مشتركة لكلا الكرفين يسعى إلى تحقيقها.

وكان الأغالبة قد تبنوا اللون الأسود (وهو شعار بني العباس)، وهو اللون الرسمي، ولم يتخلوا عنه أبداً، ودافعوا في الداخل والخارج عن راية الخلافة حتى سقوط دولتهم سنة ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م[2].

وقد كانت القيروان عاصمة الأغالبة، تتبع السياسة نفسها لبغداد عاصمة العباسيين، وقد شارك الأغالبة في السياسة التي سنها الرشيد، واتخلوا موقف العداء تجاه الأدارسة والطالبيين بعامة والرستميين كذلك[3]، وعملوا بالسياسة الدينية نفسها التي سار عليها بنو العباس، فقد كانوا إلى أن سقطت دولتهم معتنقين مذهب الاعتزال، وهو المعتقد الذي جسّمه المأمون (١٩٨ – ٢١٨هـ/ ٨٠٣– ٨٣٣م)، في مأساة دينه، لكن موقفهم تطور في الاتجاه نفسه وبالسرعة نفسها المعمول بها في الشرق إزاء مذهب السنة[4].

ومن المعلوم أن هارون الرشيد، كان يكاتب إبراهيم الأول ابن الأغلب، وبصورة شخصية، ولم ينقطع هذا التراسل مع الزمن بين الأمراء الأغالبة والخلفاء العباسيين[5].

---

(١) الرقيق القيرواني، تاريخ أفريقية، ص ٢١٤.
(٢) ابن الابار، الحلة السيراء، ج١، ص ١٠١ – ١٠٢.
(٣) ابن الابار، الحلة السيراء، ج١، ص ١٠١ – ١٠٢.
(٤) المصدر نفسه، ج١، ص ١٠١ – ١٠٢.
(٥) ابن الابار، الحلة السيراء، ج١، ص ١٠٢.

وعندما قام حمديس الكنديّ الملقب بـ (خريش) بثورته سنة ١٨٤هـ/٨٠٢م (التي كانت من أبناء العرب الذين كانوا بأفريقية، وقد خلع السواد معلناً رفض الولاء والطاعة والتبعية للعباسيين، وقد كثر مؤيدوه من البربر والعرب فبعث بكتاب إلى إبراهيم بن الأغلب، يعلن فيها الخروج عليه فبعث إليه إبراهيم بن الأغلب بكتاب يرد عليه، ومما قال فيه:

(فلو لم يبق في المغرب من أهل الطاعة غيري ما وصلت أنت فيمن معك بخلافكم إليه، ولرجوت أن أظفر بكم بطاعتي، ونصرة دولة أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، فكيف وعندي من شيعته، وأبناء أنصاره، من يعلم الله أني أرجوه أن ينتقم منك على يدي)[1].

مما سبق يتبين مدى ولاء وانتماء وطاعة بني الأغلب للدولة العباسية.

وفي سنة ١٨٩هـ/ ٨٠٤م قامت ثورة في طرابلس التي كانت تابعة لأمير أفريقية، ذلك لأن أهلها كانوا يكرهون واليهم سفيان بن المضاء، إذ قام سكان طرابلس بإخراجه من داره وطاردوه إلى المسجد، وقتلوا أصحابه، وأرغموه على العودة إلى القيروان، فأرسل إليهم إبراهيم بن الأغلب جيشاً، وقام بإحضارهم إلى القيروان، ثم أصدر أمراً بالعفو عنهم[2].

وقد ثار شخص يدعى أبوعصام على رأس جماعة كبيرة في طرابلس، وقد ظفر بهم إبراهيم بن الأغلب، وولى طرابلس ابنه عبد الله الذي لقى مقاومة شديدة من البربر، ولكنه بحنكته وحكمته استطاع أن يجذب البربر الثائرين إلى جانبه بعد أن أغدق عليهم الأموال[3].

وحشد عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب الكثير من الجند الذين زحف بهم إلى طرابلس، وحدثت معركة كبيرة بينهما، فانهزم جند طرابلس، ودخل عبد الله المدينة، لكن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (ابن مؤسس الدولة الرشمية ١٦١هـ/ ٧٧٧م) جمع البربر وحرضهم على قتال الأغالبة حلفاء العباسيين، وحاربهم إلى أن توفي

---

(١)ابن الابار، مرجع سابق، ج١، ص ١٠٤.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ١٥٦؛ وانظر: حسن، تاريخ الإسلام، ج٢، ص ٢١٤.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ١٥٦.

أبوه إبراهيم بن الأغلب، وآلت إمارة الأغالبة إليه، فاضطرهم إلى طلب المصالحة على أن يكون البلد والبحر لعبد الله ابن إبراهيم، وخارج ذلك يكون لعبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم[1].

وقد استمر ولاء وانتماء وطاعة الأغالبة للدولة العباسية. وفي هذا الصدد كتب الخليفة العباسي المأمون بن هارون الرشيد دعوت فيها زيادة الله بن الأغلب أن يدعوا على منابره لعبد الله بن طاهر بن الحسن[*] (وهو ابن من قتل أخيه الأمين"، وقد اشتاط زيادة الله بن الأغلب غضباً، فأمر بإدخال الرسول الذي بعثه المأمون عليه ثم قال له: "قد علم أمير المؤمنين- ويقصد المأمون- طاعتي له وطاعة آبائي لآبائه، وتقدم سلفي في دعوتهم، ثم يأمرني الآن بالدعاء لعبد خزاعة؟ ويقصد عبد الله بن طاهر- فرفض الدعاء لعبد الله بن طاهر بن الحسين، ثم مد بكيس إلى جانبه، وأعطى الرسول ألف دينار، لإيصال الرسالة إلى الخليفة العباسي- المأمون، وكانت النقود مضروبة باسم إدريس الحسني ليعلمه ما هو عليه من فتنه بالمغرب، ومقاومة الدولة الإدريسية العلوية في المغرب الأقصى، وكان حينها زيادة الله ثملاً[2].

فلّما أفاق من سكرته بعث بكتاب آخر يتلطف فيه الخليفة العباسي المأمون[3]، وكان زيادة الله يدعو للمأمون وإبراهيم بن المهدي، الذي ادّعى الخلافة ببغداد بعد قتل الأمين، إلى أن قدم المأمون بغداد، فكاتبه، وشكر له فعله، وحسن صنيعه[4].

يفهم مما سبق أن علاقة الأغالبة كانت علاقة وطيدة مع العباسيين، فكثيراً ما ساندت الخلافة العباسية الدولة الأغلبية، فقد أرسلت الأموال إلى إبراهيم بن الأغلب من

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ١٥٧.

(*) عبد الله بن طاهر بن الحسين: أحد قادة المأمون، والي مصر سنة ٢١١هـ/ ٨٢٦م. انظر: الكندي الولاة، ص ١٨٠- ١٨١؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج١، ص ١٦٥؛ ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ج٣، ص ١٦.

(٢) ابن الابار الحلة السيراء، ج١، ص ١٦٥.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص ١٦٥.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص ١٦٦.

مصر عندما تمرد عليه عمر بن مجالد سنة ١٩٤هـ/ ٨٠٩م، وقد تدخل المأمون طالباً من الفرنجة الكف عن أفريقية عندما تعرضت سواحلها لهم سنة ٢١٣هـ/ ٨٢٨م[١].

وكذلك كان وجود الدولة الأغلبية في أفريقية إنما هو تحقيق لأهداف الدولة العباسية؛ لأنها وقفت بكل صلابة وحزم في وجه الدول المستقلة الأخرى في المغرب العربي.

وعندما وقع زلزال في أفريقية (تونس) سنة ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م أرسل الخليفة المأمون الأموال دعماً للدولة الأغالبة[٢].

وكان الأمراء الأغالبة يتسلمون التقليد من الخلفاء العباسيين، فقد أقرّ الخليفة العباسي الأمين (١٩٣- ١٩٨هـ/ ٨٠٨- ٨١٣م) إبراهيم بن الأغلب على ولايته، وكذلك فعّل المأمون (١٩٨- ٢١٨هـ/ ٨١٣- ٨٣٣م) عندما أرسل التقليد إلى زيادة الله الأول[٣].

وكانت بغداد عاصمة العباسيين ملجأً لبعض أفراد الأغالبة الذين تركوا أفريقية، مثل: أحمد بن الأغلب الذي أخرج من أفريقية إلى مصر ومن ثم إلى العراق، على يد أخيه محمد بن الأغلب[٤].

كما التجأ آخر أمراء الدولة الأغلبية زيادة الله بن أبي العباس (٢٩١- ٢٩٦هـ/ ٩٠٣- ٩٠٨م) الذي أخرج من أفريقية إلى المشرق مستنجداً بالخلافة العباسية، حينما قامت دعوة أبي عبد الله الشيعي، والدعوة لأبي عبد الله المهدي الفاطمي[٥].

وكان الخلفاء العباسيون يوجهون اللوم والانتقاد إلى بعض أمراء بني الأغلب، إذا أحسّوا منهم بأي إساءة لهم وللرعية، إذ لم يتوان الخليفة العباسي المعتضد

---

(١) إسماعيل، الأغالبة، ص ١٧٢- ١٧٣.

(٢) الطبريّ، تاريخ، ج٥، ص ٣٢٨؛ ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ٢٥٥.

(٣) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ٩٤؛ القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرحه وعلق عليه نبيل خالد الخطيب، بيروت، ١٩٨٧م، ج٥، ص ١٢٠؛ وسيشار إليه فيما بعد: القلقشندي، صبح الأعشى؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٢، ص ١٦٩.

(٤) ابن الابار، الحلة السيراء، ج١، ص ١٨٠؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١٠٩؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٨٣.

(٥) ابن الابار، الحلة السيراء، ج١، ص ١٨٢؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٨٣- ٨٤.

(٢٧٩- ٢٨٩هـ/ ٨٩٢- ٩٠١م) عندما وجه اللوم والتوبيخ إلى إبراهيم بن أحمد بن الأغلب عندما أساء السيرة[١].

إن إبراهيم بن الأغلب كان يضمر الحقد لمحمد بن زيادة الله، لحسن سيرته، إلى أن قتله، فيقول ابن الابار في "الحلة السيراء": (وكان الذي هاجه لذلك وبعثه عليه- مع قدم حسده له- أنه وجه رسولاً إلى بغداد، فكتب إليه يخبره أن بعض من سار إلى بغداد من أهل تونس شكو إلى المعتضد صنع إبراهيم، فقال المعتضد: "عجباً من إبراهيم ما يبلغنا عنه إلا سوء الثناء عليه، وعامله على طرابلس يبلغنا خلاف ذلك من رفق بمن ولي عليه وإحسان")[٢].

وقد كتب الخليفة العباسي المعتضد إلى إبراهيم بن أحمد كتاباً يهدده فيه، ويوبخه أيضاً على سوء أفعاله إذ قال في الكتاب: "إن لم تترك أخلاقك في سفك الدماء فاسلم البلاد إلى ابن عمك محمد بن زيادة صاحب طرابلس"، فخرج إبراهيم إلى طرابلس خفيةً، وأظهر أنه يريد مصر حيلةً منه، إلى أن ظفر بمحمد بن زيادة الله فقتله، وصلبه"[٣].

وقد كان الأغالبة يتخذون السواد "شعار العباسيين"، كما كانت النقود المتداولة بين الناس في الدولة الأغلبية نقوداً عباسية، تحمل أسماء خلفاء بني العباس[٤].

وكانت أسماء أمراء الأغالبة قد سكت على نقودهم، لكن دون الإشارة إلى اسم الخليفة، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على الاستقلال السياسي الذي تتمتع به دولة الأغالبة، رغم ارتباطها وطاعتها وولائها للخلافة العباسية[٥]، وكانت دولة الأغالبة في

---

(١) ابن الابار، الحلة السيراء، ج١، ص ١٨٠.

(٢) ابن الابار، الحلة السيراء، ج١، ص ١٨٠.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص ١٨٠.

(٤) عبد الوهاب، ورقات، ج١، ص ٤٢٨- ٤٢٩.

(٥) ابن قربة، المسكوكات، ص ١٧٧- ١٧٨؛ في حين يشير الدكتور محمود إسماعيل في كتابه "الأغالبة"، ص ٥٢، وفي الهامشين ٢٢، ٢٣ إلى وجود نوعين من السكة عند الأغالبة، أحدهما يضرب عليه اسم الخليفة، والآخر للتداول في أفريقية، ولكن لم يعثر على مثل هذه النقود؛ وكذلك انظر: فهمي، محمد عبد الرحمن، فجر السكة العربية، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٩٦٥م، ص ٨٢٩، ٨٣١، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦؛ ابن قربة، المسكوكات، ص ٨٦.

جميع الأحوال تحتفظ بعلاقات جيدة مع الدولة العباسية، إذ كانت الهدايا والأموال ترسل من أفريقية إلى بلاط الدولة العباسية في بغداد تقرباً وطاعة[1].

ومن تلك الهدايا التي كانت ترسل إلى البلاط العباسي من قبل أمراء الأغالبة يذكر أنه قد حمل إلى بغداد في عهد الخليفة الرشيد ثلاثة عشر ألف درهم، ومائة وعشرون بساطاً من أفريقية، كما أرسل الأمير إلى أبي إبراهيم أحمد الأغلبي بعضاً من السبايا قصريانه إلى الخليفة العباسي المتوكل[2].

وكان الأمير زيادة الله الثالث قد أرسل إلى الخليفة العباسي المكتفي (٢٨٩– ٢٩٥هـ/ ٩٠١– ٩٠٧م) الكثير من الهدايا، والأموال، والدنانير كتب على تلك الدنانير[3]:

ومن لا يرى لك طاعة فالله   قد أعماه من طرق الهدى وأضله

كما كانت هناك معاهدات بين الأسرتين العباسية في بغداد والأغلبية في تونس، فقد زوّج إبراهيم بن أحمد (٢٦١– ٢٨٩هـ)، بنت أخيه لعبد الوهاب بن محمد المهتدي[4].

ومن خلال الأحداث التي مرت بها الدولة الأغلبية وعلاقتها بالدولة العباسية يتبين أن تلك المعاهدات كانت معاهدات عسكرية وسياسية واقتصادية.

وكانت مواقف دولة الأغالبة تدل وتعبر عن عروبتهم وانتمائهم، وهو موقف منسجم مع الموقف الطبيعي للعرب في تأييد الخليفة الأمين[5].

وكان خلفاء بني العباس يثنون على أمراء دولة الأغالبة، وذلك عندما يقوم أمراء الأغالبة بالخطبة والدعاء للخلفاء العباسيين، ومثال ذلك عندما دعا زيادة الله للخليفة

---

(١) الجهشياري، أبا عبد الله بن عبدوس، الوزراء والكتاب، تح مصطفى السقا وآخرون، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٩٣٨م، ص ٢٨٧، وسيشار إليه فيما بعد: الجهشياري، الوزراء.

(٢) الجهشياري، الوزراء، ص ٩٠.

(٣) ابن الابار، الحلة السيراء، ج١، ص ١٧٨.

(٤) ابن حزم، جمهرة، ص ٢٥– ١٢٦؛ وانظر: عبد الوهاب، ورقات، ج١، ص ٣٩٣– ٣٩٤.

(٥) الطالبي، الدولة الأغلبية، ص ٢٠٩.

العباسي المأمون، ولعمه إبراهيم بن المهدي على منابر القيروان، فاستحق بذلك ثناء المأمون عليه[1].

وكان البربر يحاولون كلما سنحت لهم الفرصة بأن ينقلبوا على دولة بني الأغلب، ويمتنعون عن دفع العشور والصدقات إلى بيت المال، ومن ذلك نذكر أنه حدثت سنة ٢٤٥هـ حرب كبيرة بين البربر وجيش إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب، وسببها أن بعض البربر امتنعوا عن دفع العشور والصدقات لعامل طرابلس، فسير إليهم أحمد بن محمد بن الأغلب جيشاً مع أخيه زيادة الله فانهزم البربر[2]، إذ أن عدم دفع الضرائب للدولة الأغلبية يعني ذلك في نظر الأغالبة الخروج على دولة الخلافة الشرعية، ولذلك فإن الدولة الأغلبية كانت تضرب بيد من حديد لكل من تسول له نفسه الخروج عليها.

ومجمل القول إن موقف الدولة العباسية من دولة الأغالبة، وموقف الأغالبة من الخلافة العباسية ومن خلال كل الخلفاء العباسيين، وعلاقتهما، ببعضهما البعض ان تلك العلاقة لم تقف عند حد الولاء والطاعة وتقديم الأموال والهدايا، لا بل إن موقف الأغالبة كان يتسم بالعدائية تجاه كل من يعادي الدولة العباسية، كالأدارسة، والرستميين، والأمويين في الأندلس، كما كانت علاقة الدولة الأغلبية علاقة جيدة مع كل من كانت علاقته جيدة مع العباسيين، ومثال ذلك الكارلونجيون الذين كانوا أصدقاء للدولة العباسية[3].

ولم تقتصر علاقة الأغالبة بالخلافة على هذه الأمور، بل تعدتها إلى العلاقات الاقتصادية والثقافية[4]. فالأمراء الأغالبة قد سايروا المأمون في تأييد مذهب الاعتزال، ثم تحولوا عنه عندما طارد الخليفة العباسي المتوكل أصحابه في المشرق[5].

---

(١) ابن الابار، الحلة السيراء، ج١، ص ١٦٦؛ ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ج٣، ص ١٦؛ وانظر: فهد، بدري محمد، الخليفة المغني، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٧م، ص ٥١. وسيشار إليه فيما بعد: فهد، الخليفة المغني.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ٣٠٠.

(٣) الكارلونجيون، أسرة حكمت فرنسا وإيطاليا وبعض مناطق أوروبا، تأسست دولتها سنة ٧٥٢م، على يد شخص يدعى بيبين القيصر. انظر: عاشور، سعيد عبد الفتاح، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار صادر، بيروت، ١٩٧٢م، ص ١٥٥، ١٧٢؛ سيديلو. ل. أ، تاريخ العرب العام، ترجمة عادل زعيتر، (د. مط)، القاهرة، ١٩٦٢م، ص١٩٥.

(٤) إسماعيل، الأغالبة، ص ٦١- ٦٧٢؛ قاسم، الحياة الفكرية، ص ٩٩.

(٥) الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص ٣٦٧- ٣٦٨؛ إسماعيل الأغالبة، ص ٥١؛ قاسم، الحياة الفكرية، ص ٩٩.

ومهما يكن من أمر، فقد كان موقف الدولة العباسية من الأغالبة يتسم بالوضوح والصراحة، والإيجابية، وقد تغلب فيه الائتلاف على الاختلاف، ولم يكن ليقع غير ذلك.

وصيغة الاتحاد المتصورة بين بغداد والقيروان، إنما هي نوع من الزواج المتعقل المبرم في نطاق نظام تفريق الأموال وتوزيعها، وقد تبين أنه متين الأركان، وبقي الاتحاد حتى النهاية رغم الصدامات التي لا مفر منها، والنوائب.

وكانت الخطبة- وهذا هو الأساس في نظر ذلك العصر- تلقى دوماً باسم الخليفة العباسي- والخطبة هي التي تحدد مدى الولاء، والانتماء، والارتباط، والاتصال، والتودد للدولة العباسية الشرعية.

وقد اتسم موقف الدولة العباسية من الأغالبة بالتعاون، والود، والاحترام، والمعاملة بالمثل، باستثناء بعض فترات التوتر، ولذا فقد دون التاريخ أجمل الحديث عن تلك التجربة التي كانت ناجحة في جملتها.

وكان في انقراض دولة الأغالبة بعد مائة واثنتي عشرة سنة من الحكم المتواصل، التأييد والولاء للخلافة العباسية له آثاره السيئة على الدولة العباسية، إذ نشأت دول أخرى بعد ذلك على أساس مذهبي مغاير لمذهب الدولة العباسية إذ تأسست الدولة الفاطمية، وتوطد ملك بني عبيد فقد قام أبو عبد الله الشيعي بهزيمة جيوش الأغالبة، واستولى على بلاد المغرب، وانتزعها من زيادة الله بن أبي العباس وسلمت إليه المغرب سنة ٢٩٦هـ، واستقل بالأمر وعمل على استقلال الدولة الفاطمية فيما بعد عن الخلافة العباسية، وبنى مدينة المهدية(*)، وانتقل إليها، وبذلك قامت الدولة الفاطمية الشيعية[١].

وقام عهد جديد لدولة جديدة مستقلة عن الدولة العباسية، وكل عداء سياسي ومذهبي مع الدولة العباسية[٢].

(*) المهدية: سميت نسبة إلى عبد الله المهدي، وقد اختطها المهدي، وهي آفريقية (تونس)، تقع إلى الشمال من القيروان. انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص ٢٢٩- ٢٣٠.

(١) ابن الابار، الحلة السيراء، ج١، ص ١٩٢؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١٥١؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٨٤.

(٢) ابن الابار، الحلة السيراء، ج١، ص ١٩٢؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١٥١؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٨٤.

الفصل الرابع

الدولة الفاطمية في المغرب

(٢٩٦ – ٣٦٥هـ/٩٠٩ – ٩٧٥م)

- الأسباب التي أدت إلى قيام الدولة الفاطمية
- المبادئ التي نادوا بها
- موقف السكان المحليين من الدولة الفاطمية
- موقف الدولة العباسية من الدولة الفاطمية

الفصل الرابع

الدولة الفاطمية في المغرب

(٢٩٦ – ٣٦٥هـ/٩٠٩ – ٩٧٥م)

* الأسباب التي أدّت إلى قيام الدولة الفاطمية :

إنّ مسألة نسب الفاطميين من المسائل التي حيرت الإخباريين، ومنهم ابن خلدون ومن سبقوه، وهي مشكلة تاريخية، والمصادر تختلف باختلاف ميولها وميول مؤلفيها[١].

ينسب الفاطميون أنفسهم إلى فاطمة الزهراء بنت الرسول ﷺ، ويعتقد الفاطميين بنسب إسماعيل بن جعفر الصادق (ت ١٣٨هـ) وهو الإمام السابع، وعرف أتباع إسماعيل بالإسماعيلية أو السبعية (لأن إسماعيل هو الإمام السابع)، وإليه ينسب الفاطميون، يقول المقريزي في هذا الشأن: (وكان يدعو إلى الإمام من آل البيت محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق)[٢]، وقد نشأت الحركة الإسماعيلية كحركة دينية شيعية سياسية[٣].

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، ص ٢١-٢٣؛ المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ص ٥٧-٥٩؛ انظر: حمادة، محمد ماهر، الوثائق السياسية والإدارية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٠م، ص٢٨. ويقول المقريزيّ في اتعاظ الحنفا: (اعلم أن القوم ينسبون إلى الحسين بن علي بن أبي طالب والناس فريقان في أمرهم: فريق يثبت صحة ذلك، وفريق يمنعه وينفيهم عن رسول الله (ص) ويزعم أنهم ينسبون إلى ميمون القداح ابن ديصان النوبي الذي ينسب إليه منطقة النوبة، وكان له مذهب في الغلو وولده عبدالله وكان عبدالله عالماً بجميع الشرائع والسنن والمذاهب، وأنه رتب سبع دعوات يتدرج الإنسان فيها حتى ينحل عن الأديان ويصبح إباحيا لا يرجو ثواباً ولا يخاف عقاباً).

(٢) ابن فهد، النجم عمر بن محمد بن محمد المكي، في نسب الخلفاء الفاطميين (أسماء الأئمة المستورين)، تقديم وتحقيق حسين فضل الله الهمداني، الجامعة الأمريكية، القاهرة، ١٩٥٨م، ص١٠. وسيشار إليه فيما بعد: ابن فهد، في نسب الخلفاء؛ المقريزيّ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزيّة)، بيروت، ٢٠٠١، ج١، ص ٣٤٨. وسيشار إليه فيما بعد: المقريزيّ، الخطط؛ Daftary.f., the Ismailis their history and Doctoringe, Combridge-united kingdome, ١٩٩٠, PP.٩١-٩٣.

(٣) عماد الدين إدريس، عيون الأخبار، ج٤، ص٣٥١-٤٠٤؛ ابن أيبك الدراداري، ابو بكر عبدالله بن أيبك، (ت بعد سنة ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م) كنز الدرر وجامع الغرر، الجزء السادس المسمّى، الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية، تح صلاح الدين المنجد، الجزء السابع المسمّى، الدرر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب، تح سعيد عبد الفتاح

وما بين وفاة جعفر الصادق (سنة ١٣٨هـ) وقيام الدولة الفاطمية في المغرب، عرفت في تاريخ الإسماعيلية بدور التستر؛ لأنها بدأت في عهد اضطهاد وملاحقات للشيعة وأهل البيت، الأمر الذي اضطرهم إلى الستر والتقية، خوفاً من العباسيين، وتنتهي بظهور عبيد الله المهديّ، فهي فترة غامضة؛ لأنها بدأت بسرية تامة، ولأن علماء الدعوة الإسماعيلية لم يحاولوا الكلام عنها ولأن الستر هو أصل من أصول مذهبهم(١).

وفي دور الستر نجد نوعين من الأئمة:

١. الأئمة المستورون أو المستقرون، وهم الأئمة الحقيقيون الأوصياء على الإمامة وهؤلاء أولاد إسماعيل بن جعفر الصادق.

٢. الأئمة المستودعون أو الحجج، وهم الأئمة الذين يمنحون الإمامة أمام الناس، ليغطي على الإمام الحقيقي، ولا يحق له نقل الإمامة إلى أبنائه الدعاة الذين قاموا بالدعوة للأئمة المستورين، وهؤلاء هم ميمون القداح(*) وأولاده من بعده، وميمون القداح هو أول من اتخذ الأئمة المستورين حجة ونائباً له، وهذا السبب جعل البعض يخلط بين الفريقين وينسب الفاطميين إلى ميمون القداح(٢).

عاشور، المعهد الألماني للآثار القاهرة، (١٩٦م، ١٩٧٢م، ج٦، ص١٤٦-١٤٧) وسيشار إليه فيما بعد: ابن أيبك الدواداري، كنز الدرر؛ عماد الدين إدريس، عيون الأخبار، ج٤، ص٤٠٤،٣٥١؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، طبعة دار الثقافة، بيروت، ٦٩-١٩٧٢م، ج٣، ص٨٢؛ الصفدي، صلاح الدين خليل ابن أيبك الصفدي، الوافي بالوفيات، تح أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م، ج١٧، ص٤١-٤٢. وسيشار إليه فيما بعد: الصفدري، الوافي؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص٧٧.

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص ١٢-١٣؛ المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ص ٧٤-٧٧؛ انظر: العباديّ، في التاريخ العباسي، ص ٢٢٥.

(*) ميمون القداح: عاش في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، كان مولى بني مخزوم ومن أهل مكة، وهو تلميذ للإمام محمد الباقر خلال النصف الثاني من القرن الثاني الهجري إذ كان راوية لجعفر الصادق، والمحضر الذي أصدره العباسيون سنة ٤٠٣هـ/ ١٠١١م بالطعن في نسب الفاطميين ووقع عليه الشريف المرتضى لم يرد فيه ذكر لميمون ولابنه عبدالله، وهو طبيب عيون من الأهواز والقداح من القداحة أي تطبيب العيون. انظر: ابن النديم، محمد بن إسحاق، الفهرست، تح جمال الدين الشيال، مؤسسة رضا تجدد، طهران، إيران، ١٩٧١م، ص ٢٣٨-٢٣٩؛ المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ج١، ص ٢٢-٢٩، الخطط، ج١، ص ٢٤١؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٦، ص ٢٣-٢٥.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص ٢٠٢؛ عماد الدين إدريس، عيون الأخبار، ج٤، ص ٣٥١ - ٤٠٤؛ انظر: العباديّ، في التاريخ العباسي، ص٢٢٥.

وكان الإمام جعفر الصادق قد نصّ على أن يتولى الخلافة من بعده ولده الأكبر إسماعيل، ولكن قيل: أن إسماعيل قد توفي في حياة أبيه، وبذلك انتقلت الإمامة إلى ابنه محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق، لأن الإمامة حسب المفهوم الشيعيّ لا تكون إلا في الأعقاب وذلك تأويلاً للآية القرآنية الكريمة: (وجعلها كلمة باقية في عَقِبه)[1].

ولكن أغلب مؤرخي الإسماعيلية يقولون: أن قصة وفاة إسماعيل بن جعفر في حياة أبيه كان يراد منها التمويه والتغطية على الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، الذي كان يطارد أئمة الشيعة في كل مكان، فخاف جعفر الصادق على ابنه وخليفته إسماعيل، فادعى موته، وأتى بشهود كتبوا محضراً إلى الخليفة العباسي الذي أظهر سروره لوفاة إسماعيل الذي كان إليه أمر إمامة الشيعة، ثم شوهد إسماعيل بعد ذلك في البصرة، وفي بلاد فارس[2].

وبعد أن تسلم محمد بن إسماعيل الإمامة بعد أبيه اشتد عليه الضغط العباسي، فخرج من المدينة إلى الكوفة مصحوباً بأخيه علي، وظل فيها مستتراً عن العيون حتى ولد له ولدٌ أسماه عبدالله، ومن الكوفة سار إلى الري، واستتر عند أحد دعاته السريين المسمى إسحاق بن عباس الذي كان حاكماً للري من قبل الرشيد، وكان محمد بن إسماعيل قد توفي سنة ١٦٩ هـ[3].

واستلم الإمامة من بعده ولده عبدالله، وازداد في التستر والخفاء، وخرج سراً إلى منطقة هرمز وبلاد الديلم، وهناك تزوج امرأة من الأسرة العلوية وهي ابنة الأمير علي الهمذانيّ، فرزق منها طفلاً أسماه أحمد، ولقبه محمد التقي[4].

---

(١) ابن فهد، في نسب الخلفاء، ج٩، ص ١٠١ – ١٠٤، وانظر: سيد، أيمن فؤاد، الدولة الفاطمية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ١٩٩٢م، ص٣٠. وسيشار إليه فيما بعد: سيد، الدولة الفاطمية؛ غالب، مصطفى، تاريخ الدعوة الإسماعيلية، دار الأندلس، بيروت، ط٣، ١٩٧٩، ص٧. وسيشار إليه فيما بعد: غالب، تاريخ الدعوة.

(٢) غالب، تاريخ الدعوة، ص٧.

(٣) المرجع نفسه، ص ٨ – ٩.

(٤) غالب، تاريخ الدعوة، ص ٨ – ٩.

وعاش موسى الكاظم بعد ذلك حتى توفي مسموماً في بغداد سنة ١٨٣هـ/٧٩٩م، كما يقال بناءً على أوامر الخليفة هارون الرشيد[١].

والحركة الإسماعيلية كانت في بادئ الأمر تدل على إحدى الفرق الشيعيّة، ثم صارت تهدف إلى تكوين مجتمع إسماعيلي قوي عماد التقية والتخفي، ونظامه يقوم على الإخاء والمودة[٢].

كانت هناك فرقتان قد ساندت إمامة إسماعيل بن جعفر الصادق، وقد ظهرت هاتان الفرقتان عند وفاة إسماعيل، وافترقت عن بقية الإمامية فقط بعد وفاة جعفر الصادق سنة ١٤٨هـ/٧٦٥م[٣]:

- **الفرقة الأولى:** الواقفة، وهي تنكر وفاة إسماعيل في حياة أبيه، وتؤكد أنه الإمام الحقيقي بعد جعفر الصادق، وتعتقد أنه لم يمت، وأنه سيعود كمهدي، وأنه أعلن وفاة ولده إسماعيل تقيّة فحسب لحمايته، وكتم أمره، وقد سمّي النوبختيّ والقمّي هذه الفرقة بالإسماعيلية الخالصة[٤].
- **الفرقة الثانية:** تؤكد وفاة إسماعيل في حياة أبيه، وتعترف بإمامة محمد بن إسماعيل، وتعدّه صاحب الحق الشرعي في خلافة إسماعيل، وترى أن جعفر الصادق قد عينه في مكان أبيه بعد وفاته[٥].

---

(١) الذهبيّ،العبر في خبر، ص٢٨٧.

(٢) غالب، تاريخ الدعوة، ص٤.

(٣) النوبختيّ، أبو محمد الحسن بن موسى بن الحسن (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، فرق الشيعة، تح هيلمون ريتر، شامبول-تركيا، ١٩٣١م، ص٥٧-٥٨. وسيشار إليه فيما بعد: النوبختيّ، فرق الشيعة؛ القمّي، ابو القاسم سعد بن عبدالله الأشعري، (ت٣٥٠هـ/ ٩٦١م) المقالات والفرق، تح محمد مشكور، طهران-إيران، ١٩٦٣م، ص٨٠. وسيشار إليه فيما بعد: القمي، المقالات؛ وانظر: الشهرستانيّ، الملل والنحل، ج١، ص١٤٩؛ Daftary, f., Op.cit, P.٩٥ .

(٤) النوبختيّ، فرق الشيعة، ص٥٧-٥٨؛ القمّي، المقالات والفرق، ص٨٠؛ وانظر: Daftary,F., Op. cit, P٩٥.

(٥) النوبختيّ، فرق الشيعة، ص٥٨، ٦٢؛ القمّي، المقالات، ص٨٠-٨١.

وتبعاً لهؤلاء فإن الإمامة لا ينبغي لها أن تنتقل من أخ إلى أخيه بعد انتقالها من الحسن إلى الحسين، بل يجب أن تستمرّ في الأعقاب، وهذا هو سبب رفضهم لإدعاءات موسى الكاظم وبقية إخوة إسماعيل[١].

وحسب الرواية الإسماعيلية، فقد سبق عبيدالله المهديّ، مؤسس الخلافة الفاطمية في أفريقية سنة ٢٩٧هـ/٩٠٩م سلسلة من (الأئمة المستورين) من أبناء محمد بن إسماعيل، امتنعت المصادر الإسماعيلية عن ذكر أسمائهم[٢].

وكان الشيعة فرقاً، فمنهم من كان يذهب إلى أن الإمام من ولد جعفر الصادق هو إسماعيل ابنه، وهؤلاء يعرفون بالإسماعيلية من أجل أنهم يرون بأن الإمام من بعد جعفر ابنه إسماعيل، والإمام من بعد إسماعيل هو محمد المكتوم، وبعد المكتوم جعفر المصدق، وبعد جعفر المصدق محمد الحبيب[٣].

ويقول المقريزيّ: (وكان جعفر بن محمد الصادق يؤمل ظهوره ويصير له دولة وكان باليمن من أهل هذا المذهب كثيرون بعدن، وبأفريقيا، وكتامة، ونفرة)[٤].

ففي الرسالة التي بعث بها عبيدالله المهديّ، أنكر المهديّ اتصال نسبه إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، ويقرر أن جدّه الأعلى هو أخو إسماعيل الأكبر، ويدعى عبدالله وأن جعفر الصادق عيّن عبدالله وليس إسماعيل كوريث شرعي له[٥].

---

(١) النوبختيّ، فرق الشيعة، ص٦٢،٥٨؛ القمّي، المقالات، ص٨٠-٨١؛ عماد الدين، تاريخ الخلفاء ج٥، ص١٦٠-١٦١.
وسيشار إليه فيما بعد: عماد الدين إدريس، تاريخ الخلفاء؛ وانظر: Stern, S., Merodox, Ismailism at.
The time of Al-muizz, Bosas XVII, ١٩٥٥, P. ٢٦; Deftary, f., op. cit, P٩٦.

(٢) عماد الدين إدريس، عيون الأخبار، ج٤، ص٣٥١-٤٠٤.

(٣) المقريزيّ، الخطط، ج١، ص٣٤٩.

(٤) المقريزيّ، الخطط، ج١، ص ٣٤٩.

(٥) ابن فهد، في نسب الخلفاء، ص٨.

ويذكر ابن حزم أن بني عبيد ولاة مصر قد دعوا في أول أمرهم إلى عبدالله بن جعفر بن محمد، فلمّا صح أن عندهم هذا لم يعقب، إلا ابنة واحدة اسمها (فاطمة) تركوه، وانتموا إلى إسماعيل بن جعفر بن محمد[1].

أما مصعب الزبيري فيقول: أن عبدالله وإسماعيل ابني جعفر الصادق من زوجته فاطمة بنت الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وأن لعبدالله ولداً أو أولاداً لم يذكر أسماؤهم لأم ولد[2].

ويذهب النوبختي والقمّي إلى أن عبدالله لم يترك أولاداً بعد وفاته، ولكن القمّي يذكر في موضع آخر، أنّ عبدالله ولد له من أم ولد ذكر اسمه محمد، وأنه أرسله إلى جهة اليمن، وانتقل بعد وفاة والده إلى خراسان، وأنه هو إمام بعد أبيه وهو (القائم)[3]، وهذه الفرقة يوجد بعضها في العراق واليمن وأغلبها في خراسان، وتوجد فئة قليلة تعتقد أن الإمامة باقية في ذرية عبدالله حتى يوم القيامة، وأن عبدالله مات وخلف بعده ولداً، وأن الإمامة في ولده[4].

وفي (الفهرست) لابن النديم توجد الرواية المضادة للرواية الفاطمية، ومصدرها أبو عبدالله محمد بن علي ابن رازم الطائي الكوفي، وله مؤلف كتبه في مطلع القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، وذكر نصّه في الفهرست، وتقول رواية المقريزي في (اتعاظ الحنفا) بأن شخصاً غير علوي ويدعى عبدالله بن ميمون القداح هو المؤسس الحقيقي للحركة الإسماعيلية، وهو الجد الأعلى للخلفاء الفاطميين[5].

---

(١) ابن حزم، جمهرة، ص١٥٩؛ الزبيري، أبو عبدالله مصعب بن عبدالله، (ت٢٣٦هـ/ ٨٥٠م)، نسب قريش، نشرة ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٦م، ص٦٤. وسيشار إليه فيما بعد: الزبيري، نسب قريش.

(٢) الزبيري، نسب قريش، ص٦٣-٦٤.

(٣) النوبختيّ، فرق الشيعة، ص٦٥-٦٦؛ القمي، المقالات، ص٨٧-٨٨، ١٦٣-١٦٤.

(٤) النوبختيّ، فرق الشيعة، ص٦٥-٦٦؛ القمّي، المقالات، ص٨٧-٨٨، ١٦٣-١٦٤.

(٥) إبن النديم،الفهرست، ص٢٤٨؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٦، ص٢٣-٢٥.

وعند الرجوع إلى رسالة المهديّ التي أرسلها إلى اليمن نجد إجابة عن سبب اختيار ابن رازم لعبدالله بن ميمون القداح بالذات، إذ تذكر الرسالة أن جعفر الصادق أنجب أربعة أبناء وهم: عبدالله، وإسماعيل، وموسى، ومحمد، وصاحب الحق فيهم هو عبدالله بن جعفر[(١)].

ونستخلص من رسالة المهديّ إلى اليمن أموراً ثلاثة:

أولاً: التأكيد على أن عبدالله وليس إسماعيل هو الذي عينه جعفر الصادق ليكون وريثاً له.

ثانياً: أن المهديّ من آل البيت، وأنه ابن عم في الباطن للرجل الذي كان في زمنه وريثاً للإمامة.

ثالثاً: إن المهديّ ربما كان إماماً مستودعاً للقائم أبي القاسم محمد، الذي يبدأ به دور الظهور الحقيقي، لأنه هو محمد بن عبدالله الذي أشارت إليه الدعوة وزالت به التقية.

وعندما أراد أبناء جعفر (إحياء دعوة الحق) خافوا من نفاق المنافقين، وحفظوا شخصياتهم بعيداً عن استبداد العباسيين، فتسمّوا بغير أسمائهم، وأطلقوا على أنفسهم بأسماء ليست أسماءهم مثل مبارك، وميمون، من باب الفأل الحسن للأسماء[(٢)].

وهذه إشارة واضحة إلى مبدأ (التقية) عند الشيعة[(٣)]، إذ استخدموها كأحد أعمدة مذهبهم الشيعيّ.

وأشار المهديّ إلى عبدالله الذي تسمّى بإسماعيل وأدى إلى أن المهديّ سيكون محمد بن إسماعيل، فكان كلما قام منهم إمام تسمى بمحمد إلى أن يظهر صاحب الظهور محمد بن إسماعيل وتزول التقية[(٤)].

---

(١) ابن فهد، في نسب الخلفاء، ص٩.

(٢) المصدر نفسه، ص١٠.

(٣) روي عن جعفر الصادق قوله: (التقية ديني، دين آبائي، ومن لا تقية له لا دين له) انظر: ابن فهد، في نسب الخلفاء، ص٩.

(٤) وتبعاً لمبدأ التقية في كتم أسماء الأئمة يكون تسلسل الأئمة المستورين كما في رسالة المهديّ عبدالله كما يلي: الإمام عبدالله بن جعفر الصادق، ثم عبدالله بن عبدالله، ثم أحمد بن عبدالله ثم محمد بن أحمد، وقد تسمّى كل واحد من هؤلاء بمحمد باستثناء عبدالله بن جعفر فقد تسمّى بإسماعيل. انظر: ابن فهد، في نسب الخلفاء، ص١٠.

وتذكر الرواية أن المهديّ أمر أصحابه أن يكونوا على في أهبة السفر، والخروج معه (وأظهر لهم أنه يريد اليمن)[1].

وصارت اليمن معقل الدعوة العلوية منذ أيام الإمام الصادق، وخلافة أبي جعفر المنصور، وكان ابن حوشب (أبو القاسم رستم بن الحسين بن فرج) هو كبير الدعاة في اليمن[2]، وقد رحب ابن حوشب بأبي عبيدالله المهديّ في أرض كتامة في أفريقية والدعوة فيها[3].

وكان أبو عبدالله الشيعيّ قد خرج إلى مكة، وقصد كتامة فجلس قريباً منهم إذ كانوا يتحدثون في فضائل آل البيت، فحدثهم حول ذلك الأمر، وقاموا، وسألوه أن يأذن لهم بزيارته، وقد صحبهم ورحلوا إلى مصر، وعندما أراد مفارقتهم سألوه أن يأتي إلى أرض قتامة يبشر بدعوته سنة ٢٨٨هـ، ونزل في موقع فج الأخيار، وسمعت بدعوته القبائل[4].

وعلم بأمره إبراهيم بن الأغلب، وحدثت مواجهات بين أنصار أبي عبدالله الشيعيّ وإبراهيم بن الأغلب وانتصر عليهم في منطقة ميلة سنة ٢٨٩هـ/٩٠٢م، وقد هزم جيوشهم وسلب أموالهم وقتل الكثير منهم[5].

إن الأسباب التي جعلت أبا عبدالله الشيعيّ يبشر بدعوته وسط قبيلة كتامة في أفريقية هو النصر الذي حققه على الأغالبة، والذي يعدّ من الأسباب المباشرة التي جعلت عبيدالله الشيعيّ يتوجه إلى أفريقية[6].

---

(١) القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص١٤٩؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص٣٢؛ المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ج١، ص٥٢؛ وانظر: حسين، محمد كامل، طائفة الإسماعيلية (تاريخها، نظمها، عقائدها)، مكتبة النهضة المصري: القاهرة، ١٩٥٩م، ص١٥؛ زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص٥٤٦.

(٢) المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ج١، ص٤٠، ٥٩، ٦٠.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١٢٧. أحداث سنة ٢٩٦هـ؛ المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ج١، ص٥٥.

(٤) المقريزيّ، المواعظ، م٢، ص١٧٧.

(٥) المقريزيّ، المواعظ، م٢، ص١٧٧؛ وانظر: الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص٧٠٦.

(٦) ابن الأثير، الكامل، م٦، ص١٢٧؛ المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ج١، ص٥٥؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص٥٤٧؛ حسن، أحمد، موسوعة تاريخ مصر، دار الشعب: القاهرة، ١٩٧٠م، ج٢، ص٥٠٢؛ اليماني، محمد، سيرة الحاجب جعفر بن علي وخروج المهديّ من سلمية إلى سجلماسة وخروجه منها إلى رقادة، تح و.إيفانوف، مجلة كلية الآداب، الجامعة المصرية، القاهرة، ١٩٣٦م، ص١٠٨؛ القاضي، وداد، الدعوة العبيدية الإسماعيلية في افريقيا والمغرب (نموذج للحركة الثورية المسلحة)، مجلة تاريخ العرب والعالم، السنة الأولى، ع٣، يناير (كانون الثاني) ١٩٧٩، ص١٤.

ونجح المهديّ في نهاية الأمر من الوصول إلى سجلماسة، عن طريق مناطق قسطيلية وتوزر وايكجان، وفي سجلماسة ألقى القبض عليه أمير المدينة وسجنه، وفي الوقت الذي كان أبو عبدالله الشيعيّ في طريقه إلى تقويض السلطة الأغلبية، ونجح في السيطرة على مدينة رقادة – عاصمة الأغالبة، وطرد زيادة الله آخر أمرائهم في رجب سنة ٢٩٦هـ/٩٠٩م[١].

وذهب أبو عبدالله الشيعيّ إلى سجلماسة، وأطلق سراح المهديّ من السجن واصطحبه ليدخل منتصراً إلى رقادة في ٢١- ربيع الثاني سنة ٢٩٧هـ/٨١٠م، وأعلن قيام الخلافة الفاطمية وتلقب بـ (المهديّ لدين الله) وبـ (أمير المؤمنين)[٢].

ومثلما تخلص العباسيون من أبي مسلم الخرساني مؤسس دولتهم تخلص الإمام المهديّ من داعيته أبي عبدالله الشيعيّ، الذي مهّد له الطريق في أفريقية إذ قتله، وكذلك أخوه أبي العباس الداعي[٣]، ذلك لأن أبا العباس الداعي شك في شخصية المهديّ نفسه أو لأن المهديّ أراد التخلص من سلطته ونفوذه وسط قبيلة كتامه[٤].

وكان الضعف قد بدأ يصيب الدولة العباسية السنية بعد أن تفككت إلى دول صغيرة، خاصة ابتداءً من عصر الخليفة الراضي (٣٢٢-٣٣٢هـ/٩٣٤-٩٤٠م)، إذ انفصلت الأقاليم الشرقية عن الخلافة، بينما أخذت بقية الممتلكات العباسية تستقل تدريجياً عن سيطرة الخلافة[٥].

---

(١) ابن الأثير، الكامل، م٦، ص١٢٨؛ المقريزيّ، الخطط، م٢، ص١٨٠؛ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص١٥١-١٥٤؛ عماد الدين إدريس، تاريخ الخلفاء، ص١٣١-١٥٤؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص٥٤٦؛ حسن، موسوعة تاريخ المغرب، ص٥٠٢؛ اليماني، سيرة الحاجب، ص١١٦-١١٩.

(٢) القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص١٥١-١٥٤؛ عماد الدين إدريس، تاريخ الخلفاء، ص١٣١-١٥٤؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص٥٤٦؛ حسين، موسوعة تاريخ المغرب، ص٥٠٢؛ اليماني، سيرة الحاجب، ص١١٦-١١٩.

(٣) القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص٢٦٦-٢٦٧؛ عمادالدين إدريس، تاريخ الخلفاء، ص١٦٢-١٦٨؛ المقريزيّ، اتعاظ ج١، ص٦٧-٦٨؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٦، ص٣٣-٣٤.

(٤) عماد الدين إدريس، تاريخ الخلفاء، ص١٦٣-١٧٠.

(٥) مجهول، العيون والحدائق، ج٤، ص٢٩٨-٢٩٩.

وقد رافق ضعف الدولة العباسية المدّ الشيعيّ في القرن الرابع الهجريّ الذي أفقد الخلافة العباسية سيطرتها، وسطوتها[1].

وكان الفاطميون يملكون القوة الفتية المتنامية، والتي ترغب في مدّ نفوذها، وسيطرتها مقابل الدولة العباسية المنهكة المتداعية على كل الأراضي[2].

وكان عبيدالله المهديّ (٢٩٧-٣٢٢هـ) قبل مقتل أبي عبدالله الشيعيّ إمام الفاطميين، وتلقب بأمير المؤمنين، يقول ابن خلدون: (فلما استوثق لهم الأمر دعوه من بعدها بأمير المؤمنين، وهو أول لقب تلقب بهذا الإسم من الأمراء في المغرب، وكتب عبيدالله المهديّ إلى جميع البلاد فأخذ البيعة)[3]، وأمر أن يذكر اسمه في الخطبة في رقادة والقيروان، وأن يكون لقبه (خليفة الله) و (المهديّ بالله أمير المؤمنين)[4].

وبهذا فإن دولة الفاطميين قد قامت في المغرب بشكل رسمي بعد خمسة عشر عاماً قضاها أبو عبدالله الشيعيّ في أرض كتامة، وهو يدعو للإمام المنتظر، وبهذا فإنه قد قضى على دولة الأغالبة في القيروان، والرستميين في تاهرت، والمدراريين في سجلماسه، قبل القضاء على دولة الأدارسة في فاس[5].

---

(١) نجح الزيديون في إقامة دولة لهم في طبرستان سنة ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م، وفي اليمن سنة ٢٨٤/ ٧٩٧. واستولى القرامطة على جنوب العراق، والبحرين، والإحساء. ونجح البويهيون الشيعة في فرض سيطرتهم على بغداد بعد ثلاثين سنة من انتصار العباسيين. انظر: ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي البغداديّ (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠١م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دائرة المعارف-الهند، ١٣٥٧-١٣٥٩هـ ج٧، ص٣٨،٢٣،١٩،١٥،٤٧. وسيشار إليه فيما بعد: ابن الجوزي، المنتظم.

(٢) المقريزيّ، الخطط، ج٢، ص١٨١،١٨٠؛ وانظر: Shaban M.A., Islamic History A.D ٧٥٠-١٠٥٥ (A.H ١٣٢-٤٤٨), Anew Inter pretation, Cambridge united kingdome, ١٩٧٦. P.١٢١.

(٣) القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص٢٤٨-٢٤٩؛ ابن خلدون، المقدمة، ص١٩٨، وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص١٥٩٨؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص٣٠.

(٤) القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص٢٤٩؛ ابن خلدون، المقدمة، ص١٩٨؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص١٩٨؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص٣٠.

(٥) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٥٢-٥٣؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٥؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص٤٧٧-٤٧٨؛ الدشراوي، فرحات، الخلافة الفاطمية بالمغرب، ص٢٩٦-٣٦٥هـ/ ٩٠٩-٩٧٥م) ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٤م، ص٢٠٢. وسيشار إليه فيما بعد: الدشراوي الخلافة الفاطمية.

وأراد المهديّ أن يجد قاعدة لدولته، ولذلك أنشأ المهديّة التي جعلها قاعدة لملكه[1]، وكان يهدف من وراء إنشاء المهديّة الجديدة، البعد عن (رقادة والقيروان) مركز المقاومة السنية[2] والدعوة لمذهبه وهذه من ضمن الأسباب التي كانت وراء إنشاء الدولة الفاطمية، وقد أسس هذه المدينة على طرف الساحل الشرقي لأفريقية، وقد انتقل إليها سنة ٣٠٨هـ/٩٣٠م وقد بنى لها مسجداً جامعاً وقصراً كبيراً[3]. وقال المهديّ بعد بنائها: (الآن أمِنْت على الفاطميات)[4].

كل ما تقدم ذكره يدعونا لدراسة الأسباب التي أنشئت من أجلها الدولة الفاطمية، والتي كان منها أيضاً: إزاحة المغتصبين العباسيين، كما يقول المهديّ، وفي الوقت نفسه تقويض النظام الذي شيّده أعداؤه الألداء من الأمويين في الأندلس[5]، ومواصلة الجهاد في صقلية ضد البيزنطيين[6].

وأراد المهديّ توسيع مملكته شرقاً، فأرسل قائده حباسه بن يوسف بالجيوش على المشرق، فدخل مدينة سرت بالأمان، وهرب من كان فيها من جند بني العباس، حتى تم له فتح أكثر برقة[7].

---

(١) البكريّ، المغرب، ص٢٩-٣٠؛ مجهول، الاستبصار، ص١١٧-١١٨؛ ابن خلدون، المقدمة، ص١٩٨؛ المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ج١، ص٧٠-٧١؛ وانظر: حسين، موسوعة تاريخ، ج٢، ص١٥٣؛ زبيب، نجيب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، ط١، ١٩٩٥م، ج٢، ص١٧٦؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص٣٠.

(٢) البكريّ، المغرب، ص٢٩-٣٠؛ مجهول، الاستبصار، ص١١٧-١١٨؛ المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ج١، ص٧٠-٧١؛ حسين، موسوعة تاريخ، ج٢، ص١٥٣؛ زبيب، الموسوعة العامة، ص١٧٦؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص٣٠.

(٣) البكريّ، المغرب، ص٢٩-٣٠؛ مجهول، الاستبصار، ص١١٨،١١٧؛ المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ج١، ص٧٠-٧١؛ وانظر: حسن، موسوعة تاريخ، ج٢، ص١٥٣؛ زبيب، الموسوعة العامة، ص١٧٦؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص٣٠.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١٥١؛ أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل ابن الملك الأفضل نور الدين علي جمال الدين محمود ابن محمد بن عمر،المختصر في أخبار البشر، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ج١، ص٦٨. وسيشار إليه فيما بعد: أبو الفداء، المختصر؛ وانظر كذلك: مؤنس، تاريخ المغرب، م١، ص٤٨٢؛ العباديّ، في التاريخ العباسي، ص٢٣٢.

(٥) ابن عذاري، البيان، ج١، ص١٧٠-١٧١؛عماد الدين إدريس، عيون الأخبار، ص١٩٢؛ وانظر: الدشراوي، الخلافة الفاطمية، ص٢٠٣-٢٠٤؛ سيد، الدولة الفاطمية، ص٥٧.

(٦) ابن عذاري، البيان، ج١، ص١٧٠-١٧١؛ عماد الدين إدريس، عيون الأخبار، ص١٩٢؛ ؛ وانظر: الدشراوي، الخلافة الفاطمية، ص٢٠٣-٢٠٤؛ سير الدولة الفاطمية، ص٥٧.

(٧) الطبري، تاريخ، ج١، ص١٤٨-١٥٠؛ ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٤، ١١٣،٨٩؛القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص٢٢٦؛ ابن ظافر، جمال الدين أبو الحسن علي بن أبي منصور ظافر الأسدي، أخبار الدولة المنقطعة، تحليل وتعقيب أندريه فريه، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٧٢م، ص١٤-١٥. وسيشار إليه فيما بعد: ابن ظافر، أخبار الدولة.

وقد أراد أيضاً، فتح مصر، فأوفد ابنه أبو القاسم من رقادة غازياً إلى مصر سنة ٣٠١هـ/٩١٣م في حشود عظيمة من البربر بقيادة حباسة، استولى على الاسكندرية ولكن جيوش المقتدر العباسي هزمته بقيادة مؤنس الخادم، فعاد إلى المغرب[١].

وكان الفاطميون يسعون من وراء السيطرة على مصر، والاسكندرية، وإخراج النفوذ المصري من برقة؛ للسيطرة على التجارة بين الشمال والجنوب عبر الصحراء الليبية المصرية المارة إلى الموانئ الشمالية[٢].

وقد أعاد عبيد الله المهديّ الكرة على مصر، وأرسل جيشاً هزمه الجيش العباسي ثانية سنة ٣٠٧هـ/٩١٩م، ثم أرسل حملة ثالثة فأخفقت، ومات عبيدالله المهديّ في منتصف شهر ربيع الأول عام ٣٢٢هـ[٣].

وبعد محمد المهديّ (٣٢٢-٣٣٤هـ/٩٣٤-٩٤٦م) جاء ابنه القائم بأمر الله، وكان يكره أهل السنة، الأمر الذي استفز المغاربة. وكانت أشد الثورات عليه ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد المعروف بـ (صاحب الحمار)، والذي اكتسب تأييد أهل السنة، وقضى على ثورته، وقتله المنصور بالله أخو القائم في قلعة قتامة سنة ٣٣٦هـ/٩٤٨م[٤].

---

(١) ابن الأثير، الكامل، م٦، ص١٤٧؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص٢٠٨؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥، ص١٩-٢٠؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص١٧٠-١٧٢، ١٨١-١٨٢، ٣٥١؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٦، ص٣٥-٤٠؛ المقريزيّ، الخطط، م٢، ص١٨١؛ وانظر: شعبان، محمد عبد المعي، الدولة العباسية (الفاطميون) الدار الأهلية للنشر والتوزيع، عمان (د.ت)، ص٢٢٩، وسيشار إليه فيما بعد: شعبان، الدولة العباسية. حسين، موسوعة، تاريخ مصر، ج٢، ص٥٠٢-٥٠٣.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١٤٧.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١٤٩-١٥٠ ابن الابار، الحلة السيراء، ص٢٨١؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص١٨٨-١٩٤؛ المقريزيّ، الخطط، ج١، ص١٧٤، ج٢، ص١٢٧؛ وانظر: شعبان، الدولة الفاطمية، ص٢٢٩.

(٤) القاضي النعمان، المجالس، تح الحبيب الفقي، إبراهيم شبوح، محمد اليعلاوي، منشورات الجامعة التونسية، تونس، ١٩٧٨م، ص٧٢،١٥٥، ٧٣، ١١٤، ٢١٤، ٢١٦، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٤٥، ٣٣٦، ٤٩٢، ٥٤٢، ٥٥٥؛ ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٣١٠-٣١١؛ عماد الدين إدريس، عيون الأخبار، ج٥، ص١٧٢-٣٠٦، تاريخ الخلفا، ص٣٤٧-٤١٧؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص٢٣٥؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص٢٨٥،٢٢٠،٢١٦؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٤٠-٤٥؛ المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ج١، ص٧٥-٨٦.

وخلف ابو الظاهر إسماعيل الملقب (المنصور ٣٣٤-٣٤١هـ/٩٤٥-٩٥١م) أباه في الخلافة، وقصُرَ همُّه على محاربة أبي يزيد مخلد، وقد أخفى موت والده حتى لا يؤثر ذلك على حماسة جيوشه، التي كانت مشغولة بثورة أبي يزيد الخارجي[1].

وقد أمر المنصور ببناء مدينة له سنة ٣٣٧هـ، واختارصبرة، وسماها بالمنصورة، وهي على مقربة من القيروان، واتخذها حاضرة لدولته[2].

وبعد المنصور تولى الخلافة أبو معد المعز لدين الله (٣٤١-٣٦٥هـ)، ولم يعلن المعز وفاة والده المنصور قبل السابع من ذي الحجة من سنة ٣٤١هـ، حين أذن للناس فدخلوا عليه، وسلّموا عليه بالخلافة، وكان له من العمر أربع وعشرون سنة[3].

وازدادت الاضطرابات في المغرب وخصوصاً عندما التفّ حول أبي يزيد مخلد سنة ٣٢٣هـ/٩٤٤م، عدد كبير من أتباعه فهدد (المهديّة)، زيري بن مناد زعيم قبيلة صنهاجة البربرية، والقضاء عليه[4].

ومن ضمن المصاعب التي واجهت الفاطميين في تركيز دولتهم في المغرب عداء الأمويين لهم، والعمل على مساعدة الثوار ضد الدولة الفاطمية، وحماية الثوار عند

---

(١) أبو يزيد مخلد بن كيداد من قبيلة زناته البربرية، نشأ في توزر (Tozeur) في جنوب تونس، وخالف الخوارج النكاريه، وهم من الأباضية ثم رحل إلى مدينة تاهرت عاصمة الرستميين، فاعتنق مذهبهم ودخل في زمرتهم. وابتدأت دعوته للمذهب الخارجي سنة ٣٣٦هـ وظل يدعو الناس ستة عشر عاماً حت كثر أتباعه وقوي أمره فجاهر الدولة الفاطمية بالعداء سنة ٣٣٢هـ وتسمى شيخ المؤمنين، وقد سمّي بصاحب الحمار لأنه كان يركب حماراً رمادي اللون وبجانبه أولاده الأربعة وزوجه كانت من أشد المخلصين لدعوته. وكان مشهوراً بتواضعه وزهده. انظر: القاضي النعمان، المجالس، ص٥٥، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٢١٤، ٢١٦، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٤٥، ٣٣٦، ابن الأثير الكامل، ج٨، ص٢٠-٢١، ٤٢٢، ٤٤١؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص٢٢٧،٢٢٠،٢١٦.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٣٠٨، ٣١٧؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص١٠٢؛ المقريزيّ، الخطط، ج١، ص٣٥١؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص٣٨٧؛ وانظر: كحيلة، المغرب، ص٨١؛ الروضان، موسوعة تاريخ المغرب، ج٢، ص٥٤.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٣٤١؛ المقريزيّ، الخطط، ج١، ص٣٥١.

(٤) المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ج١، ص٦٨-٨٧، الخطط، م٢، ص١٧٩-١٨٠؛ وانظر: حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد المغرب منشورات مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٤م، ص ٨٧-٩٠.

اللجوء للأندلس عندما تضطهدهم الحرب، لذلك، كما كان الأمويون على استعداد لغزو طنجة وسبتة والاستيلاء عليهما، ورد الفاطميين إذا ما فكّروا بغزو الأندلس[1].

فكر الفاطميون منذ أيام دولتهم في المغرب في غزو الأندلس غرباً، كما فكروا في غزو مصر شرقاً، ومهدوا لذلك بالدعاية الشيعيّة من جهة، وبث العيون من جهة أخرى، لمعرفة أحوال تلك البلاد، ومواطن الضعف والقوة فيها[2]، ورأى الفاطميون أن احتلالهم للأندلس سوف يجعل المغرب الإسلامي كله خاضعاً لهم، فقسم شرقي تابع للخلافة العباسية السنية، وقسم غربي تابع للخلافة الفاطمية الشيعيّة، وتبدأ أطماع الفاطميين في الأندلس منذ أيام أميرهم عبيد الله المهديّ، لذلك فقد أرسلوا العيون إلى الأندلس، ومن ضمنهم أبو اليسر الرياضي (ت ٢٩٨هـ)، وأبو جعفر بن هارون البغداديّ (عاش في عهد المهديّ والقائم) والرحالة ابن حوقل النصيبي (ت ٣٦٧ هـ)، والذي يسميه ياقوت الحمويّ بالتاجر الموصلي[3].

وفي عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي الذي عمل على إعادة فرض النفوذ الفاطمي على المغرب الأقصى، فأرسل قائده ومولاه جوهراً الصقلي على رأس حملة قوية سنة ٣٤٧هـ، ونجح جوهر في تحقيق رغبة المعز لدين الله، وأخضع القبائل في جبال أطلس، ولكنه لم يتمكن من الاستيلاء على القواعد المطلة على المضيق، فقد حرص الأمويون في الأندلس على التمسك بها لأهميتها الاستراتيجية ضد أي هجوم يقوم به الفاطميون من الجنوب[4].

فكّر المعز لدين الله في امتلاك مصر، لنشر الدعوة الفاطمية، وشرع في إعداد جيوشه لفتح مصر، ذلك لأهميتها الجغرافية، والسياسية، والتجارية، وأن ولاة هذه

---

(١) المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ج١، ص٧٥-٩٠.

(٢) العباديّ، في التاريخ العباسي، ص ٢٣٥.

(٣) ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص ٣٤٨؛ العباديّ، في التاريخ العباسي، ص ٢٣٥.

(٤) العباديّ، في التاريخ العباسي، ص ٢٣٥.

البلاد كانت إليهم ولاية الشام والحجاز فكان امتلاك مصر هو امتلاكاً لهذين البلدين، وبخاصة بعد أن أحسن كافور الإخشيدي استقبال الدعاة الفاطميين الذين وفدوا عليه من قبل المعز لدين الله[1].

وساءت أحوال مصر بعد وفاة كافور الإخشيدي سنة ٣٥٧هـ/٩٦٩م إذ انتشرت الفوضى والفتن واضطربت الأسعار، وهلك الضعفاء من الناس[2]. ولهذا فإن جماعة من الإخشيدية ووجوه البلد قد كتبوا إلى المعز لدين الله يطلبون إليه استلام مصر، وضمنوا له المساعدة لامتلاك مصر بدون قتال[3].

وبذلك فإن الفرصة تكون قد تهيأت لنجاح الغزو الفاطمي لمصر على يد قائد المعز لدين الله جوهر الصقلي سنة ٣٥٨هـ/٩٦٩م[4].

وبعد أن اكتملت خطة غزو مصر، سار جوهر الصقلي نحو مصر في ربيع الأول سنة ٣٥٨هـ/٩٦٩م، إذ مرّ على برقة، ثم واصل سيره نحو الإسكندرية، ودخلها بلا قتال، وفتحت له ابوابها، وكان عدد الجيش الذي توجه إلى مصر نحو مائة ألف مقاتل[5].

وانتقل المعز من المنصورية سنة ٣٦١هـ/٩٧٢م، بعد أن استخلف بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي على أفريقية، إذ نقل رفات أهله إلى مصر[6].

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج٤، ص٦؛ المقريزيّ، الخطط، ج١، ص١٨٠-١٨١؛ وانظر: العباديّ، في التاريخ العباسي، ص ٣٤٨ وما بعدها.

(٢) الانطاكي، تاريخ يحيى، (ت٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م)، تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي، باريس-فرنسا، ١٩٢٤م، ص١٤. وسيشار إليه فيما بعد: الأنطاكي، تاريخ يحيى؛ المقريزيّ، إغاثة الأمة بكشف الغمة، دار الهلال، القاهرة، ١٩٩٠م، ص٤٠-٤١.

(٣) الانطاكي، تاريخ يحيى، ص ١١٤؛ وانظر: كاشف، سيدة إسماعيل، مصر في عهد الإخشيديين، دار النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م، ص٣٦٥.

(٤) المقريزيّ، المواعظ، ج١، ص١٨٤-١٨٥ ،الخطط، ج١، ص٣٧٧-٣٧٨؛ وانظر: كحيلة، المغرب، ص٨٣؛ حسن، حسن إبراهيم، وطه أحمد شرف، المعز لدين الله، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٣م، ص٣٤؛ وانظر: العباديّ، في التاريخ العباسي، ص ٣٤٨ وما بعدها.

(٥) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص٣٧٥-٣٧٦؛ المقريزيّ، الخطط، ج١، ص١٨٢-١٨٣؛ السيوطي، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ط١، ١٩٦٨، ج١، ص٥٩٩؛ وانظر: كحيلة، المغرب، ص٨٣.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٤٥-٤٦ ج٨، ص٦٢١؛ المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ج١، ص١٤٤؛ وانظر: مشرفة، عطية، نظام الحكم في مصر في عهد الفاطميين، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٢، (د.ت)، ص٤٨.

ودخل المعز القاهرة يوم الثلاثاء الخامس من رمضان سنة ٣٦٢هـ/ ١٣ حزيران لعام٩٧٣م. وبذلك أصبحت القاهرة مركز الدعوة والخلافة الفاطمية بدل (المنصورية) في المغرب، وتحولت البلاد المصرية من مركز إمارة إلى مركز خلافة[١]، وأصبح المعز أول الخلفاء الفاطميين ببلاد مصر، حيث مارس سلطاته عليها وقام بعزل جوهر الصقلي عن دواوينها وجباية أموالها[٢].

وقام المعز بطرد القرامطة[*] من مصر[٣]، وكان قد توفي في ربيع الآخر سنة ٣٦٥هـ/١٩ كانون أول ٩٧٥م[٤].

إن انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر أفقد الفاطميين أفريقية في عهد المعز بن باديس سنة ٤٤١هـ/١٠٤٩م، وذلك لأن عمال الفاطميين على المغرب من صنهاجة لم يكونوا

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٦٧؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥، ص٢٢٧-٢٢٨؛ المقريزيّ، الخطط، ج١، ص١٨٨-١٨٩؛ اتعاظ الحنفا، ج١، ص١٢٤-١٣٩؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص٦٦-٧٢؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص١١؛ وانظر: حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، ص١٥٠.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص٣٨٠، ج٥، ص١٢٨؛ المقريزيّ، الخطط، ج١، ص١٨٨-١٨٩، اتعاظ الحنفا، ج١، ص١٣٥-١٤٠؛ وانظر: حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، ص١٥١.

(*) القرامطة (٢٧٨هـ/ ٨٩١/ -٨٩٢م): وهي حركة شيعية إسماعيلية الأصل اتهمت بالإلحاد والحلول والكفر، في السنة التي تأسست فيها الدولة الفاطمية في أفريقية ظهر القرامطة الذين غشوا جزيرة العرب وسوريا والعراق ونشروا فيها الرعب وجلبوا على الأمة الإسلامية الكوارث والخراب، وكان أول ظهورهم في سواد الكوفة ثم انتشروا في البحرين معقل أصحاب المبادئ الثورية، وقد كانوا بزعامة سعد الجنابي حيث قوي أمرهم، واستطاعوا سنة ٢٨٧هـ غزو منطقة (كلدة)، فأرسل إليهم الخليفة العباسي، المعتضد بالله (بويع سنة ٢٧٨هـ/ ٨٩٢) جيشاً قوياً هزمهم شرّ هزيمة. وبعد هذه المعركة بسنتين بلغوا الشام وأعملوا فيها الخراب والنهب. وفي سنة ٣٠١هـ/ ٦٠٣-٩٠٤م اغتيل أبو سعيد الجنابي فتولى الزعامة من بعده ابنه أبو طاهر الذي استولى على البصرة وعمل في البلاد التي فتحها السلاح والنار وظل هو وأتباعه يرتكبون أروع ضروب الفتك ويلحقون الهزائم بالجيش العباسي، حتى بلغت بهم الجرأة فجاة سنة ٣١٧هـ في حكم الخليفة العباسي المقتدر بالله (ولي الحكم ١٢ ذو القعدة ٢٩٥هـ/ ٩٠٧م) على مكة في أيام الحج دون أن يرعوا حرمة البيت الحرام، وقتلوا الحجيج، وقلعوا الحجر الأسود وحملوه معهم، وقد انتهى الأمر بالقضاء على القرامطة بعد خمسة عشر سنة. ومما لا شك فيه، أن السر في الصراع العنيف بين القرامطة والفاطميين في بلاد الشام، يعود إلى أن القرامطة قد خسروا نفوذهم الاقتصادي والتجاري في بلاد الشام، أثر امتداد النفوذ الفاطمي، ورفض هؤلاء دفع الأتاوة والفروض المقررة للقرامطة على مدن بلاد الشام بموجب الاتفاقات منذ الإخشيديين. ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ص٥٨؛ ابن الأثير، ج٧، ص٢٠٢؛ عماد الدين إدريس، عيون الأخبار، ج٤، ص٣٥١-٤٠٤؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج٢، ص٥٣٧؛ زيود، محمد، التجارة بين مصر والشام في العصر الفاطمي، مجلة دراسات تاريخية، السنة ١٧، ع٥٧-٥٨؛ أيلول-كانون أول، ١٩٩٦م، جامعة دمشق-سوريا، ص١١٣.

(٣) المقريزيّ، الخطط، ج١، ص١٨٨-١٨٩، اتعاظ الحنفا، ص١٥٤-١٣٩؛ وانظر: حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، ص١٥١-١٥٢.

(٤) المقريزيّ، الخطط، ج١، ص١٨٨-١٨٩، اتعاظ الحنفا، ص١٢٤-١٣٩؛ وانظر: حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، ص١٥١-١٥٢.

عمالاً، بل بلغوا درجة الملوك، وكانت لهم فخامة وصيت، وكانت دولهم قوية، وزادت أيامهم عن مائتي سنة، ثم استقلوا بالأمر في أفريقية إذ أعلم بلكين[*] الذي كان تابعاً للفاطميين، يوسف بن زيري بن مناد شيخ صنهاجة استقلاله وأسس الدولة الزيرية عام ٣٦٣هـ/٩٧٣م[١].

وقد بقيت أفريقية ولاية تابعة للفاطميين في مصر حتى وليها المعز بن باديس، وهو الذي أزال خطبة المصريين عن أفريقية، إذ خطب للقائم العباسي، وخلع طاعة الفاطميين في مصر وجاءته الخلعة من بغداد، وكاشف المستنصر الفاطمي في مصر بخلع الطاعة عام ٣٤٥هـ وقتل من كان بأفريقية من شيعتهم[٢]. فسلط اليازوري وزير المستنصر قبائل العرب على أفريقية، وولي منهم تسعة ملوك في مدة ١٨١ سنة، ثم ملكها الفرنج اثنتي عشرة سنة[٣].

ومما سبق يمكن القول أن الدولة الإسماعيلية الفاطمية في المغرب قد مرت بمرحلتين، هما:

١. **مرحلة الإعداد للدعوة:**

إذ كانت اليمن مركزاً هاماً للدعوة الشيعيّة، وذلك لبعدها عن مركز الخلافة العباسية، ومناعتها، وصعوبة الطرق الموصلة إليها، ولقربها من الحجاز مجمع الحجاج[٤].

(*) بلكين (بلقين): من كبار رجال الدولة الفاطمية، وقبل أن يرحل المعز إلى مصر أعطاه اسماً عربياً وكناه أبو الفتوح، وصار أميراً لأفريقية وبلاد الزاب، وسائر أنحاء المغرب الأوسط وطرابلس بعد خمس سنوات، وقد قاد (بلكين) حملة كبيرة اجتاحت المغربين الأوسط والأقصى في سنة ٣٦٨هـ/ ٩٧٨م، واستطاع أن يدخل تاهرت وتلمسان وفاس وسجلماسة، بل ان خيله طرقت إلى قبيلة برغواطة في إقليم تامسنا وأمعنت القتل فيهم، لكنه أخفق في سبتة التي تحصن الأمويون الدفاع عنها، وقد توفي (بلكين) يوسف بن زيري في سنة ٣٧٣هـ/ ٩٨٤م وخلفه ولده المنصور. حول (بلكين) ويوسف بن زيدي، انظر: ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٤٧؛ ابن عذاري، البيان، ج١ ص١٢٨؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٠٥-٢٠٦؛ وانظر: كحيلة، المغرب، ص٨٥-٨٦؛ الموسوعة العامة، ص٢٠٠-٢٠١.

(١) النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٤، ص١٦٨؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٣١٧.

(٢) ياقوت، معجم البلدان، ص٣٢٨؛ وانظر: وفيقة، نشوء الدويلات، ص٣٢.

(٣) ياقوت، معجم البلدان، ص٣٢٨؛ وانظر: وفيقة، نشوء الدويلات، ص٣٢.

(٤) ابن خلدون، العبر، ج٤، ص ٦٥؛ وانظر: سالم، المغرب الإسلامي، ج١، ص ١٠٤؛ العباديّ، أحمد مختار، سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس، صحيفة معهد الدراسات، مدريد، إسبانيا، م ٥، ١٩٥٧م، ص ١٩٤.

وكان رستم بن الحسين بن فرج بن حوشب وهو من الكوفة، والذي عرف بمنصور اليمن يرسل الدعاة إلى اليمامة، وعمان، والبحرين، ومصر، والمغرب، وجاء اختيار المغرب لبعده عن الخلافة العباسية، وتذمر البربر من الحكم العباسي[1]. ولهذا فإن المغرب كان تربة خصبة لزرع الدعوة الشيعيّة.

وقد أنفذ جعفر الصادق إلى المغرب داعيين، هما: الحلواني، وأبا سفيان، وقال لهما: (بالمغرب أرض بور، فاذهبا واحرثاها حتى يجئ صاحب البذر)[2]. وقد انتشرت الدعوة الشيعيّة في بلدتي مراغا وجمار، التي نزلا بها ولما بلغ ابن حوشب نبأ وفاة هذين الداعيين عهد إلى أبي عبدالله الشيعيّ بالدعوة الإسماعيلية في بلاد المغرب، حيث خرج أبو عبيد الله الشيعيّ إلى مكة والتقى ببعض رؤساء قبيلة كتامه البربرية، منهم موسى بن حريث، وأبو القاسم الورث جومي، ومسعود بن ملاك الساكتي[3].

وقد واجه أبو عبيد الله الشيعيّ بعض الصعوبات في دعوته، إذ انقسم البربر، وانتهى الانقسام بفوز الفريق الذي يسانده، ودخلت قبائل كثيرة في دعوته وقال لهم: (أنا لا أدعوكم لنفسي، وإنما أدعوكم لطاعة الإمام المعصوم من أهل البيت)[4]، ودخلت الكثير من قبائل البربر في دعوة أبي عبيدالله الشيعيّ ككتامة وعجيسة وزوارة[5].

وقال أبو عبدالله الشيعيّ: (المهديّ يخرج في هذه الأيام ويملك الأرض، فيا طوبى لمن هاجر إلي، وأطاعني)[6]، وأخذ يهدد الناس بابن الأغلب، ويذكر كرامات المهديّ، وما يفتح الله له، ويعدهم بأنهم يملكون الأرض كلها.

---

(١) ابن خلدون، العبر، ج٤، ص ٦٥ وما بعدها؛ سالم، المغرب الإسلامي، ج١، ص ١٠٤.

(٢) المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ص ٥٧؛ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص ٢٩ وما بعدها؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص ٤٥ وما بعدها؛ وانظر: مكي، محمود علي، التشيع في الأندلس، صحيفة المعهد المصري، مدريد، إسبانيا، م ٢، ١٩٥٤م، ص ٩٨.

(٣) المقريزيّ، الخطط، ج٣، ص ١٢١؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص ١٦٦؛ مكي، التشيع، ص ٩٨.

(٤) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١٦٣،١٦٢؛ المقريزيّ، الخطط، م٢، ص١٧٧.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص ١٦٣،١٦٢؛ المقريزيّ، الخطط، م٢، ص١٧٧.

(٦) المقريزيّ، الخطط، م٢، ص١٧٩-١٨٠.

٢. **مرحلة الصدام المسلح:**

وتبدأ هذه المرحلة من عام ٢٨٩هـ وتنتهي بإسقاط الشيعة الإسماعيلية لدولتي الأغالبة، والرستيميين سنة ٢٩٦هـ، إذ زحف أبو عبيدالله الشيعيّ عام ٢٨٩هـ في مصادماته الحربية مع الأغالبة إلى منطقة طبنة، وأغار عليها فسير إليه أبو العباس بن إبراهيم بن أحمد الأغلبي ابنه أبا عبدالله (الأحول) لمحاربته[١]، ولكنه انهزم مرتين[٢].

وقد انتشرت جيوش أبي عبدالله الشيعيّ في البلاد، وحدثت في سنة ٢٩٢هـ موقعة كينونة، إذ أن زيادة الله الأغلبي الذي تولى الإمارة بعد مقتل أبيه وأخيه أبي العباس بن إبراهيم قد سير حملة بقيادة إبراهيم بن حبشي، وفي المقابل استنفر أبو عبدالله الشيعيّ قبائل كتامة، وحدثت معركة انتصر فيها الشيعيّ على الحبشي، وغنم غنائم كثيرة[٣].

وكتب الشيعيّ إلى عبدالله المهديّ بمنطقة سلمية من أرض حمص، يخبره بما فتح الله عليه، فتنكر المهديّ في زي تاجر، وقدم إلى مصر ثم ارتحل إلى القيروان، ثم على قسنطينة ثم إلى سجلماسة، وأكرمه أميرها اليسع بن مدرار[٤].

وتتابعت انتصارات أبي عبدالله الشيعيّ من كينونة إلى منطقة سطيف، إذ هدمها، واستولى عام ٢٩٣هـ على بلدتي بلزمة وطبنة، وفي سنة ٢٩٤هـ استولى على باغاية بالأمان، ثم افتتح قرطاجنة واستأمن أهل تيفاش، ثم سقطت تبسة، وتبعتها القصرين، وفي سنة ٢٩٥هـ استولى الشيعيّ على قسنطينة ثم سقطت الأريس سنة ٢٩٦هـ، وعلى إثر ذلك فرّ زيادة الله حليف الدولة العباسية إلى مصر، ودخل أبو عبدالله الشيعيّ مدينة رقادة وسقطت دولة الأغالبة بالاستيلاء على القيروان[٥].

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١٤٩، ١٥٠، ١٥١.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص ١٥٠، ١٥١.

(٣) ابن خلدون، العبر، ج١، ص ٧١؛ وانظر: العباديّ، في التاريخ العباسي، ص ٢٢٦.

(٤) ابن خلدون، العبر، ج١، ص ٧١ وما بعدها.

(٥) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١٥٠ وما بعدها؛ وانظر: حامدة،الوثائق السياسية ، ص ٢٥ – ٢٧.

وفي هذه الفترة اكتشف اليسع بن مدرار أمر أبي عبيد الله المهدي"[1]، فسجنه هو وابنه أبا القاسم، وعلم الشيعيّ بذلك، فسار إلى سجلماسة، وقد استخلف أخاه أبا العباس على افريقيا، وفي طريقه على سجلماسة مرّ على تاهرت عاصمة الرستميين، واستولى عليها، وقضى على الدولة الرستمية، وولى على تاهرت أبا حميد دواس ابن صولات اللهيصعي وإبراهيم بن محمد اليماني الهواري، ثم تابع الشيعيّ سيره إلى سجلماسة، وحاصرها ودخلها وأخرج المهديّ وابنه من السجن[2].

وأقام الشيعيّ والمهديّ أربعين يوماً، ثم رحلوا إلى القيروان بعد أن ولى الشيعيّ على سجلماسة إبراهيم بن غالب المزاتي وقد وصلا إليها في ربيع الأول سنة ٢٩٧هـ، وقد خرج أهل القيروان من الفقهاء ووجوه المدينة، لاستقبال المهديّ، وسألوه تجديد الأمان لهم، فأمنهم على أنفسهم ولكن لم يؤمنهم على أموالهم، الأمر الذي بث الخوف والرهبة في قلوبهم منذ ذلك الوقت[3].

وقد نزل عبيد الله المهديّ في منطقة قصر الصحن، بينما نزل ابنه أبو القاسم في قصر أبي الفتح، وبويع للمهدي في رقادة البيعة العامة، وتلقب المهديّ بأمير المؤمنين، وضربت السكة باسمه، وولى من يراهم أهلاً للمناصب[4].

* المبادئ التي نادَوا بهـا :

أشاع أبو عبدالله الشيعيّ نمطاً معيناً من الخطاب بين المنضمين إلى الدعوة، وهذا النمط يقوم على المساواة الاجتماعية كأحد المبادئ التي آمن بها في دعوته، بحيث يقول الرجل للرجل: (يا أخانا) بما فيهم أبو عبدالله نفسه مهما اختلف الوضع الاجتماعي للواحد منهم عن الآخر[5].

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ٢١؛ وانظر: العباديّ، في التاريخ السياسي، ص ٢٢٧.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج١، ص ١٥٤-١٥٥.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص ١٥٥.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص ١٥٥.

(٥) القاضي وداد، الدعوة العبيدية، ص ١٤.

ولقد سعت الشيعة الإسماعيلية الذين يعدّون أنفسهم أنصار علي بن أبي طالب وأبنائه أن يحصلوا على الخلافة طوال العصر الأموي، وقد تحالفوا من أجل ذلك مع العباسيين بداية، إلا أنهم فشلوا في ذلك. وقد نادوا بمبدأ وشعار المبايعة للرضا من آل محمد أثناء كفاحهم ضدَّ الأمويين[1].

ولكن ما إن انهارت الدولة الأموية سنة ١٣٢هـ / على يد العباسيين، واستلموا الحكم، حتى انهار التحالف بينهم وبين أبناء عمهم آل علي وشيعته، وحدث الصراع الحربي المذهبي بين الدولة العباسية السنية والدولة الفاطمية الشيعيّة، ابتداءً من تأسيس الدولة الفاطمية في المغرب سنة ٢٩٦هـ /٩٠٩م[2].

إن الدولة الفاطمية دولة شيعية إسماعيلية من حيث المبادئ التي آمنوا ونادوا بها[3].

ونحّى جعفر الصادق ولده إسماعيل من الإمامة، لأنه كما تذكر الروايات وجده ثملاً وليس من المعقول أن يوصي جعفر الصادق وهو التقي الورع لابنه الذي لم يلتزم حدود الدين، فاقترف الكبيرة، وشرب الخمر، غير أن أنصار إسماعيل أنكروا على جعفر هذا التصرف، وقالوا: أن اسماعيل معصوم وإن كان قد شرب الخمر، فإنه شربها لأمر في علم الله، وتمسكوا به إماماً ورفضوا الاعتراف بإمامة أخيه موسى[4].

ورواية أخرى تقول: أن إسماعيل لم يمت في حياة أبيه، بل أنه مات بعده بخمسة أعوام، وأظهر أبوه موته من قبيل (التقية)؛ خوفاً على حياته؛ لأن الأئمة كانوا مضطهدين من قبل الدولتين الأموية، والعباسية[5].

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٢٠١،٢٠٢؛ عماد الدين إدريس، عيون الأخبار، ج٤، ص٤٠٤،٣٥١؛ وانظر: حادة،الوثائق السياسية ص٢٦.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص ٢٠١، ٢٠٢؛ عماد الدين إدريس، عيون الأخبار، ج٤، ص٣٥١-٤٠٤؛ وانظر: حادة، الوثائق السياسية، ص٢٦.

(٣) ابن ظافر، أخبار الدولة، ص٢٧-٢٨؛عماد الدين إدريس، عيون الأخبار، ج٤، ص٣٥١-٤٠٤؛ وانظر: مؤنس، تاريخ المغرب، م١، ص٤٥٢؛ العبادي، في التاريخ العباسي، ص٢٦٠؛ زكار، تاريخ المغرب، ص٤٠٥؛ كحيلة، المغرب، ص٧٢.

(٤) النوبختي، فرق الشيعة، ص٥٧-٥٨؛ القمّي، المقالات والفرق، ص٨٠؛ وانظر: حسين، طائفة، ص١١-١٢.

(٥) النوبختي، فرق الشيعة، ص٥٧-٥٨؛ القمّي، المقالات، ص٨٠؛ الشهرستاني، الملل والنحل، ج١، ص١٧١؛ الشكعة، إسلام بلا مذاهب، ص٢٢٦؛ وانظر كذلك: Daftary, Op. cit., P.٩٥.

هذا وبعد ذلك المدخل التاريخي الديني المذهبي للفاطميين فقد آمن الإسماعيليون بالكثير من المبادئ، والتي كانت تخدم وجود دولتهم، وإطالة أمد الدولة الفاطمية، من خلال حشد الأنصار والمؤيدين لدولتهم، سواء في المغرب أم بعد انتقالهم إلى مصر.

فقد نادى الفاطميون بالإمامة أو الخلافة الفاطمية التي هي خلافة دينية وراثية تقوم على محورين[1]:

- **المحور الأول:** هو العلم الإلهي الموروث عن النبي عن طريق علي، ثم أولاده من بعده إلى الفاطميين.
- **المحور الثاني:** (الوصية) باعتبار أن الإمامة الفاطمية وارثة لوصية محمد ﷺ.

إمّا عن الأساس الأول، فالإمام هو محور الدعوة الإسماعيلية، ويقولون أن الأرض لا تخلو من إمام، وهذا الإمام إما ظاهر مكشوف، وإما باطن مستور، فهم يقولون: من مات ولم يعرف (إمام زمانه) مات ميتة جاهلية، ومن مات ولم يكن في عنقه (بيعة إمام) مات ميتة جاهلية[2].

وقام النزاع بين الإمامية الموسوية (الاثني عشرية) الذين كانوا يقولون بإمامة موسى الكاظم (الابن الأصغر لجعفر الصادق) وبين الإسماعيلية، الذين كانوا يقولون بإمامة إسماعيل ابن جعفر الصادق، لأنه قد نص على إمامة إسماعيل[3].

ولم يعترض المعتدلون من الإسماعيلية على إمامة موسى في حياة أبيه، وقالوا: إنه مستودع كالحسن بن علي بن أبي طالب الذي لم يستطع أن يورث الإمامة لأبنائه، رغم

---

(١) الشهرستانيّ، الملل والنحل، ج١، ص١٧١-١٧٢. والإمام في نظرهم عموماً معصوماً من الخطأ، وطاعته جزء من الإيمان. انظر: العباديّ، في التاريخ العباسي، ص٢٦٣.

(٢) الشهرستانيّ، الملل والنحل، ج١، ص١٧١-١٧٥؛ وانظر: العباديّ، في التاريخ العباسي، ص٢٦٣.

(٣) الشهرستانيّ، الملل والنحل، ص٩٠-٩١؛ وانظر: سعيد، الدولة الفاطمية، ص٣٠؛ حسين، طائفة الإسماعيلية، ص١٥٧-١٦٠.

أنه كان إماماً على حين كانت الإسماعيلية يرون أن إسماعيل إمام مستقر، يستطيع أن يورث الإمامة لأبنائه كالحسين بن علي بن أبي طالب[1].

كانت (الوصية) من المبادئ التي آمن ونادى بها الفاطميون، وهي النص على ولاية العهد، فمن المعروف أن الخلافة الفاطمية خلافة رافضية، أي أنها ترفض خلافة أبو بكر وعمر، وترى أن علياً يستحق الإمامة بعد النبي ﷺ (لا عن طريق الكفاية)، بل عن طريق النص عليه بالاسم[2]. ويذكرون في سبيل الاستدلال على ذلك أن النبي ﷺ بعد حجة الوداع، قال في غدير خم (موقع بالقرب من مكة): (من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه)، وقوله أيضاً: (علي مني بمنزلة هارون من موسى)[3].

ويقول ابن خلدون في هذا المجال: (أن الشيعة الإسماعيلية خصّوا علياً باسم الإمام نعتاً له بالإمامة التي هي أخت الخلافة، وتعريفاً بمذهبهم في أنه أحق بإمامة الصلاة من أبي بكر كما هو مذهبهم، فخصّوا بهذا اللقب من يسوقون إليه منصب الخلافة[4].

ومن المبادئ الدينية التي نادى بها الشيعة الإسماعيلية، وانتشرت بشكل واسع وهو مبدأ (التقية)، ويقضي هذا المبدأ على صاحبه بالمحافظة على نفسه، وماله، وعرضه، بالاستتار أو بإخفاء معتقده إذا خاف عدوه، وعجز عن مواجهته، وقالت الشيعة الإمامية

---

(١) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٩، ص١٠١-١٠٤؛ الشهرستانيّ، الملل والنحل، ص٩٠-٩١؛ وانظر: سيد، الدولة الفاطمية، ص٣٠؛ حسين، طائفة الإسماعيلية، ص١٥٧-١٦٠؛ Bernard Lewis, The Origins of Ismailism, Cambridge University – British, ١٩٤٠, P. ٤٩-٥٢.

(٢) الشهرستانيّ، الملل والنحل، ص٩٠-٩١؛ وانظر: حسن، طائفة الإسماعيلية، ص١٥٧-١٦٠.

(٣) الشهرستانيّ، الملل والنحل، ص٩٠-٩١؛ وانظر: حسن، طائفة الإسماعيلية، ص١٥٧-١٦٠.

(٤) كان الفاطميون يفضلون لقب إمام على لقب خليفة لأن كلمة خليفة فيها معنى النيابة بعد النبي ﷺ، فلا يعني فقط المجيء بعد النبي ﷺ بل يدل على السلطان الديني الذي هو مباشرة من الله. وقد ربطوا بين الإمام والإله بكثير من الروابط الوصفية والإسمية، ثم يأتي بعد ذلك \ور الدعاة الذين يدعون للمذهب. واختص كل واحد منهم ببلد من البلدان. انظر: مؤنس، تاريخ المغرب، م١، ص٤٥٤؛ حسن، طائفة الإسماعيلية، ص١٤٩؛ العباديّ، في التاريخ العباسي، ص٢٦٢.

أن الإمام جعفر الصادق قال: (التقية ديني ودين آبائي، ومن لا تقية له لا دين له)[1]، والمثال هذا على المبدأ، عندما أعلن جعفر الصادق وفاة ابنه إسماعيل لحمايته[2].

وكانت مبادئ الدعوة الإسماعيلية تستند إلى (داعي الدعاة) الذي كان يلي قاضي القضاة في الرتبة، وكثيراً ما كانت الوظيفتان تسندان إلى رجل واحد، ويساعد داعي الدعاة في نشر التعاليم الفاطمية اثنا عشر نقيباً، وله نواب ينوبون عنه في البلاد[3].

وكان داعي الدعاة يقوم برياسة الدعوة الإسماعيلية، ويأخذ العهد على المؤيدين والمريدين، إما مباشرة، أو بواسطة نوابه في مصر، والإشراف على المجالس، وعرضها على الخليفة لإقرارها وتذييلها بإمضائه[4].

وأما الإمامة فقد أصبحت أحد المبادئ الرئيسية التي نادى بها الفاطميون، ويكاد تكون الخلافة ملغية من حساباتهم، فالإمامة كما نادوا بها فهي سر أودعه الله في آل البيت، وهي تنتقل من الإمام إلى ابنه الأكبر وراثة حتمية، فظلوا متعلقين بإمامةإسماعيل بن جعفر الصادق، وقالوا أن اسماعيل هو الإمام المستقر، وأن موسى الكاظم هو الإمام المشروع[5].

أما موسى الكاظم وأبناؤه فهم الأئمّة السبعة، لأن موسى الكاظم عندهم هو الإمام السادس ثم جاء بعده ابنه الذي استتر، ولا زالوا في انتظاره إلى اليوم[6].

وأما أتباع إسماعيل بن جعفر فقد جعلوا فيه الإمامة، ونقلوها من بعده إلى ابنه محمد الباقر، كما يؤمنون بمبدأ الغيبه أي (غيبة الإمام)، بأنه الإمام الذي استتر سيعود إلى الدنيا عندما يشاء الله يملؤها عدلاً.

---

(١) النوبختيّ، فرق الشيعة، ص٥٧-١٥٨؛ القمّي، المقالات، ص٨٠؛ وانظر: مؤنس، تاريخ المغرب، م١، ص٤٥٥؛ حسن، الطائفة الإسماعيلية، ص١٩.

(٢) النوبختيّ، فرق الشيعة، ص٥٧-١٥٨؛ القمّي، المقالات، ص٨٠؛ وانظر: مؤنس، تاريخ المغرب، م١، ص٤٥٥؛ حسن، طائفة الإسماعيلية، ص١٩.

(٣) المؤيد في الدين، داعي الدعاة هبة الله الشيرازي (ت٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م) السيرة المؤيدية، نشرة محمد كامل حسين، القاهرة، ١٩٤٩م، ص١٥١؛ وانظر: حسن، تاريخ الإسلام، ص٢١١.

(٤) المقريزيّ، الخطط، ج١، ص٣٩١؛ حسن، تاريخ الإسلام، ج٣، ص٢١١.

(٥) الشهرستانيّ، الملل والنحل، ج١، ص١٧١-١٧٢؛ وانظر: مؤنس، تاريخ المغرب، ص١٣٧.

(٦) الشهرستانيّ، الملل والنحل، ج١، ص١٧٢-١٧٣؛ وانظر: مؤنس، تاريخ المغرب، ص١٣٧.

وأرسل القائم بأمر الله إبن المهديّ برسالة إلى أهل مكة، يدعوهم للإنضمام إلى صفوف الفاطميين ويقول: (نحن أهل بيت الرسول ﷺ ومن أحق بهذا الأمر منّا ؟) وفي الرسالة أبيات من الشعر يهجو بها أهل مكة، لسيرهم على نهج العباسيين غير الشرعيين كما يدعي، وأنه هو الخليفة الشرعي[1].

أما أهل مكة فقد ردّوا برسالة تؤكد على الخليفة الراضي بالله، الذي حكم عدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً[2].

ممّا سبق نستدل على أن الفاطميين كانوا ينادون بمبدأ أحقية الفاطميين بالخلافة والإمامة باعتبارهم من سلالة الرسول ﷺ أي من آل البيت، وأن ذلك أمر بديهي ومفروغ منه ولا مناقشة فيه، وأن الله أنقذ البشر بخلافتهم إلى غير ذلك من المفاهيم والمبادئ الدينية[3].

وكذلك فقد نادوا بطاعة الإمام، وأن طاعته هي طاعة لله، وأن أصله إلهي (المقصود هنا الخليفة المعز لدين الله الفاطمي)[4].

وفي الرسالة التي وجهها المهديّ العلوي إلى أبي طاهر الجنابي القرمطي، والذي يلومه على أفعاله الشنيعة عندما دخل البيت الحرام، وقلع الحجر الأسود، وأخذه إلى البحرين سنة ٣١٧هـ وقال المهديّ: (أنه سجلت علينا نقطة سوداء لا تمحوها الأيام والليالي، وقد حققت على دولتنا ((الفاطمية)) اسم الكفر، والزندقة، والإلحاد، بفعالك المقصود بذلك ((أبي طاهر الجنابي القرمطي))[5].

وبالإضافة إلى العباسيين الذين ساعدوا أبا يزيد بن كداد اليفرني (صاحب الحمار)، الأمر الذي أدى إلى الاضطرابات في المغرب سنة ٣٢٣هـ/٩٤٤م، في ثورته فإن

(١) ابن الابار، الحلة السيراء، ج١، ص٢٨٧.
(٢) مؤنس، تاريخ المغرب، ص١٣٧.
(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٥٧-٥٨.
(٤) المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ج١، ص٢٥١-٢٦٥.
(٥) ابن سنان، ثابت، تاريخ أخبارالقرامطة، تح سهيل زكار، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧١م، ص١٤.

الأمويين قد ساعدوا ضد الدولة الفاطمية وحماية الثوار، باللجوء إلى مناطق الفاطميين في سبتة وطنجة والأندلس، حيث كان الأمويون يخشون التسرب الفاطمي إلى المغرب ويرون أن الفاطميين قد يستولوت على الأندلس[1].

ممّا سبق نستطيع القول أن الفاطميين في سبيل تأسيس دولتهم، وتوسيعها، فقد لجأوا على أسلوب العمل السري قبل إنشاء كيانهم، وهو الأسلوب نفسه الذي اتبعه العباسيون من قبلهم، وظلوا يخططون ويبثون الدعاة حتى تمكنوا من تأسيس دولتهم في المغرب، ومن ثم مصر وبلاد سورية حتى كادت أن تقضي على الخلافة العباسية، لولا ظهور الأتراك السلاجقة الذين اعتنقوا الإسلام على المذهب السني، وتمكنوا من إيقاف الزحف الشيعيّ باتجاه الشرق، ونصروا مذهب أهل السنة ضد أهل الشيعة، وقاموا باسترجاع القسم الأكبر من بلاد الشام.

* موقف السكان المحليين من الدولة الفاطمية :

كان البربر يمثلون غالبية سكان شمال أفريقية، بينما كان العرب يمثلون الحكام، وقد كان أبو عبدالله الشيعيّ يدعو للإمام المنتظر، وتكللت دعوته بالنجاح[2]، إذ استطاع أبو عبدالله الشيعيّ من القضاء على دولة الأغالبة في القيروان، ودولة بني رستم في تاهرت ودولة المدراريين في سجلماسة مثل القضاء على دول الأدارسة[3]، وحاول فتح مصر ثلاث مرات (٣٠١هـ، ٣٠٧هـ، ٣٢١هـ) دون جدوى.

استطاع عبيدالله المهديّ أن يقضي على دولة الأدارسة، باستعانته بموسى بن أبي العافية وابن عمه، وقائده مصاله بن حبوس كبير مكناسة القبيلة الزناتية الكبرى الذي

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٣٠٦-٣١٠؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص٢١٧،٢١٦؛ المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ج١، ص٧٥-٩٠؛ القاضي النعمان، المجالس، ص٥٥، ٧٢، ٧٣؛ عماد الدين إدريس، عيون الأخبار، ج٥، ص١٧٢، ١٧٣.

(٢) ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٦؛ وانظر: العباديّ، في التاريخ العباسي، ص٢٢٦-٢٣١. العرباوي، محمد مختار، ظهور البربر بشمال أفريقية، مجلة دراسات تاريخية، السنة ٢٢، ٧٩٤-٨٠، أيلول كانون أول/ ٢٠٠٢م ص٣٧.

(٣) ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٦؛ العباديّ، في التاريخ العباسي، ص٢٢٦-٢٣١؛ الخربوطلي، علي حسني، مصر العربية الإسلامية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٣م، ص١١٣-١١٤. وسيشار إليه فيما بعد: الخربطلي، مصر العربية.

كلفه بمحاربة الأدارسة، وقد زالت دولة الأدارسة من فاس، وتم إجلاء الأدارسة ونقلهم إلى قلعة النسر قرب البصرة في إقليم طنجة، وترتب على إزالة الدولة الإدريسية العلوية أمرين: أولهما- تكتل الأدارسة وأنصارهم في بلاد الريف، الأمر الذي جعلهم يعدلون عن سياسة التقرب من الفاطميين ويتقربون من الأمويين في الأندلس، وثانيهما: استبداد موسى بن أبي العافية وأبنائه ببلاد المغرب، وإعلانهم استقلالهم عن الدولة الفاطمية، بل إنهم أعلنوا انضمامهم على الأمويين أعداءهم الأساسيين في الأندلس(١).

وقد تحتم على خلفاء عبيد الله، وبخاصة القائم والمعز لدين الله، العمل على زيادة نفوذهم في المغرب الأقصى وبلاد الريف للقضاء على نفوذ الأدارسة وبيت بن أبي العافية من ناحية وعلى نفوذ الفاطميين من ناحية أخرى(٢).

وقد استقام أمر موسى بن أبي العافية، في المغربين الأقصى والأوسط منذ زال الأدارسة من فاس في عهد عبيد الله المهديّ، ومن ثم خلع طاعة الفاطميين، ودخل في طاعة عبد الرحمن الناصر (الثالث) الأموي(*) (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م)، وقد خطب موسى للأمويين دون الفاطميين(٣).

وكان من دعاة المذهب الشيعيّ الفاطمي داعيين، وهما أبي سفيان والحلواني اللذين كان لهما دور كبير في نشر مذهب التشيع في المغرب، ابتداءً من سنة

(١) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٨٦،٨٥؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٦؛ العبادي، في التاريخ العباسي، ص٢٢٦-٢٣١؛ حسن، المعز لدين الله، ص٢٥؛ السعيدي، عمر، محاولات الفاطميين الاستيلاء على مصر (الأبعاد الدولية والاستراتيجية)، مجلة دراسات تاريخية، ع٧، كانون ثاني (يناير) ١٩٨٢م، جامعة دمشق، سوريا، ص ٧٥ – ٧٦.

(٢)ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٨٥؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٦-١٧؛ حسن، المعز لدين الله، ص٢٥.

(*) عبد الرحمن الناصر (الثالث): الناصر لدين الله عبد الرحمن الثالث عاش في الفترة من ٣٠٠-٣٥٠هـ/ ٩١٢-٩٦١م والده الأمير محمد بن عبدالله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام، ووالدته تدعى أم ولد، وتسمى مزنة. حول حياة عبد الرحمن الثالث، انظر: ابن عذاري، البيان، ج٢، ص١٥١؛ حاملة، جيل المولدين، ص١٠٤، ١٠٧، الأندلس، ص٢٧٩، ٣١٠، ٣١٢، ٣١٥.

(٣) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٨٦، ١٨٧، ١٨٨.

١٤٥هـ/٧٦٢م، وذلك قبل بدء أبي عبيد الله الشيعيّ، ونجاح مهمته بين سكان المغرب، الأمر الذي مهّد لظهور الدولة الفاطمية فيما بعد[١].

وكان الإمام جعفر الصادق قد بعث الداعيين أبي سفيان والحلواني، وأمرهما أن يبسطا ظاهر علم الأئمة، وينشر فضلهم ومبادئهم، وطلب منهما أيضاً اجتياز حدود أفريقية ذاتها والاستقرار بين البربر سكان البلاد[٢].

إن النجاح الذي أحرزه أبو عبدالله الشيعيّ في نشر الدعوة الشيعيّة وسط قبيل كتامة البربرية في أفريقية، وما حققه من نصر على الأغالبة كانت من الأسباب المباشرة التي دعت المهديّ بالتوجه إلى أفريقية[٣].

وقد اعتمد في المغرب على الموالي، كما اعتمد في المشرق على الموالي من الفرس، ذلك لأن الشمال الأفريقي كان أرضاً مهيأة لنصرة المذهب الإسماعيلي الذي مهد لظهور الدولة الفاطمية ٢٩٧هـ/٩٠٩م[٤].

ونجح المهديّ من الوصول إلى سجلماسة عن طريق قسطيلية، وتوروز، وايكجان، في الوقت الذي نجح فيه أبو عبدالله الشيعيّ من تفويض سلطة الأغالبة، وسيطرته على مدينة رقادة (عاصمة الأغالبة) وطرد زيادة الله آخر أمرائهم في رجب سنة ٢٩٦هـ/مارس٩٠٩م، إذ ذهب إلى سجلماسة وخلّص المهديّ من السجن، إذ أنه كان قد سجن على يد أميرها، ودخل رقادة منتصراً في ربيع الثاني ٢٩٧هـ/٩١٠م، معلناً قيام الدولة الفاطمية[٥].

---

(١) القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص٥٤-٥٨؛ ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٣١؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٦، ص١٥٤؛ المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ج١، ص٥٠؛ عماد الدين إدريس، عيون الأخبار، ج٤، ص ٢٢٤-٣٢٥؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٣١.

(٢) القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص٥٤-٥٨؛ ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٣١؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٦، ص١٥٤؛ المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ج١، ص٥٠؛ عماد الدين إدريس، عيون الأخبار، ج٤، ص ٢٢٤-٣٢٥؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٣١.

(٣) القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص١٥٠؛ اليماني، سيرة الحاجب، ص١٠٧، ١٠٨، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٣.

(٤) المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ج١، ص٦٨.

(٥) اليماني، سيرة الحاجب، ص١١٦-١١٩؛ عماد الدين إدريس، تاريخ الخلفاء، ص١٣١-١٥٤.

اصطدم الفاطميون بالكثير من الصعاب في نشر المذهب الإسماعيلي الفاطمي، ومن تلك الصعوبات وجود فريقين متنافسين من القبائل البربرية: زناته في الغرب، وصنهاجة التي تنتمي إليها قبيلة كتامة في الشرق كان عنصراً مساعداً للإضطرابات، والقلاقل، وانتشار الفوضى في المنطقة[1].

وقد وجد الفاطميون مقاومة سنية شديدة لمذهبهم من سكان المناطق التي حاولوا نشر دعاتهم ومذهبهم، واجه المهديّ مقاطعة سلبية وإنكاراً لمذهبه، جابهه به أهل أفريقية وعلماؤها أتباع المذهب المالكي، ولم يتعاونوا معهم بأي حال من الأحوال[2].

وكان من أهم الثورات المتتالية تلك التي قام بها أبو يزيد مخلد بن كيداد سابق الذكر، والتي وجدت تأييداً من أهل السنة، والتي قضى عليها الخليفة الثالث المنصور بالله إسماعيل سنة ٣٣٦هـ/٩٤٨م، وكانت تلك الثورات سبباً في أن يفكر الخلفاء الفاطميون بالتحول إلى الشرق، لإقامة مملكتهم الشيعيّة، وكسب مؤيدين، وإقامة إمامتهم الفاطمية الشيعيّة[3].

وساعد أعوان الخلفاء الفاطميين من المغرب الذين استمالوا نفراً من القواد ووجوه الرعية من السكان المحليين البربر، تمهيداً لانتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر بعد أن مهد لها الدعاة وجوهر الصقلي لمدة تقارب من أربع سنوات ونيف، قبل انتقال المعز لدين الله إليها[4].

---

(١) عماد الدين إدريس، تاريخ الخلفاء، ص١٣١-١٥٤.

(٢) المالكيّ، رياض النفوس، ج٢، ص٧٤-٩٦؛ وانظر كذلك: إسماعيل، محمود، المالكية والشيعة بأفريقية إبان قيام الدولة الفاطمية، المجلة التاريخية المصرية، القاهرة، مج٢٣، ١٩٧٦م، ص٧٣-١٠٦.

(٣) ابن عذاري، البيان، ج١، ص٢١٦، ٢١٧، ٢١٨؛ القاضي النعمان، المجالس، ص٥٥، ٧٢-٧٣، ١١٤، ٢١٤، ٢١٦، ٢٢٣، ٢٤٥، ٣٣٦، ٤٩٢، ٥٤٢، ٥٥٥؛ ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٤٢٢-٤٤١؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص٢٣٥؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص٢١٦-٢٢٠، ٢٨٥؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص ٤٠-٤٥؛ المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ج١، ص٧٥-٨٦؛ المقريزيّ، المقفى، ص١٤٦-١٤٩.

(٤) المقريزيّ، المقفى، ص٣٣٢؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص٣٢٦.

وكان المعز لدين الله الفاطمي قد عهد للقائد جوهر الصقلي سنة ٣٢٧هـ/٩٥٨م، لتثبيت سلطة الفاطميين في المغرب، إذ أن جوهر قد قاد حملة عسكرية ضد البربر المناهضين للخلافة الفاطمية وخاصة في إقليمي سجلماسة وتاهرت[١].

كان هناك ما أثار مخاوف الفاطميين على ملكهم في أقصى المغرب، فقد جذب عبد الرحمن الناصر إليه كثيراً من أمراء زناته ورؤساء (تاهرت) و (وهران) وسواها، حتى أنه سنة ٣٤١هـ وأدخلت بين يدي الناصر بعض رؤوس كبار الفاطميين التي احتزها خلفاؤه بالمغربِ، وعلىِ رأسهم رأسِ القائد الشيعيّ ميسور، ورأسِ محمد بنِ ميمونِ، وغيرهما من رؤوس أعلام الشيعة، إذ رفعت هذه الرؤوس على باب قصر قرطبة[٢].

والهدف الذي كان يسعى إليه المعز من وراء إرسال الجيوش الضخمة بقيادة وزيره جوهر الصقلي، واشتراك الكثير من الأمراء الموالين للفاطميين، حتى يكون الأمر أشد إحكاماً، ولذلك وضع على رأس هذه الحملة عدداً من هؤلاء الأمراء، مثل زيري بن مناد الصنهاجي، وجعفر بن علي الأندلسي، وكان يهدف أيضاً إلى إخضاع الثائرين على الدولة الفاطمية من أمراء وسكان محليين، والفتك بما انضم إلى الأمويين.

وقد تمكن جوهر الصقلي من هزيمة مركز مقاومة الدولة الفاطمية، ما عدا المراكز التابعة لأموي الأندلس في سبتة، وصالة التي سيطر عليها عبد الرحمن الثالث أمير

---

(١) القاضي النعمان، المجالس، ص٢١٤، ٤١١-٤١٢؛ ابن ظافر، أخبار الدولة، ص ٢٢؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص٢٢٢؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٦، ص٣٨؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٤٦-٤٧؛المقريزيّ، المقفي، ص٣٢٧-٣٢٨، اتعاظ الحنفا، ص٩٣-٩٤؛ عماد الدين إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص٦٠٢-٦٣٣.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص١٨٩؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٩٠-١٩١.

الأندلس، ومن خلال هذه الحملة تم أسر أمير سجلماسة ابن واسول، الذي كان حليفاً للعباسيين وكان يخطب لهم[1].

* موقف الدولة العباسية من الدولة الفاطمية :

كانت الدولة العباسية قد زادت من نقمتها على عبيد الله المهديّ، فقرر المهديّ الفرار من بلدته سلمية[*] بالشام، ومعه ابنه أبو القاسم نزار، الذي قام بالأمر من بعده، وقد خرج معه خاصته، وثقات رجاله[2].

كان قد اشتهرت دعوة عبيد الله المهديّ بين الناس، فطلبه الخليفة العباسي المكتفي، ولذلك قرر الهروب من سلمية[3].

ولما وصل إلى مصر كان متخفيا بزي التجار، وكان عامل مصر والاسكندرية للدولة العباسية عيسى النوشري، فبعث إليه الخليفة العباسي المعتضد بأوصاف عبيد الله، وأمره بالقبض عليه وكل من كان بشبهه[4].

---

(١) الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٩٠-١٩١؛ القاضي النعمان، المجالس، ص٤١١-٤١٢، ٤١٤؛ ابن ظافر، أخبار الدولة، ص٢٢؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص٢٢٢؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج٢٦، ص٣٨؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٤٦-٤٧؛ =المقريزيّ، الخطط، ج١، ص١٨٥-١٨٦، المقفى، ص٣٢٧-٣٢٨، اتعاظ الحنفا، ص٩٣-٩٤؛ عماد الدين إدريس، تاريخ الخلفا، ص٦٠٢-٦٣٣؛ وانظر: الروضان، موسوعة، ج٢، ص٥٤. وقد كان للمغاربة قيادة مستقلة من أبناء جلدتهم ضمن جيش العباسيين، ولعل السبب في ذلك يعود إلى الاختلاف الإقليمي والعنصري بينهم وبين العناصر الأخرى، بالإضافة إلى أن القبائل العربية كانت لها رايات خاصة تقف كل قبيلة تحت رايتها تحث المقاتلين على القتال والصبر عليه. انظر: العزي، محمد فياض محمد، الخلاف بين الجيش والدولة في ظل العباسيين خلال الفترة (٢٤٧ - ٣٣٤هـ/ ٨٦١ - ٩٤٥م)، رسالة ماجستير، إشراف أ.د. محمد البطاينة، جامعة اليرموك، إربد، ٢٠٠١م، ص ١٤.

(*) سلمية: وهي بليدة في ناحية البرية من أعمال حماة وكانت تعد من أعمال حمص. انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٤٠.

(٢) ابن الأبار، الحلة السيراء، ج ١، ص ١٩١؛ ابن الأثير، الكامل، م ٦، ص ١٢٧؛ المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ص١٤٤؛ ابن الابار الحلة السيراء؛ المقريزيّ، التعاظ الحنفا، ص ١٤٤.

(٣) ابن الاثير، الكامل، ج ٦، ص ١٢٧؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص١٩١.

(٤) ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص ١٩١؛ ابن خلدون، المقدمة، ص ٣٨؛ المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ص ١٤٤.

وعلم عبيد الله المهديّ بأن عامل مصر والاسكندرية للعباسيين النوشري يريد القبض عليه، وأنه قد نشر جنوده في كل مكان للقبض عليه، وفعلاً فقد تم القبض عليه، وقال له النوشري: أعلمني حقيقة أمرك حتى أطلقك"، وما زال المهديّ يأخذ النوشري باللطف حتى أطلقه وأخلى سبيله، ويقال: إن المهديّ قد اعطى النوشري مالاً حتى أطلقه[1].

وعندما تم أطلاق سراحه لحق المهديّ بأصحابه، وابنه أبو القاسم نزار ولما كان في مصر أراد أن يذهب لليمن، فعدّل رأيه[2].

ولما انتهى الأمر به إلى مدينة طرابلس، إذ فارق التجار، وكان في صحبته أبو العباس أخو أبي عبيد الله الشيعيّ، وكان المهديّ قد أرسل أبو العباس إلى القيروان فقبض عليه زيادة الله بن الأغلب، فحقق معه فانكر أبو العباس، وقال بأنه تاجر فسجن[3].

وكان زيادة الله بن الأغلب قد بعث بكتاب إلى والي طرابلس بالقبض على المهديّ، ولكن المهديّ قد وصل إلى قسطنطينة(*)(4) ومن ثم تابع سيره إلى سجلماسة.

وانتهى الأمر بوصول عبيد الله المهديّ إلى سجلماسة، وكان الخليفة المعتضد العباسي قد أوعز إلى امير سجلماسة اليسع بن مدرار بالقبض على المهديّ واتباعه، فبحث عنهما وأدخلهم السجن ارضاءً للخليفة[5].

وأيّد دعوته أهل المغرب، واجتمعت له قبائل البربر، وعندما علم أبو عبد الله الشيعى بما حل بالمهديّ وابنه أبي القاسم جمع مؤيديه ومناصريه وجيشه، وزحف بهم إلى

---

(1) ابن خلدون، المقدمة، ص ٣٨؛ المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ص ١٤٥.

(2) ابن الأبار، الحلة السيراء، ج ١، ص ١٩١.

(3) المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ص ١٤٥.

(*) قسطنطينة: وهي قلعة كبيرة جداً حصينة وهي من حدود أفريقية مما يلي المغرب.انظر: ياقوت معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٤٩.

(4) المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ص ١٤٥.

(5) ابن عذاري، البيان، ج١، ص١٥٢؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٢٦؛ ابن خلدون، المقدمة، ص٣٨؛ المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ص١٤٥.

زيادة الله بن الأغلب وحصلت معركة انتهت بانتصار أبو عبد الله الشيعيّ، فهرب زيادة الله إلى مصر، وبويع لعبيد الله المهديّ بالإمامة سنة ٢٩٦ هـ[١].

وكان قيام ونشوء الدولة الفاطمية في المغرب من اخطر التحديات التي واجهت الدولة العباسية في القرنين[٢] الثاني والثالث الهجريين، ولقد استقلت هذه الدولة الفاطمية بشكل كامل عن دولة الخلافة العباسية بحيث لم يعد للعباسيين أي سلطة في المغرب.

وجاء قيام هذه الدولة الفاطمية وأصحابها يعتقدون ويقولون: إنهم علويون من أبناء علي بن أبي طالب ﷺ، وهم أحق بالخلافة من العباسيين الذين اغتصبوها منهم.

كانت بدايات العلويين مع الدولة العباسية من حيث الخروج عليهم والمطالبة بالخلافة في زمن الخليفة أبي جعفر المنصور، إذ خرج عليه وقاتله، محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وأخوه إبراهيم[٣].

نقل ابن عذاري عن الوارق قوله: لم تزل الشيعة منذ مات علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- تدعو إلى إمام معصوم، يقوم بالحق على زعمهم[٤].

لم تقف الدولة العباسية من العلويين موقف المتفرج بل لاحقتهم واجتهدت في القضاء عليهم، مما جعلهم يميلون إلى السرية في دعوتهم، واستخدام السرية والتقية، حتى يتمكنوا من تحقيق هدفهم[٥].

---

(١) ابن الأثير، الكامل، مج٦، ص١٣٠؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ج١، ص١٩١؛ مجهول، الاستبصار، ص٢٠٤؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص١٥٣؛ الناصريّ، الاستقصا، ج١، ص١٢٦؛ ابن خلدون، المقدمة، ص٣٨؛ المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ص١٤٥.

(٢) النويريّ، نهاية الأرب، ج ٢٥، ص ٣؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ج ٢، ص ٥٩٣.

(٣) ابن عذاري. البيان، ج ١، ص ١٢٤.

(٤) ابن عذاري. البيان، ج ١، ص ١٢٤.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ١٢- ١٣؛ المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ص ٧٤- ٧٧. ابن خلدون، المقدمة، ص ٥٤.

وتمكن فريق من العلويين الوصول إلى المغرب وبث دعاتهم بين السكان وبخاصة البربر، إذ استطاع داعيتهم أبو عبد الله الشيعيّ كسب كثير من الأتباع، وخاصة من قبيلة كتامة البربرية في أفريقية، ويزداد نجاحاً، حتى أرسل إلى عبيد الله المهديّ بالقدوم إلى المغرب[1].

وأقلق نجاح العلوين الشيعة في المغرب الدولة العباسية، وقامت من خلال أعوانها وجنودها بمحاولة القبض على عبيد الله المهديّ، ولكنه تمكن من الخروج من (سلمية) بالشام، والعبور من مصر، وتوجه إلى سجلماسة التي تمكن أميرها من القبض عليه[2].

بعد نجاح القائد والداعية الشيعيّ أبو عبد الله في المغرب، والقضاء على دولة الأغالبة حليفة الدولة العباسية السنية سنة ٢٩٦ هـ هرب آخر أمراء الأغالبة زيادة الله (٢٩٠- ٢٩٦ هـ) إلى مصر[3].

وبعد دخول أبي عبد الله الشيعيّ مدن الأغالبة، مثل: رقادة، والقيروان، توجه إلى سجلماسة، إذ تمكن من إخراج عبيد الله المهديّ الذي كان في السجن، ثم دخل معه رقادة عاصمة الأغالبة ليبدأ بعدها عهد الدولة الفاطمية التي قضت على دولة الأغالبة، ودولة الرستميين في تاهرت، ودولة بني مدرار في سجلماسة[4].

ومن مظاهر النزعة الاستقلالية عند الفاطميين رغبتهم في التخلص من آثار الدولة العباسية، إذ قام مؤسس الدولة الفاطمية (عبيد الله المهديّ) ببناء مدينة (المهديّة) على

---

(١) ابن الاثير، الكامل ج ٤، ص ١١٢؛ المقريزيّ، اتعاظ الحنفا ج ١، ص ٥٥؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب ج ٢ ص ١٥٤٧؛ حسن، أحمد. موسوعة تاريخ مصر، دار الشعب، القاهرة، ١٩٧٠ م- ج ٢، ص ١٥٠٢؛ اليماني، سيرة الحاجب جعفر بن علي وخروج المهديّ من سلمية إلى سجلماسة وخروجه منها إلى رقادة، تح و. إيفانوف. مجلة كلية الآداب، الجامعة المصرية، القاهرة، ١٩٣٦م، ص ١٠٨؛ القاضي وداد، الدعوة العبيدية، ص ١٤.

(٢) القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص ١٥١- ١٥٤؛ ابن خلكان، أبوالعباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م، ج٣، ص١١٨؛ الذهبيّ، العبر في خبر، ج٢، ص٨٥؛ العبر ج ٢، ص ٨٥؛ ابن خلدون، المقدمة، ص ٥٣؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج ٢، ص٥٤٦.

(٣) ابن الأبار، الحلة السيراء، ج ١، ص ١٩١؛ ابن عذاري، البيان، ج ١، ص ٢١٠.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج ٦، ص ٤٦١؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج ١، ص ١٩١- ١٩٢؛ ابن عذاري، البيان، ج ١، ص ٢١٠؛ ؛ المقريزيّ، المقفى، ج ٤، ص ٥٥٨.

ساحل البحر، وحصنها بالأسوار المنيعة، وجعلها مركزا لملكه وأهل بيته، وكان بناؤها قد تم في سنة ٣٠٣ هـ/٩١٥م[1].

ولم يكن قيام الدولة الفاطمية في المغرب- وتوسعها على حساب الدولة العباسية- مشكلة صغيرة أو فتنة عابرة يمكن القضاء عليها، بل مثل وجود هذه الدولة تحدياً صارخاً للخلافة العباسية، إذ أن خلفاؤها لم يعترفوا بالخلافة العباسية في بغداد، ووصل بهم الحال إلى أن تسموا باسم أمير المؤمنين[2].

وحتى يظهر هؤلاء الفاطميون بمظهر المستقل القوي الذي لا يُلقي بالاً للخلافة العباسية قام أبو عبد الله الشيعيّ، عندما دخل مدينة (رقادة) سنة ٢٩٦ هـ/ ٩٠٩ م، وكانت رقادة مركز إبراهيم الثاني الأغلبي، وأمر خطباء الجمعة في رقادة وكذلك القيروان فخطبوا له، ولم يذكروا أحداً من خلفاء الدولة العباسية، وأمر كذلك بضرب السكة (النقود) على أن لا ينقش عليها اسم، ولكنه جعل مكان الإسم على الوجهين عبارة (بلغت حجة الله)، وعلى الوجه الثاني (تفرق أعداء الله)، ويقصد بهم العباسيين. كما أمر أن ينقش على السلاح عبارة (في سبيل الله) ووسم الخيل على أفخاذها بعبارة (الملك لله)[3].

وعندما سيطر الفاطميون على مصر سنة ٣٥٨ هـ، ودخلها القائد جوهر صعد المنبر في يوم جمعة، وخطب خطبة دعا لمولاه المعز في أفريقية، وكتب له يبشره بهذا الفتح، وقطع الخطبة لبني العباس في مصر، وأمر أن يقال في الخطبة: "اللهم صلّ على محمد المصطفى، وعلى علي المرتضى وعلى فاطمة البتول، وعلى الحسن والحسين سبط

---

(١) ابن الأثير، الكامل. ج ٦، ص ٤٨٩؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج ١، ص ١٩٢.

(٢) ابن الأثير، الكامل. ج ٦، ص ١٣٣؛ ابن خلدون، المقدمة. ص ٣٨؛ المقريزيّ، الخطط، ج ١، ص ١٥٠- ١٥٥؛ وانظر: اليماني، سيرة الحاجب ص ١١٦- ١١٩.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج ٦، ص ١٣٥؛ المقريزيّ، الخطط، ج ١، ص ١٣٢؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة. ص ١٩٧.

الرسول، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وصل على الأئمة الطاهرين آباء أمير المؤمنين المعز لدين الله"[١].

ولما جاء المعز الفاطمي إلى مصر خطب أمامه المؤرخ الفقيه الشافعي ابن زورف خطبة فيها مدحاً للفاطميين حتى أن المعز القاضي استمع لها حتى النهاية، ومما جاء في هذا الخطبة: "السلام على أمير المؤمنين المعز لدين الله"[٢].

وكان الخلفاء العباسيون يدركون خطورة الدولة الفاطمية في المغرب عليهم وعلى دولة الخلافة، مع وجود حالة الضعف والوهن التي أصابت دولة الخلافة في بغداد.

ولم يقنع الفاطميون بحكم المغرب، ولكنهم كانوا يرغبون بضم المشرق (مصر والشام واليمن، والحجاز، وحتى العراق) إلى دولتهم. أرسل مؤسس الدولة الفاطمية (عبيد الله المهديّ) ولده ولي عهده أبا القاسم نحو مصر لاحتلالها في حملتين: الأولى سنة ٣٠١ هـ والثانية سنة ٣٠٦ هـ، لكن الخليفة العباسي المقتدر، تصدى لهما، وذلك بأرسال جيشه، وعلى رأسه خادمه مؤنس الذي هزم الفاطميين[٣].

في حصار الفاطميين سنة (٣٠٦ هـ) كتب قائد جيشهم أبو القاسم ولي عهد الخليفة الفاطمي عبيد الله المهديّ رسالة إلى أهل مكة يدعوهم فيها إلى طاعته، ولكن أهل مكة رفضوا ذلك، وسارع الخليفة العباسي المقتدر إلى إرسال جيش إلى مصر[٤].

وجاء في رسالة أبي القاسم الفاطمي: "نحن أهل بيت الرسول، ومن أحق بهذا الأمر منا" وضمن الرسالة أيضاً ابياتاً من الشعر ومنها:

أيا أهل شرق الله زالت حلومكم   أم اصّدعت من قلة الفهم والأدب

فويحاً لكم خالفتم الحق والهدى   ومن حاد من أم الهداية لم يصب

---

(١) ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج ٣ ص ٣٢.

(٢) المقريزيّ، المقفى، ج ٣، ص ٢٨٤ - ١٨٥.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٤٨٣ - ٥٠١؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص١٩٢؛ الذهبيّ، العبر فيخبر، ج٢، ص١١٧.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج ٦، ص ٥٠١.

ولما وصل الكتاب والرسالة بعثوا بها إلي الخليفة العباسي المقتدر، وأرسل إلى أبي بكر الصوليّ بعد قراءته الرسالة والشعر وطلب منه أن يرد عليها.

فكتب إليه :

عجبت وما يخلو الزمان من العجب
لقول امرئٍ قد جاء بالمين والكذب

وجـاء يـتلون مـن الشعـر نـاقـص
فسحقـا لـه مـن مـدع أفضل النسب

فمن انت يا مهدي السفاهة والخنـا
فقـد قـمت بالـدين الخبيث وبالريب

وفي هذه القصيدة مدح للخليفة العباسي وغيره من الخلفاء العباسيين، إذ قال الصوليّ:

ومــعتمـــد مـــن بـعــده ومـوفـــق
يــزدد مـــن إرث الخـــلافـــة مـــا ذهـــب

نـــوازلـــهـــم فـــي كـــل فضلٍ وسؤدد
وإن لم يكن في العد منهم لمن حسب[1]

سخر العباسيون الأدباء والشعراء في ذم خصومهم من الفاطميين، وبيان أحقية الخلافة للعباسيين. وكذلك فعل الفاطميون، إذ كان لهم من الشعراء من دافع عنهم ونصر دعوتهم.

من ابرز الشعراء في مدح الفاطميين كان الشاعر ابن هانئ الأندلسي الذي كان يشبه بالمتنبي. وله في المعز لدين الفاطمي قصائد كثيرة وصل فيها إلى الى الغلو والإفراط المؤدي إلى الكفر كما قال ابن خلكان[2].

---

(١) ابن الأبار، الحلة السيراء، ج ١ ص ٢٨٧- ٢٨٨.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٤٢٨ - ٤٢٩.

قال ابن هاني :

تقول بنو العباس : هل فُتحت مصر ... فقـل لبني العباس : قد قضي الأمر
وقـد جاوز الاسكندرية جوهر ... تطالعه البُشرى، ويقدمه النصر
فما جاء هذا اليوم إلا وقد غدت ... وأيديكم منها، ومن غيرها، حفر
أفي ابن أبي السبطين أم في طليقكم ... تنزلت الآيات، والسور الغُرُ

واستمر طمع الفاطميين بمصر حتى تمكن جوهر الصقلي قائد المعز لدين الفاطمي من دخول مصر والقضاء على الإخشيدين سنة ٣٥٨ هـ[(١)].

ومن المواقف الرافضة والتي تعبر عن سخط الخلفاء العباسيين على احتلال مصر من قبل الفاطميين أن أحد (القرامطة) ويدعى الحسين بن أحمد بن أبي سعيد الحسن بن بهرام القرمطي طلب من الخليفة العباسي (المطيع بالله) الأموال، والرجال حتى يخرج الفاطميين منها. فكان رد الخليفة كما ذكر أبو المحاسن في النجوم الزاهرة: "فامتنع الخليفة المطيع بالله من ذلك، وقال: كلهم قرامطة وعلى دين واحد، فأما المصريون (يعني بني عبيد) فاماتوا السنة وقتلوا العلماء"[(٢)].

وبعد سيطرة الفاطميين على مصر، زادت أطماعهم في الشام، وتمكن الخليفة المعز لدين الله الفاطمي من السيطرة على دمشق بعد معارك مع أهلها[(٣)].

ووصل الفاطميون إلى اليمن والجزيرة العربية، إذ خطب لهم فوق المنابر في مكة والمدينة[(٤)].

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٣٠٩؛ الذهبيّ، العبر في خبر، ج٢ ص٣١٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧، ص٣٤٤-٣٤٥.

(٢) ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج ٤، ص ٧٨.

(٣) ابن الاثير، الكامل، ج ٧، ص ٣٤٤- ٣٤٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ٢٩٧.

(٤) سرور، محمد جمال الدين، سياسة الفاطميين الخارجية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٤م، ص١٦٨.

أما العراق حيث بغداد مركز الخلافة العباسية العدو اللدود للفاطميين فقد سيطر عليها خلال القرن الرابع الهجري الأسرة البويهية، وهي فارسية الأصل شيعية المذهب، وكان بين هذه الأسرة والفاطميين علاقات جيدة، أدت إلى تبادل الرسائل بينهما وتسهيل عمل الدعاة. ومع ذلك لم يتمكنوا من القضاء على الخلافة العباسية بسبب الخوف من سخط الناس الذين كانوا يعظمون ويحترمون الخلافة العباسية[1].

ولم يقتصر موقف الدولة العباسية الحازم والرافض لقيام دولة الفاطميين في المغرب، على الناحية السياسية العسكرية، والتي تجسدت في ملاحقة الفاطميين وأتباعهم، والتنكيل بهم وإرسال الأموال والجيوش لمحاربتهم، ومحاولة القضاء عليهم في المهد، ولكنها استخدمت مع الشدة والبطش أساليب الحجة والبرهان ومقارعة الفاطميين بالمجادلة والبيان، وإثبات أن دعواهم ومطالبهم غير صحيحة بحيث يؤدي ذلك إلى إضعافهم وانصراف الناس عنهم.

وردّ العباسيون على الفاطميين الذين قامت دعوتهم على أساس أنهم من أبناء علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، وزوجه فاطمة بنت الرسول محمد ﷺ. وبالتالي هم أحق بالخلافة من العباسيين[2].

نعم، لقد رد العباسيون على إدعاء الفاطميين أنهم من أبناء علي وفاطمة رضي الله عنهما. ولكن كيف كان هذا الرد؟ كان رداً قاسياً يقوم على إنكار الدولة العباسية للنسب الفاطمي. وما هم إلا أدعياء أي أنهم يدعون النسب إلى آل البيت ولا يُعرف نسبهم[3].

ذكر أبو المحاسن في النجوم الزاهرة قولاً للخليفة العباسي المطيع (٣٣٤- ٣٦٣ هـ) عندما سيطر المعز لدين الله الفاطمي على مصر، وقد طُلب منه أن يساعد في استرجاع

---

(١) ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، ج ٤، ص ١٢٤- ١٢٥؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٢٧.

(٢) ابن الأثير، الكامل. ج٦، ص٤٤٦؛ ابن خلدون، المقدمة، ص٥٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة. ج٤ ص٢٥.

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص١١٨-١١٩؛ ابن خلدون، المقدمة، ص٥٢؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٣٤.

مصر، قال الخليفة المطيع: "كلهم قرامطة وعلى دين واحد، فأما المصريون (يعني بني عُبيد) فاماتوا السنن وقتلوا العلماء"[1].

وفي زمن حكم الخليفة العباسي القادر بالله (٣٨١- ٤٢٢ هـ) تم كتابة محضر (سنة ٤٠٢ هـ) يتضمن الطعن والقدح في نسب العلويين (الفاطميين) في مصر، وقد شهد على صحة هذا المحضر جماعة من الأشراف العلويين وجماعة أُخرى من العلماء والقضاة[2].

وقيل إن سبب كتابة هذا المحضر أن الشريف الرضي الشاعر، قال أبياتا يمدح فيها الفاطميين في مصر إذ يقول:

أَلبسَ الذلّ في بلاد الأعادي　　وبمصر الخليفــة العلــوي

من أبوه أبي، ومولا مولاي　　إذا ضامني البعيد القصـي

وعندما عرضت هذه الأبيات على الشريف الرضي أنكرها، وقال: إنها ليست له[3].

أخذت مسألة الطعن والقدح في نسب الفاطميين، والتشهير بهم عند الناس، اهتماما كبيرا من قبل العلماء والمؤرخين، وانقسموا في ذلك إلى فريقين:

الفريق الأول: يذهب إلى صحة النسب الفاطمي (العبيديون)، ويرجعهم إلى علي وفاطمة رضي الله عنهما.

ومن هؤلاء المؤرخين وعلى رأسهم ابن خلدون، ابن الأثير أبو الفداء، والمقريزي)[4].

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٤، ص ٧٨.

(٢) ابن الأثير،الكامل، ج ٦، ص ٤٤٧. ج ٨، ص ٧٣؛ أبو الفداء،المختصر،ج ٢، ص ١١٥٠ يوسف بن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٤، ص ٢٢٩- ٢٣٠؛ ولنظر: سرور، سياسية الفاطميين الخارجية ص ١٧٥.

(٣) ابن الأثير، الكامل ج ٦، ص ٤٤٧.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ١٧- ٢٠؛ أبو الفداء، المختصر. ج ٢، ص ٦٧- ٦٨؛ ابن خلدون، المقدمة، ص ١٥٢؛ المقريزيّ، الخطط، ج١، ص٣٤٨-٣٤٩. وسيشار إليه فيما بعد: المقريزيّ، الخطط.

كان ابن خلدون من أكبر المؤرخين الذين ذهبوا إلى صحة النسب الفاطمي، ودافع عنهم دفاعاً قوياً حيث قال في مقدمته المشهورة: "ومن الأخبار الواهية ما يذهب إليه الكثير من المؤرخين والأثبات في العُبيديين خلفاء الشيعة بالقيروان والقاهرة من نفيهم عن أهل البيت صلوات الله عليهم، والطعن في نسبهم إلى إسماعيل الإمام جعفر الصادق، يعتمدون في ذلك على أحاديث لفقت للمستنفعين من خلفاء بني العباس، تزلفا إليهم بالقدح فيمن ناصبهم، وتفننا بالتشمت بعدوهم"[(١)].

مما سبق نرى أن ابن خلدون يصحح نسب الفاطميين، لأن بعض الناس ومن باب التقرب من الخلفاء العباسيين قد لفق الأحاديث الكاذبة في الطعن بالفاطميين.

ويعترف ابن خلدون بالقول أن الكثير من المؤرخين لا يصححون نسب الفاطميين، وقد وجدنا من أعرض عن قول ابن خلدون في صحة نسب الفاطميين كما فعل ابن حجر العسقلاني[(٢)].

والفريق الآخر من المؤرخين يذهب ويميل إلى عدم صحة نسب الفاطميين، وما هم إلا أدعياء لا علاقة لهم بالعلويين أبناء علي وفاطمة رضي الله عنهم، ويجعلهم من المجوِس أو اليهود[(٣)].

ومن أشهر المؤرخين الذي انكروا نسب الفاطميين السيوطي، وابن خلكان، وابن عذاري، أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي، والذهبي، وابن كثير الدمشقي، ابن حجر العسقلاني وابن عماد الحنبلي[(٤)].

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، ص ٥٢.

(٢) ابن حجر العسقلاني، رفع الأصر عن قضاة مصر تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي،القاهرة ، ط ١، ١٩٩٨م.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم، ج ٤، ص ١٧٩؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٤؛

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٣، ص ١١٨؛ ابن عذاري،البيان، ج ١، ص ١٥٠، ١٥٧ - ١٥٨؛ الذهبيّ، العبر في خبر، ج ٢، ص ٨٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١ص، ص ٣٠٥؛ ابن حجر، رفع الأصر، ص ٢٣٧؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٤، ص ١٧٤؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٤- ٣٥.

ووقف المؤرخ جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) من الدولة الفاطمية موقفا مؤيداً للدولة العباسية، وذكر في كتابه (تاريخ الخلفاء) في سير الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين وغيرها، ولم وصل إلى الفاطميين إعراضاً عن ذكر سيرتهم، وأطلق على دولتهم اسم (الدولة الخبيثة العبيدية)[1].

وذكر السيوطي الأسباب التي جعلته يقف هذا الموقف المتشدد من الفاطميين وهذه الأسباب:

- أنهم غير قرشيين، ولكن الجهلة أطلقت عليهم اسم الفاطميين. واصل جدهم من المجوس.
- أكثر هؤلاء العبيديين خارجون عن الإسلام، يعلنون سب الأنبياء والصحابة.
- لا تجوز مبايعتهم لوجود خليفة عباسي شرعي.
- وورود أحاديث في خلافة بني العباس[2].

وارتكزت الدولة العباسية في موقفها المعادي للدولة الفاطمية على أساس أنها خلافة سنية المذهب، تقوم على الكتاب والسنة، وتعظيم، وتقدير صحابة الرسول الكرام، أما الدولة الفاطمية فقد بدأت دعوتها بالتشيع، والدعوة إلى آل علي بن أبي طالب، ورفض الصحابة والخلفاء الراشدين، بحيث أُطلق عليها دولة الرافضة أو العبيديين نسبة إلى عبيد الله المهدي"[3].

واستغلت الدولة العباسية تلك الصفات التي تميزت بها الدولة الفاطمية من حيث سب وشتم الصحابة، والزندقة وتحليل المحارم، مثل الزنا، وشرب الخمر، والقول بأن للقرآن ظاهر وباطن.

ولقد ذكرت المصادر التاريخية العديد من الروايات والقصص التي تصور كيفية معاملة الفاطميين لمن خالفهم من العلماء وغير العلماء.

---

(١) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٤- ٣٥.

(٢) السيوطي، نفس المصدر، ص ٣٤- ٣٥.

(٣) الذهبي، العبر في خبر، ج ٢، ص ١٩٣.

قال أبو الحسن القابسي: "إن الذين قتلهم عبيد الله وبنوه من العلماء والعباد أربعة آلاف رجل، ليردوهم عن الترضي عن الصحابة، فاختاروا الموت، فيا حبذا لو كان رافضياً فقط، ولكنه زنديق"[1].

وعندما دخل عبيد الله المهديّ رقادة بعد أن قضى على الأغالبة أمر الخطيب يوم الجمعة أن يذكره في الخطبة، ويقول: أبو محمد عبد الله الإمام المهديّ بالله أمير المؤمنين، اعترض على ذلك العالم الفقيه جبلة بن حمود الصدفي وقال: قطعوها قطعهم الله، يعني الخطبة للعباسين، وخرج من المسجد وخرج كثير من الناس معه الأمر الذي جعل الفاطميين يعاملون الناس بالشدة بعد رفض دعوتهم[2].

ولما سيطر عبيد الله المهديّ على المغرب كتب إلى والي مدينة (نكُور) شمال المغرب، يطلب منه الدخول في طاعته وعدم العصيان، فرد هذا الوالي على لسان أحد الشعراء بالأبيات التالية:

كذبت وبيت الله لا تحسن العدلا ولا علم الرحمن من قولك الفصلا[3]

وما أنت إلا جاهل ومنافق تمثل للجهال في السنة المثلى

وهمتنا العليا لدين محمد وقد جعل الرحمن همتك السفلى

وعندما دخل الخليفة الفاطمي المعز لدين مصر احضروا له العالم الزاهد أبا بكر النابلسي، إذ كان يقول: لو كان معي عشرة أسهم، لرميت الروم سهما، ورميت بني عُبيد تسعة، فأمر المعز بقتله، وسلخ جلده على يد يهوديين، وكان يقال له الشهيد[1].

---

(١) المقريزيّ: المقفى، ج ٤، ص ٥٤٤.

(٢) المالكيّ، رياض النفوس، ج ٢، ص ٤٣ .المقريزيّ: المقفى، ج ٤، ص ٥٥٨؛

(٣) ابن الأبار، الحلة السيراء، ج ١، ص ٩٣- ٩٤.

كانت مسألة اتهام الفاطميين بالخروج عن الإسلام الصحيح والسنة، وإظهار البدع من المسائل التي نقلت عن بعض حكامهم. ومن أشهر الحكام الفاطميين التي وردت عنهم تلك الأعمال الحاكم بأمر الله أبو علي منصور ٣٨٦- ٤١١ هـ، وقد نقل عنه أنه كان يسب الصحابة، ويأمر بذلك، وقتل كثيرا من العلماء والمعارضين له، حتى وصل الأمر أن ادعى الربوبية، وحلول الاله فيه، وتكلم في تأويل كل ما ورد في الشريعة حيث كثر اتباعه في مصر وغيرها[٢].

مات الحاكم بأمر الله الفاطمي مقتولا، وفي سبب قتله قال ابن الأثير: "إن أهل مصر كانوا يكرهونه لما يظهر عليه من سوء أفعاله، فكانوا يكتبون إليه الرقاع فيها سبّه، وسب الخلافة، الدعاء عليه... فكانت سيرته عجيبة"[٣].

وفي الصفحات السابقة يتبين لنا كيف كانت وقفة الدولة العباسية- ممثلة بالخلفاء العباسيين ومن وقف معهم- الحازمة من قيام الدولة الفاطمية، التي قامت على أساس أحقية الفاطميين بالخلافة من غيرهم، وذلك لإنهم ينتسبون إلى العلويين أبناء علي وفاطمة رضي الله عنهم.

وبالرغم من ضعف الخلافة العباسية، إلا أنها لم تتوقف عن ملاحقة الفاطميين، إذ تتبعتهم أينما كانوا، وتعريضهم للقتل والعذاب، وارسال الأعوان والجيوش في سبيل القضاء عليهم. واستخدمت أسلوب الطعن والتشهير في نسبهم. وما كان للدولة الفاطمية أن تستمر ما يقارب (١٧٠سنة) لولا ضعف الخلفاء العباسيين، كما قال المؤرخ المقريزي[٤].

ومجمل القول أنه لما شعرت الخلافة العباسية التي كانت تجاوز مرحلة اضطراب وضعف، ويتعاقب في خلافتها عدد من الخلفاء الضعاف بخطر الحركة الفاطمية

---

(١) الذهبيّ، العبر في خبر، ج٢، ص٢٣٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١١، ص٢٩٧؛ المقريزيّ. المقفى، ج٥، ص١٧٥.

(٢) المقريزيّ، المقفى، ج ٣، ص ٣٦١- ٣٦٢؛ ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة، ج ٣ ص ١٧٨- ١٧٩.
(٣) ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ١٢٨- ١٢٩.
(٤) المقريزيّ، الخطط، ج ١، ص ٢٤٩.

الإسماعيلية الداهم وكلت رؤساء الدين وأصحاب المقالات الدينية بالطعن في مبادئ هذه الحركة، والافتراء عليها، ونعتوا مذهبها بالزندقة، والإلحاد، والخروج عن الدين الإسلامي الحنيف تارة والطعن بنسب أئمة هذه الحركة، والتحريض عليهم تارة أخرى، الأمر الذي جعل الفاطميين يخفون دعوتهم ونشرها بطرق خفية شأن كل دين، أو فكر اجتماعي، أو مذهب، فهبَّ دعاة الاسماعيلية للدفاع عن حركتهم، وقد رأى دعاة الإسماعيلية الأول أمثال ميمون القداح وابنه عبدالله، وسعيد الجنابي وابن حوشب، وأبي عبدالله الشيعيّ، وغيرهم بعد أن درسوا شؤون الدولة العباسية من جميع النواحي أنه لا بد من القضاء عليها ولا بدّ من جمع كلمة المعارضين للخلافة العباسية وحكم الخلفاء وجمعهم في بوتقة الإسماعيلية، واستطاعت الدولة الفاطمية في نهاية الأمر من أن تؤسس للدولتين دولة في المغرب من (٢٩٦-٣٦٥هـ/٩٠٩-٩٧٥م) ودولة في مصر من (٣٥٨-٥٦٧هـ/ ٩٦٩-١١٧١م) وأن يكون لها طابعها الخاص في ضرب السكة والخطبة والاستقلال السياسي والروحي عن الخلافة العباسية.

ولقد لخص المقريزي موقف الدولة العباسية من الدولة الفاطمية في قوله أنه اعتبر أن ضعف خلفاء بنو العباس أدى إلى إنشاء واستمرار الدولة الفاطمية لمدة ٢٧٠ سنة إذ أن الفاطميين قد سيطروا على بلاد المغرب، ومصر، والشام، وديار بكر، والحرمين، واليمن، وخطب لهم ببغداد نحو أربعين خطبة، وعجزت عساكر بني العباس عن مقاومتهم الأمر الذي جعل العباسيين يلجأون إلى الطعن في نسبهم ذلك، لعجزهم عن مقاومتهم، ووقّع القضاة على الطعن في نسب الفاطميين، وإلى إرسال الكتب إلى أتباعهم في المغرب بالقبض على عبيد الله المهديّ الأمر الذي ولد الخوف لدى أتباع الدولة الفاطمية ما قد يلحق بهم الخوف والتشرد والعقاب فلاذوا بالاختفاء ولم يكادوا يعرفون حتى تسمى محمد بن إسماعيل بالمكتوم (وهو جدّ عبيد الله المهديّ) سماه بذلك الشيعة عند اتفاقهم على إخفائه خوفاً على مذهبهم وأتباعه[1].

---

(١) المقريزيّ، المواعظ، ج٢، ص ١٧٦-١٨٠؛ وانظر: غالب، تاريخ الدولة الإسماعيلية، ص٥-٦؛ حمامدة، عبد الكريم عبده الطالب، خلافة المعتضد بالله (٢٧٩-٢٨٩هـ/ ٨٩٢-٩٠٢م)، أطروحة دكتوراه، إشراف أ.د. نشأت الخطيب، جامعة القديس يوسف، بيروت، ١٩٨٢م، ص ١٨٢.

الرموز والمختصرات

استخلمت في هذا الكتاب الرموز والمختصرات التالية :

الرمز	البيان
ت	توفي
ج	جزء
د	دكتور
د.ت	دون تاريخ
د.ع	دون عدد
ص	صفحة
ط	طبعة
ع	عدد
تح	تحقيق
تر	ترجمة
ق	قسم
م/م	ميلادي /مجلد
هـ	هجري

البيان باللغة العربية	البيان باللغة الإنجليزية	المختصر
المرجع أو المصدر نفسه	Ibidem	Ibid
بدون تاريخ	No Date	N.D
الرقم	Number	No
المرجع أو المصدر السابق	Opera Citato	Op.Cit
الصفحة	Page	P.
الصفحات	Pages	P.P
الجزء	Volume	Vol.
ميلادي	Afterchrist	A.D
هجري	After Hegira	A.H

الخاتمـــة

يحاول الباحث في هذه الدراسة أن يلقي الضوء على كثير من التساؤلات التي طرحت حول موقف الدولة العباسية من الدويلات التي استقلت عنها في المغرب الإسلامي، وذلك خلال القرنين الثاني والرابع الهجريين (الثامن والعاشر الميلاديين).

هذا الأمر الذي جعل المؤرخين يطرحون التساؤلات والإجابات معاً، بحيث لم تخل هذه التساؤلات والإجابات من الخطأ والغلط وتضارب الأقوال، وذلك يعود لإختلاف الروايات والرغبات في تناول هذا الموقف للدولة العباسية من تلك الدويلات.

وجاءت هذه الدراسة لتعرض الروايات التي تبين حقيقة ذلك الموقف، للتدقيق، والتمحيص والتحليل والمقارنة من أجل الوصول إلى الحقيقة.

ومن أجل وضوح صورة ذلك الموقف كان لا بد لهذه الدراسة من عرض تركيبة وفئات السكان في بلاد المغرب قبل فتح العرب المسلمين لها، بل قبل نشوء تلك الدول المستقلة في عهد الدولة العباسية.

ولقد تبين من خلال البحث والدارسة أن غالبية سكان المغرب كانوا من العنصر البربري، الذي له خصائصه ومزاياه.

وتناولت الدراسة بعد ذلك عملية الفتح العربي الإسلامي لمنطقة المغرب، والتي تميزت بالجهاد الصادق، والعمل الشاق في محاولة دمج وصهر البربر في بوتقة الإسلام، ثم دمجهم في تلك الدول المستقلة بحيث وجدنا أن البربر كانوا دائماً مشاركين، ويتبنون مذهب الدويلات التي تتمكن من بسط سيطرتها الجغرافية والسكانية والزمانية.

ومن الجدير بالذكر أن هذه الدول المستقلة قد لعبت دوراً كبيراً في زيادة الطباع والتأثيرات العربية في المغرب، إذ تميزت تلك الدويلات بعروبتها الشرقية، التي كانت لها لغتها وتقاليدها وعاداتها وقيمها المميزة لها (الدولة الرستمية أصولها فارسية).

هذا التأثير العربي في المغرب تناوله ابن خلدون في مقدمته المشهورة، إذ قال: (انقلبت أحوال المغرب في المائة الثانية، وتبدلت بالجملة، واعتاضت من أجيال البربر أهله على القدم بما طرأ فيه من لدن المائة الخامسة من أجيال العرب بما كسروهم وغلبوهم، وانتزعوا منهم عامة الأوطان، وشاركوهم فيما بقي من البلدان لملكهم).

زد على ذلك أن هذه الدول المستقلة التي استقلت عن دولة الخلافة العباسية ساهمت في نشر الديانة الإسلامية، بداية على يد الأدارسة في المغرب، ثم على يد الفاطميين ثانية، وقام الأدارسة بنشر الإسلام على منهج كتاب الله وسنة رسوله، إذ كانوا من أهل الصلاح والتقوى لأنهم من سلالة النبي الكريم ﷺ. قال صاحب كتاب (الدرر السنية) السنوسي: (لما دخل إدريس الأكبر المغرب الأقصى وجد أهله ثلاث فرق يهود، ونصارى، ومجوس، ودعاهم إلى دين الله وعبادته وسنته، وسنة رسوله ﷺ فأجابوه لذلك، واتبعوه خفافاً وثقالاً).

أما الفاطميون فقد ساهموا في نشر الإسلام، ولكن تبعاً للمبادئ الشيعية الإسماعيلية في الإمام المعصوم والإمام المنتظر.

وساهمت دولة الأغالبة السنية والتي اتفقت مع الدولة العباسية من حيث المذهب السني، بالإضافة إلى دفاعها عن (مبادئ ورغبات الدولة العباسية) في المغرب، وافقت الدولة العباسية على كوارث الأغالبة، للحكم من باب اتفاق المصالح المشتركة بين الطرفين، إذ وقفت دولة الأغالبة ضد خصوم الدولة العباسية في المغرب.

تميزت هذه الدول المستقلة عن جسم الخلافة العباسية بالاستقلال التام، إذ كانت لا تعترف بسلطة الدولة العباسية، فالدولة الرستمية كانت قد قامت على يد البربر الذي كانوا يناهضون الخلافة الإسلامية منذ الفتح العربي الإسلامي الأول.

ودولة الأدارسة بدأت بالاستقلال عن الدولة العباسية، وأصبحت لا تعترف بالخلافة العباسية لاعتقادها أن هذه الخلافة قامت على اغتصاب السلطة من أصحابها

الشرعيين، الذين يتمثلون في نسل علي بن أبي طالب ﷺ، ولما عجز الأدارسة عن أخذ السلطة في المشرق تمكنوا من تحقيق ذلك في المغرب الأقصى البعيد عن الخلافة العباسية.

ولم تكن الدولة الفاطمية أقل شأناً من غيرها من الدول المستقلة، بل كانوا أكثر تحدياً، إذ لم يعترفوا بشرعية الخليفة العباسية، وأصبحوا يطلقون على أنفسهم (خلفاء) أو أمراء للمؤمنين.

وأما دولة الأغالبة في افريقية فقد تمتعت بالاستقلال ووراثة الحكم بين أبناء هذه الأسرة، إلا أنها كانت حليفاً قوياً للدولة العباسية، ووقفت إلى جانبها ضد أعداء الخلافة.

وكان ولاء الأغالبة للعباسيين واضحاً تمثل في الخطبة للخلفاء على المنابر، ونقش اسم الخليفة على النقود، وإرسال الأموال (الخراجية) والهدايا إلى عاصمة الخلافة.

واختلفت الدول المستقلة في المغرب من حيث مدة حكم كل دولة عن الأخرى، لكنها بصورة عامة كانت معاصرة لبعضها البعض بعضاً فالدولة الرستمية في (تاهرت) استمرحكمها ما يقارب مائة وستين سنة وبالتحديد من سنة ١٣٧-٢٩٧هـ/ ٧٥٤-٩٠٩م، وقد تم القضاء عليها على يد الفاطميين، وذلك عندما سار أبو عبدالله الشيعي إلى مدينة سجلماسة لمحارية (اليسع) أمير آل مدرار، وتخليص محمد المهدي وابنه من السجن، ومرَّ أثناء سيره على تاهرت عاصمة الرستميين فدخلها بالأمان، وقتل من بها من الرستمية بينهم: يقظان بن أبي يقظان، ومن معه من أهل بيته، وبعث برؤوسهم إلى القيروان ونصبت على باب مدينة رقادة، وبذلك تكون دولة الرستميين قد انتهت في تاهرت من أرض المغرب.

وكذلك الحال كان مع دولة الأغالبة المستقلة، التي كانت حليفة لبغداد مركز الخلافة، فقد استطاع الفاطميون على يد القائد أبي عبدالله الشيعي من هزيمة جيش (زيادة الله) آخر أمراء الأغالبة سنة ٢٩٦هـ، ويدخل مدينة رقادة عاصمة الأغالبة وبذلك تكون هذه الدولة قد انتهت بعد حكم استمر مائة واثنتي عشرعاماً من ١٨٤-٢٨٦هـ/٨٠٠-٩٠٩م.

أما دولة الأدارسة في المغرب الأقصى فلم تنج من خطر الفاطميين، فبعد أن حكمت هذه الدولة المستقلة مدة مائة وأربعين عاماً من (١٧٢-٣١٣هـ) سقطت على يد جيش المهدي الفاطمي، والذي كان بقيادة مصالة بين حبوس، إذ التقى مع آخر أمراء الأدارسة يحيى الإدريسي بالقرب من مكناسة، فحلت الهزيمة بيحيى واحتل الفاطميون بلاد الأدارسة، وصار المغرب ملكاً للفاطميين، بحيث أصبحت دولة الأدارسة من دولتهم.

وبعد أن سيطر الفاطميون على المغرب توجهوا نحو مصر، إذ دخلوها وأصبحت تابعة للدولة الفاطمية، وقبل مغادرة المغرب جعل الفاطميون عليها من بربر صنهاجة يديرونها نيابة عنهم، ولكن الأمر قد تغير بعد ذلك إذ انشق هؤلاء البربر على سلطة الفاطميين، وخلعوا الطاعة لهم، وبلغوا درجة الملوك، واستطاع بلكين بن زيري شيخ صنهاجة أن يتخلص من سيطرة الفاطميين، ويعلن تأسيس الدولة الزيرية في سنة ٣٦٣هـ.

وأما الدولة الفاطمية في مصر فقد جعلت من القاهرة مركزاً لها فاستمرت في الحكم حتى جاء السلطان صلاح الدين الأيوبي وقضى عليها.

وعند دراسة قيام هذه الدول المستقلة يلاحظ الباحث أن البربر سكان المغرب القدماء كانوا قد لعبوا دوراً كبيراً في نشوء هذه الدول، والمساهمة في استقلالها عن جسم الخلافة العباسية.

ويمكن القول إن بعض هذه التحركات التي مهدت لنشوء الدويلات المستقلة ما كان لها أن تقوم وتشتهر إلا بمساعدة البربر، بل يمكن القول إن بعضها قد نشأ من أجل القضاء على حركات البربر أنفسهم.

ودولة بنو صالح في دكور والبرغواطيين والمدراريين كانت قد تأسست في ظل وجود دولة عباسية شرعية.

والدولة الرستمية في تاهرت وإن كانت في أصولها فارسية (عبد الرحمن بن رستم من فارس) بحيث تمكنت من قيام دولة خارجة عن سلطة الخليفة العباسي فقد ساندها

جموع كبيرة من قبائل البربر (نفوسة، وهوارة، ولمايه، وزناتة، ولواته) واعتنقت أيضاً مبادئ الدولة الرستمية التي تقوم على الفكر الأباضي الخارجي.

أما دولة الأدارسة الاستقلالية فقد نشأت على يد بربر المغرب الأقصى، وكان إدريس قد لجأ إلى المغرب، وأجاره اسحق بن محمد صاحب مدينة وليلى أو (بوليلي) وجمع البربر على القيام بدعوته وخلع الطاعة العباسية، وزاد إدريس تقرباً من البربر حيث صاهرهم وتزوج من كنزة (كنيزة) ابنة الحق بن محمد صاحب وليى، وكان ولده وخلفه إدريس من هذه المرأة.

حيث نجد أن دولة الأغالبة على العكس تماماً، إذ قامت بصورة خاصة ضد البربر، وشيدت للقضاء على حركاتهم، وكانت نتيجة لسياسة ورغبة الخليفة هارون الرشيد في تأديب البربر وغيرهم من الثوار، والخوراج على سلطة الخلافة العباسية.

وقد قامت العديد من حركات تمرد البربر على دولة الأغالبة، بل نجد أن جد الأغالبة قد قتل على يد هؤلاء البربر، وثار على مؤسس هذه الدولة (إبراهيم بن الأغلب) حمديس البربري وجماعته، إذ قضى عليهم إبراهيم.

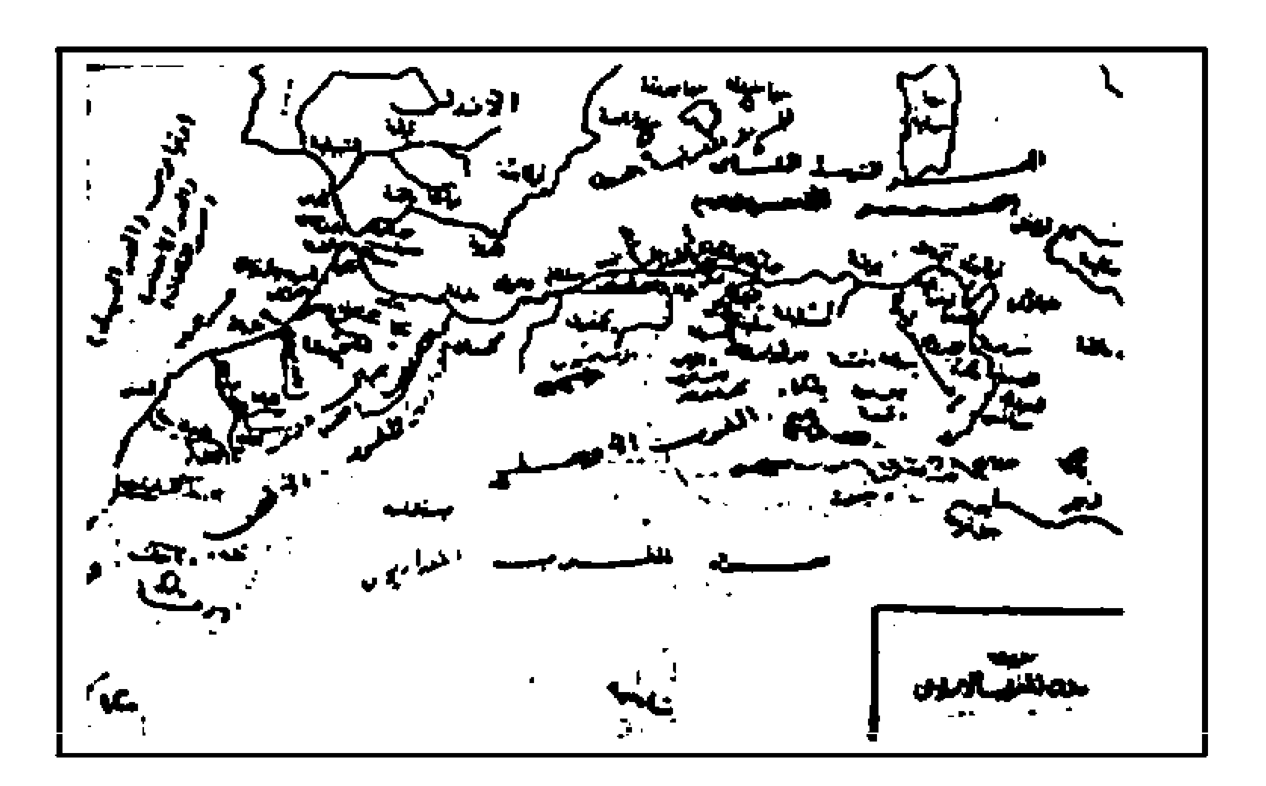
ودولة الفاطميين أيضاً نشأت بمساعدة البربر، وفي هذا الصدد يبرر ابن خلدون استعانة الأدارسة والفاطميين بالبربر، إذ قال: (هذا ما وقع للأدارسة في المغرب الأقصى والعبيديين بافريقية، ومصر لما انتبذ الطالبيون في المشرق إلى القاصية وابتعدوا عن مصر الخلافة وسعوا إلى طلبها من أيدي بني العباس بعد أن استحكم البيعة لبني أمية، ثم لبني هاشم من بعدهم فخرجوا بالقصبة من المغرب ودعوا لأنفسهم، وقام بأمرهم البربر بعد أخرى فأورية وفعيله، للأدارسة وكتامه، وصنهاجة، وهوارة للعبيديين فشيدوا دولهم، ومهدوا بعصابتهم أمرهم واقتطعوا من ممالك العباسيين المغرب كله ثم افريقية.

ومن خلال الكلام السابق نرى أن دولة الأدارسة وكذلك دولة الفاطميين قد قامتا على أكتاف البربر وتوطدت بمساعدتهم ومعاضدتهم، وسمت وعلت لما حصلت على مؤازرتهم.

ولا بد من الإشارة إلى أن موقف الدولة العباسية من هذه الدويلات قام على سياسة المقاومة بالسلاح ومحاربة هؤلاء الخصوم، وكذلك سياسة اللسان والبيان في محاولة إبطال الحجج والمبادئ التي قامت عليها تلك الدويلات ولهذا سخرت الدولة العباسية الدعاة والعلماء وغيرهم في سبيل تحقيق غاياتهم وهي هزيمة تلك الدول.

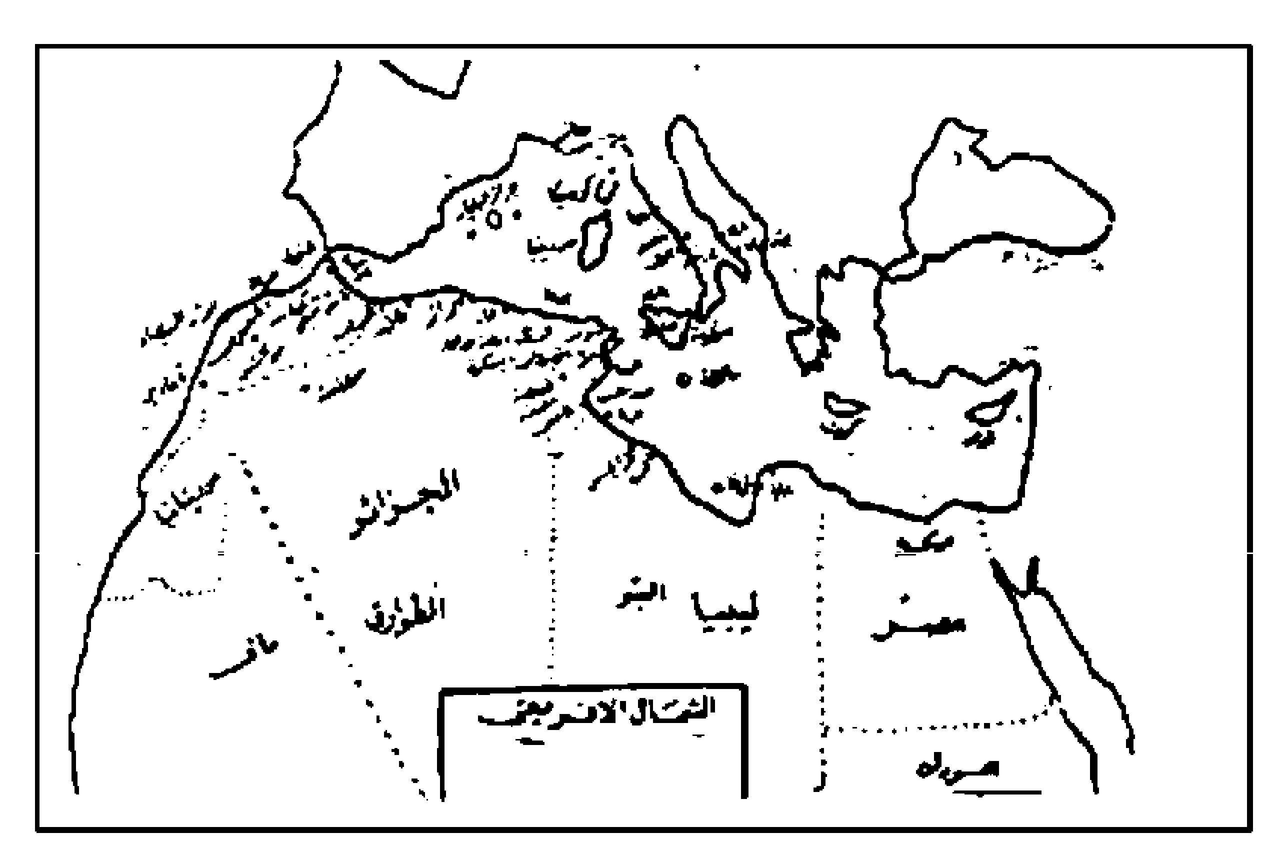
وخلاصة البحث تتمثل في أن نشوء هذه الدول المستقلة في المغرب قد أثر تأثيراً كبيراً في الدولة العباسية، ذلك لأن هذه الدويلات قد نتج عنها دول مستقلة، استقلت عن جسد الخلافة العباسية، وأقامت دولاً لها في الأطراف البعيدة من الدولة العباسية، والتي كانت في أولى مراحلها، وأوج عظمتها، ومع ذلك لم تستطع القضاء على هذه الدول، وإيقاف نموها، والدليل على ذلك استمرار دولة الفاطميين في مصر حتى سنة ٥٦٧هـ.


الخرائط



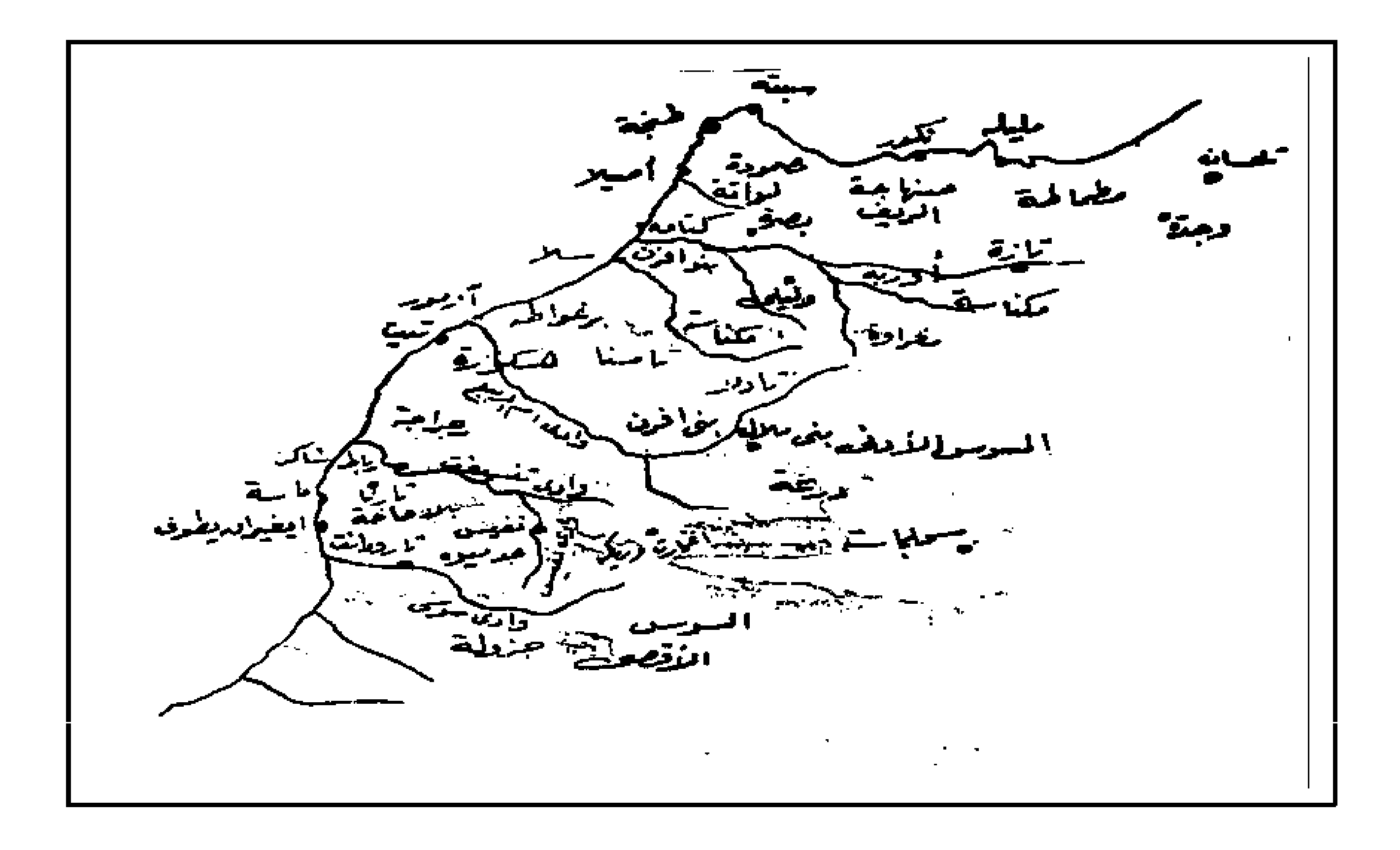
الخريطة رقم (١): تبين مدن المغرب الإسلامي.

المصدر: ماجد، عبد المنعم، الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي في العصور الوسطى، ١٩٦٧.



الخريطة رقم (٢): تبين مواضع قبائل البربر في المغرب الأقصى.

المصدر: ماجد، عبد المنعم، الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي في العصور الوسطى، ١٩٦٧.



الخريطة رقم (٣): حــول افريقيــة.

ABSTRECT

This Study Discusses The Attitude Of The Abbasside Caliphate From The Independent States In Moracco Between The 2nd – 4th A.H. (And To Clarify The Growth Of These States Which Called Bani Salah, Barqwateh State, Bani Wasool In Sejlemash, Then Restemeh State, Al Adareseh State, Al Aghalebeh State, Finally The Fatimeh State With It's Principles Then The Influence Of These Principles On The Growth Of Those States.

The Study Contains These Aspects An Introduction, Introductory An Four Chapters And Conlusion.

The Introduction Is About The Aim At This Study And Reasons Of This Independence States.

The Introductory Talked About The Geographical Features Of Morocco (Maghreb) And The Concept Of Morocco And Its Borders And The Parts Of Morocco And The Population.

The First Chapter Talks About The Growth Of Bani Saleh State In (Nicoor) 91-371 A.H (709-1080 A.D), Barqwteen State 123-451 A.H (740-1060 A.D), Imamah Bin Wasoul (Medresah State) 140-297 A.H (707-909 A.D), Extemal, Restemeh State 137-297 A.H (754-909 A.D).

In The Seconds Chapter The Researcher Talked About The Adarasseh State 172-305 A.H / 788-917 A.D A.D.

In The Third Chapter, The Researcher Discussed The Growth Of The Al-Aghalbeh State In Africa (Tunsia) 184-296 A.H 800-909 A.D.

The Last Chapter Of This Study Discussed The Growth Of The Separated Fatemyeh State On 296-365 A.H 909-975 A.D.

In Every Chabter The Resercher Talked About The Resones Of The Growth Of These State With There Principles, And The Attitude Of The Natives Form Them, Then The Attiude Of The Abbaseed State From Those State.

In The Coclusion The Study Cantaions The Opinions And The Results That The Researeher Advocated To.

المصادر والمراجع

أولاً : المصـــــادر

- ابـن الابـار، أبـو عبـدالله محمـد بـن عبـد ربـه ابـن أبـي بكـر القـضاعي، (ت ٦٥٨هـ/١٢٦٠م)، **اعتاب الكتّاب**، (تحقيق صالح الاشتر)، دار الفكر، دمشق، ١٩٦١م.
  - .... **الحلة السيراء**، (تحقيق حسين مؤنس)، دار المعارف، القاهرة، م١٩٨٥ .
- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م)، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، المطبعة الإسلامية، طهران، إيران، ١٣٧٧هـ. .... **الكامل في التاريخ**، دار صادر، بيروت، ١٩٦٥م.
- ابن أيبك الدواداري، أبو بكر عبدالله بن أيبك، (ت بعد سنة ٧٣٦هـ/١٣٣٥م)، **كنز الدرر وجامع الغرر**، ج٦، المسمّى: (الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية)، (تحقيق صلاح الدين المنجد)، المعهد الألماني للآثار، القاهرة، ١٩٦٢م.
- الإدريسي، الشريف أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله الشريف السبتي، (ت حوالي ٥٤٨هـ/١١٥٤م)، **نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٤م.
- الاصطخري، ابن اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي، (ت ٤٠٠هـ/١٠٠٦م)، **مسالك الممالك**، (تحقيق محمد جابرعبد العال الحسيني)، دار القلم، القاهرة، ١٣٨١هـ.
- ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، (تحقيق سالم مصطفى البدري)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.
- البغدادي، عبد القادر بن طاهر بن محمد، (ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م)، **الفرق بين الفرق**، (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد)، مطبعة بولاق، القاهرة، (د.ت).
- البكري، أبو عبيد الله عبدالله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو البكري، (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، **المسالك والممالك**، (تحقيق آندريان فان لوفين وآندري

فيري)، الدار العربية للكتاب والمؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، تونس، ١٩٩٢م. ـــ ..... **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب**، (تحقيق د عبد الرحمن الحجي)، دار الإرشاد، بيروت، ، ١٩٦٥م.

- البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر، (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م)، - **فتوح البلدان**، (تحقيق عبدالله وعمر آنيس الطباع)، دار النشر للجامعيين، بيروت، ١٩٥٧م.
- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي، (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٣م)، **النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة**، دار الكتب العلمية، القاهرة، ١٩٢٩م.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي البغدادي، (ت٥٩٧هـ/١٢٠١م)، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، من منشورات دائرة المعارف العثمانية، نيودلهي، حيدر أباد، الهند، ١٣٥٧-١٣٥٩هـ.
- ابن حبيب، عبد الملك بن حبيب الالبيري، (ت ٢٣٨هـ/٨٥٢م)، **كتاب التأريخ**، (تحقيق خورجي اغواداي)، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، ومعهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، اسبانيا، ١٩٩١م.
- ابن حجر، شهاب الدين أحمد العسقلاني، (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، **رفع الأصر عن قضاة مصر**، (تحقيق علي محمد عمر)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م)، **جمهرة انساب العرب**، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م.
- ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي البغدادي التصيبي، (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م)، **صورة الأرض**، دار ومكتبة الحياة، بيروت، (د.ت).
- الحميري، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبد المنعم، (٩٠٠هـ/١٤٩٥م)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، (تحقيق إحسان عباس)، هيلدبرغ، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤م.
- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبدالله محمد التلمساني الغرناطي، (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م)، **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**، (تحقيق مصطفى أبو ضيف أحمد)، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٨٥م. ـــ ......

معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، (تحقيق د. محمد كمال شبانه)، الرباط، المغرب ١٩٧٦م.

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد المغربي، (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٨م)، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٩٦٥م.ــــ....... **مقدمة ابن خلدون**، (تحقيق حامد أحمد الطاهر)، دار الفجر الحديث، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر، (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، (تحقيق إحسان عباس)، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م.
- ابن خياط، خليفة العصفري (ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م)، **تاريخ خليفه بن خياط**، مطبعة الآداب، (د.مط)، دمشق، ١٩٦٧م.
- الدباغ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد عبد الرحمن بن محمد، (ت ٦٩٦هـ)**معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، أكمله وعلق عليه ابن ناجي (٨٣٩هـ/١٤٣٥م)، الدار التونسية، تونس، ١٩٠٢م.
- الدرجيني، أبا العباس، أحمد بن سعيد، (ت ق ٧هـ/ ق ١٣م)، **طبقات المشايخ في المغرب**، (تحقيق إبراهيم ظلامي)، (د.مط)، الجزائر، ١٩٧٤م.
- ابن أبي دينار، أبو عبدالله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني، (ت ١١١٠هـ/١٦٦٨م)، **المؤنس في أخبار افريقية وتونس**، (تحقيق محمد شمام)، دار المسيرة، بيروت، ١٩٩٣م.
- الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، (٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، **دول الإسلام**، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٦٨هـ.ــــ....... **العبر في خبر من عبر**، (تحقيق صلاح الدين المنجد وفؤاد سيد)، سلسلة التراث العربي، الكويت، ١٩٦٠م.
- الرقيق القيرواني، إبراهيم بن القاسم، (ت ق ٥هـ/ ق١١م)، **تاريخ افريقية والمغرب**، (تحقيق المنجي الكعبي)، نشر رفيق السفطي، مطبعة الوسط، تونس، ١٩٦٧م.

- الزبيري، أبو عبدالله، مصعب بن عبدالله، (ت ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م)، **نسب قريش**، نشره ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٦م.
- ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبدالله ، (ت ٧٤١هـ)، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور، الرباط، ١٩٧٢م.
- أبو زكريا، يحيى بن أبي عمر، (من مؤرخي القرن ٥هـ/ ق ١١م)، **سير الأئمة وأخبارهم**، (تحقيق إسماعيل العربي)، بيروت، لبنان، ١٩٨٢م.
- ابن سعيد، علي بن سعيد المغربي، (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، **المغرب في حلى المغرب**، (تحقيق زكي محمد حسن وآخرون)، جامعة فؤاد الأول، القاهرة، ١٩٥٣م.
- ابن سنان، ثابت، **تاريخ أخبار القرامطة**، (تحقيق سهيل زكار)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧١م.
- السيابي، سالم بن حمود بن شامس، **إزالة الوعثاء عن اتباع أبي الشعثاء**، (تحقيق سيده إسماعيل كاشف)، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، عمان، ١٩٧٩م ـ...... **أصدق المناهج في تمييز الأباضية من الخوارج**، (تحقيق سيدة إسماعيل كاشف)، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط،عمان، ١٩٧٩م.
- السيوطي، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن (٩١١هـ/١٥٠٥م)، **تاريخ الخلفاء**، تقديم عبدالله مسعود، دار القلم، حلب، ١٩٩١م. ـ........ **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، بولاق، القاهرة، ١٩٦٧م.
- الشماخي، أحمد بن سعيد بن عبد الواحد، (ت٩٢٧هـ/ ١٥٢١م)، **السير**، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، عمان، ١٩٨٧م.
- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م)، **الملل والنحل**، (د مط)، بيروت، ١٩٤٨م.
- ابن الصغير المالكي، (من مؤرخي القرن ٣هـ/٩ الميلادي)، **أخبار الأئمة الرستميين**، (تحقيق محمد ناصر وإبراهيم بحاز)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦م.

- الصفدي، صلاح الدين خليل ابن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، **الوافي بالوفيات**، (تحقيق احمد الأرناؤوط وتركي مصطفى)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
- الضبي، أحمد بن يحيى بن احمد بن عميرة، (ت٥٥٩هـ/١٢٠٢م)، **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.
- ابن أبي الضياف، أحمد، **اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، (تحقيق لجنة من كتاب الدولة للشؤون الثقافية والأخبار)، الدار التونسية، تونس، ١٩٧٦م.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م)، **تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري)**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.
- ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا، (ت ٧٠٩هـ/١٣٠٩م)، **الفخري في الآداب السلطانية والدولة الإسلامية**، بولاق، القاهرة، ١٩٢٣م.
- ابن ظافر، جمال الدين ابو الحسن علي بن أبي منصور ظافر الأزدي، (ت٦١٢هـ/١٢١٥م). ـ **أخبار الدولة المنقطعة**، (تحقيق وتعقيب اندريه فرّيه المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية)، القاهرة، ١٩٧٢م.
- ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله، (ت ٢٥٧هـ/٨٧١م)، **فتوح افريقية والأندلس**، (تحقيق عبدالله أنيس الطباع)، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٦٤م، **فتوح مصر والمغرب**، (تحقيق محمد الحجيري)، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
- ابن عبد ربه، أبا عمر احمد بن محمد الأندلسي، (ت ٣٢٨هـ/٩٤٠م)، **العقد الفريد**، دار الفكر، القاهرة، ١٩٤٠م.
- ابن عذاري، أبو العباس احمد بن محمد المراكشي، (ت ٦٩٥هـ/١٢٩٥م)، **البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب**، (تحقيق ومراجعة كولان.ج.س وليفي بروفنسال)، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣م.

- أبو العرب، تميم محمد بن أحمد التميمي القيرواني، (ت ٣٣٣هـ/٩٤٥م)، **طبقات علماء افريقية وتونس**، (تحقيق علي الشابي ونعيم حسن اليافي)، الدار التونسية، تونس، ١٩٦٨م.
- عماد الدين إدريس، ابن الحسن بن عبدالله الأنف، (ت٨٧٢هـ/١٤٦٧م)، **تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب**، (تحقيق محمد البعلاوي)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥م.ـــــ..... **عيون الأخبار وفنون الآثار**، (تحقيق مصطفى غالب)، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٤م.
- عياض، القاضي أبو الفضل عياض بن موسى، (ت٥٤٤هـ/١١٤٩م)، **ترتيب المدارك**، دار هارون، بيروت، ١٩٦٥م.
- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن الملك الأفضل نور الدين علي جمال الدين محمود بن محمد بن عمر، (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م)، **المختصر في أخبار البشر**، دار صادر، بيروت، (د.ت).
- ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى، (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٩م)، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، (تحقيق محمد عبد القادر خريسات وحسن محمد النابورة)، مركز زايد للتراث والتاريخ، الأمارات العربية المتحدة، ط١، ٢٠٠٤م.
- ابن فهد، النجم عمر بن محمد بن محمد المكي، (ت٧٧٥هـ/ ١٤٨٠م)، **في نسب الخلفاء الفاطميين**، (أسماء الأئمة المستورين)، تقديم حسن فيض الله الهمداني، منشورات الجامعة الأمريكية، القاهرة، ١٩٥٨م.
- القاضي النعمان، أبا حنيفة النعمان بن محمد، (ت ٣٣٦هـ/٩٤٧م)،**افتتاح الدعوة**، (تحقيق فرحات الدشراوي)، الدار التونسية، تونس، ١٩٧٥م.ـــ .... **المجالس والمسايرات**، (تحقيق الحبيب الفقي)، إبراهيم شوح، محمد اليعلاوي، منشورات الجامعة التونسية، تونس، ١٩٧٨م.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري ، (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م)، **الإمامة والسياسة**، (تحقيق عبدالله أنيس الطباع)، دار النشر للجامعيين، بيروت، ١٩٦٩م.

- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، (ت٨٢١هـ/١٤١٨م).ـ .... **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، شرحه وعلق عليه نبيل خالد الخطيب، بيروت، ١٩٨٧م.
- القمّي، أبو القاسم سعد بن عبدالله الأشعري، (ت٣٥٠هـ/٩٦١م)، **المقالات والفرق**، (تحقيق محمد مشكور)، طهران، إيران، ١٩٦٣م.
- ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر، **تاريخ افتتاح الأندلس**، (تحقيق عبدالله أنيس الطباع)، دار النشر، بيروت، ١٩٥٨.
- ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر، (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، **البداية والنهاية**، (تحقيق أحمد عبد الوهاب فتيح)، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٧م.
- ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك بن الكردبوس، (ت بعد ٥٧٣هـ/١١٧٦م)، **تاريخ الأندلس**، (تحقيق أحمد مختار العبادي)، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٧١م.
- الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف، (ت ٣٥٠هـ/٩٦١م)، **كتاب الولاة والقضاة**، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨م.
- المالكي، أبو بكر عبدالله بن عبدالله، (ت بعد ٤٥٣هـ/١٠٦١م)، **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم**، (تحقيق حسين مؤنس)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥١م.
- المبرد، الإمام أبي العباس، **أخبار الخوارج**، (من كتاب الكامل في اللغة والأدب والنحو والتصريف)، دار الفكر، بيروت، (د.ت).
- المراكشي، محيي الدين عبدالواحد بن علي، (ت النصف الثاني من القرن السابع هـ/الثالث عشر الميلادي)، **المعجب في تلخيص اخبار المغرب**، (تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي)، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ط١، ١٩٤٩م.
- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد)، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٨م.
- مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد، (ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م)، **تجارب الأمم**، (تحقيق ابو القاسم إمامي)، دار سروش، طهران، إيران، ٢٠٠١م.

- المقدسي، شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن بكر، المعروف بالبشاري، (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م.
- المقري، الشيخ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني، (ت١٠٤١هـ/١٦٣١م)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، علق عليه وشرحه مريم قاسم الطويل ويوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م.
- المقريزي، أبي العباس تقي الدين أحمد بن علي، (ت٨٤٥هـ/١٤٤٢م)،**اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الحنفا**، (تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.ــ .... **إغاثة الأمة بكشف الغمة**، دار الهلال، القاهرة، ١٩٩٠مــــ .... **المقفي الكبير**، (تحقيق محمد اليعلاوي)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩١م.ــــ....... **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزية)**، بيروت، ٢٠٠١.
- الملطي، أبو الحسن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن، (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٥م)، **التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع**، دار صادر، بيروت، ١٩٨٧م.
- مؤلف مجهول. (ق ٦ هـ / ق ١٢ م)، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، (تحقيق سعد زغلول عبد الحميد)، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٨٥م.
- مؤلف، مجهول،**العيون والحدائق، في أخبار الحقائق**، (تحقيق عمر السعيدي)، (ج.مط)، دمشق، ١٩٧٢م.
- المؤيد في الدين، داعي الدعاة هبة الله الشيرازي، (ت٤٧٠هـ/١٠٧٧م)، **السيرة المؤيدية**، نشره وعلق عليه محمد كامل حسني، (د.مط)القاهرة، ١٩٤٩م.
- الناشئ الأكبر، عبدالله بن محمد، **مسائل الإمامة ومقتطفات من الكتاب الأوسط في المقالات**، (تحقيق يوسف فان إس)، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، ١٩٧١م.
- الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد السلاوي، (ت ٧٠٨هـ/١٣١٥م)، **الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى**، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٤.

- ابن النديم، محمد بن اسحق، (ت٤١٣هـ/١٠٢١م)، **الفهرست**، (تحقيق جمال الدين الشيال)، مؤسسة رضا تجدد، طهران- إيران، ج٢، ج٣، (تحقيق محمد حلمي محمد احمد)، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٧٣م.
- النوبختي، ابو محمد الحسن بن موسى بن الحسن، (ت٣١٠هـ-٩٢٢م)، **فرق الشيعة**، (تحقيق هيلمون ريتر)، استامبول- تركيا، ١٩٣١م.
- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، (ت ٧٣٣هـ /١٣٣٢م)، **نهاية الإرب في فنون الأدب**، (تحقيق عبد المجيد ترحيني)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.
- اليافعي، عبدالله بن سعد بن علي، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان**، علق عليه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.
- ياقوت، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي، (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٠م)، **معجم البلدان**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩م.
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب، (ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م)، **البلدان**، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م.

ثانياً: المراجع:

- ابن قريه، صالح، **المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد**، (د.مط)، الجزائر، ١٩٨٦م.
- إسماعيل، محمود، **الخوارج في المغرب الإسلامي**، دار صادر، بيروت، ١٩٧٦م ـــ..... الأغالبة وسياستهم الخارجية، فاس، المغرب، ط ٢، ١٩٧٨م.
- باجيه، صالح، **الأباضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى**، دار بوسلامة، تونس، ١٩٧٢م.
- الباروني، ربيع سليمان، **مختصر تاريخ الأباضية**، (د.مط)، تونس، ١٩٩٠م.
- الباروني، سليمان بن عبدالله النفوسي، **الأزهار الرياضية في ائمة وملوك الأباضية**، مطبعة الأزهار الرياضية، القاهرة (د ت).

- بتلر، الفرد، ج، **فتح العرب لمصر**، ترجمة محمد فريد أبو حديك بك، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٠م.
- بحاز، إبراهيم بكير، **الدولة الرستمية (دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية)**، (دمط)، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.
- البرغوثي، عبد اللطيف، **تاريخ ليبيا الإسلامي من الفتح الإسلامي حتى الفتح العثماني**، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣م.
- بل، الفرد، **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم**، ترجمة عبد الرحمن بدوي، بنغازي، ليبيا، ١٩٦٩م.
- بول، ستانلي، **طبقات سلاطين الإسلام، (تحقيق علي البصري)**، مكتبة المثنى، بغداد، (د.ت).
- بونار، رابح، **المغرب العربي (تاريخه وثقافته)**، (د.مط)، الجزائر، ١٩٨٠م.
- الجعبيري، فرحات، **نظام العزابة عند الأباضية الوهبية في جربة**، تونس، ١٩٧٥م.
- جوليان، شارل أندري، **تاريخ افريقية الشمالية (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الإسلامي ٦٤٧م)**، ترجمة محمد مزالي والبشر بن سلامة، الدار التونسية، الجزائر، ١٩٧٨م.
- الجيلاني، عبد الرحمن محمد، **تاريخ الجزائر العام**، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠م.
- الحارثي، سالم بن حمد بن سليمان، **العقود الفضية في أصول الأباضية**، وزارة التراث والثقافة، مسقط، عمان، ١٩٨٣م.
- حتاملة، محمد عبده، **الأندلس (التاريخ والحضارة والمحنة)**، مطابع الدستور الأردنية، عمان، ٢٠٠٠م.ـ...... ايبيريا، مطابع الرأي، عمان، ط١، ١٩٩٦م.ـ..... **جيل المولدين**، (د.مط)، عمان – الأردن، ط١، ٢٠٠٣م.ــــ ..... **ملامح حضارية في الأندلس**، بحوث ودراسات، مهداة إلى الدكتور عبد الكريم الغرايبة بمناسبة بلوغه الخامسة والستين، تحرير ناظم كلاّس، عمان، ١٩٨٩م.
- حركات، إبراهيم، **المغرب عبر التاريخ**، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ٢٠٠٠م.

- حسن، حسن إبراهيم، **تاريخ الإسلام (السياسي والديني والثقافي والاجتماعي)**، دار الأندلس، بيروت، ط٧، ١٩٦٤م،
- حسن، حسن إبراهيم وطه أحمد شرف، **المعز لدين الله**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٣م.
- حسن، حسين، **أعلام تميم**، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠م.
- حسين، محمد كامل، **طائفة الإسماعيلية (تاريخها، نظمها، عقائدها)**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٩م.
- حمادة، محمد ماهر، **الوثائق السياسية والإدارية للعهود الفاطمية والأتابكية والأيوبية**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠م.
- الخربوطلي، علي حسين، **مصر العربية الإسلامية**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٣م.
- خطاب، محمود شيت، **قادة فتح المغرب العربي**، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٢م.
- خليفات، عوض، **نشأة الحركة الأباضية**، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٧٨م.
- دبوز، محمد علي، **تاريخ المغرب الكبير**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٦٣م.
- الدشراوي، فرحات، **الخلافة الفاطمية بالمغرب**، (٢٩٦-٣٦٥هـ/٩٠٩-٩٧٥م)، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.
- ذنون، طه عبد الواحد، **الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال افريقية والأندلس** ، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٢.
- الزاوي، الطاهر أحمد، **تاريخ الفتح العربي في ليبيا**، مطبعة المعارف، القاهرة، ١٣٧٣هـ، ولاة طرابلس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٠م، **ولاة طرابلس**، دار صادر، بيروت، ١٩٧٠م.
- زغلول، سعد عبد الحميد، **تاريخ المغرب العربي**، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٩م.
- زكار، سهيل، **تاريخ العرب والإسلام (منذ ما قبل البعث وحتى سقوط بغداد)**، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م.

- سالم، السيد عبد العزيز، **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة**، دار المعارف، بيروت، ١٩٦٢م. ـــ...... **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، (د.مط)، الإسكندرية، ١٩٨٢م.
- سبيدلو.ل.ا، **تاريخ العرب العالم**، ترجمة عادل زعيتر، (د.مط)، القاهرة، ١٩٦٢.
- سرور، جمال، **الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية**، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٠م.
- سليمان، أحمد سعيد، **معجم الأسر الإسلامية الحاكمة**، مكتبة لبنان، بيروت، ٢٠٠٤م.
- سيد، أيمن فؤاد، **الدولة الفاطمية**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ١٩٩٢م.

السنوسي، محمد بن علي الإدريسي، **الدرر السنية في أخبار الدولة الإدريسية**، منشورات وزارة الإعلام والثقافة، طرابلس، ليبيا، ١٩٦٨م.

- صفر، أحمد، **مدنية المغرب العربي في التاريخ**، دار بو سلامة، مطبعة العمل، تونس، ١٩٥٩م.
- الطالبي، محمد، **الدولة الأغلبية (التاريخ السياسي ١٨٤-٢٩٦هـ/٨٠٠-٩٠٩م)**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٥م.
- عاشور، عبد الفتاح سعيد، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**، دار صادر، بيروت، القاهرة، ١٩٧٢.
- العبادي، أحمد مختار، **في التاريخ العباسي**، دار صادر، بيروت، ١٩٧١م. ـــ .... **في تاريخ المغرب والأندلس**، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، (د.ت).
- عبد الوهاب، حسن حسني، **خلاصة تاريخ تونس**، دار الكتب الشرقية، تونس، ١٣٧٣هـ. .... **ورقات من الحضارة العربية الإسلامية بافريقية التونسية**، الدار التونسية، تونس، ١٩٦٤م.

العمايرة، محمد نايف، **مراحل سقوط الثغور الأندلسية بيد الإسبان**، المطابع العسكرية، عمان، ١٩٩٩م.

- العربي، إسماعيل، **دولة الأدارسة**، (ملوك تلمسان وفاس وقرطبة)، ديوان المطبوعات، الجزائر، ١٩٨٣م، مطبعة مكتبة الفلاح، الكويت، ١٩٨٩م.
- غالب، مصطفى، **تاريخ الدعوة الإسماعيلية**، دار الأندلس، بيروت، ط٣، ١٩٧٩م.

- فهد، بدري محمد، **الخليفة المفتي**، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٧م.
- كاشف، سيده إسماعيل، **مصر في عهد الاخشيديين**، دار النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م.
- كحيلة، عبادة بن عبد الرحمن رضا، **المغرب في تاريخ المغرب والأندلس**، المطبعة الإسلامية الحديثة، القاهرة، ١٩٩٧م.
- الكعاك، عثمان، **سلسلة كتاب البعث**، الكتاب الخامس، ط١، (دزم)، ١٩٥٦م ـــ .... **موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي**، مطبعة العرب، تونس، ١٩٢٥م.
- لقبال، موسى، **تاريخ المغرب الإسلامي**، دار هومة، الجزائر، ٢٠٠١م.
- لوبون، غوستاف، **حضارة العرب**، ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٥م.
- لومبار لوريس، **الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى**، ترجمة عبد الرحمن حميدة، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٩م.
- ماجد، عبد المنعم، **التاريخ السياسي للدولة العربية (عصر الخلفاء الأمويين)**، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٠م.
- المدني، أحمد توفيق، **المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا**، (د.مط)، الجزائر، ١٩٨٥م.
- مشرفة، عطية، **نظام الحكم في مصر في عهد الفاطميين**، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ت).

المطوي، محمد العروسي، **سيرة القيروان، (رسالتها الدينية والثقافية في المغرب الإسلامي ليبيا، تونس)**، تونس، ١٩٨١م.

معمر، علي يحيى، **الأباضية في موكب التاريخ**، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦م.

- مؤنس، حسين، **تاريخ المغرب وحضارته (من قبيل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر من القرن السادس عشر القرن التاسع عشر الميلاديين)**، الدار السعودية، جدة، ١٩٩٠م.ـ..... **فتح العرب للمغرب**، مطبعة مصر،

القاهرة، (د ت)...... **فجر الأندلس**، دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية، (٧١١- ٧٥٦م)، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٥٩م...... **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، دار الرشاد، القاهرة، ١٩٩٧م. **فتح العرب للمغرب**، مطبعة مصر، القاهرة، (د ت).

- نبيلة، محمد حسن، **محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس**، مكتبة كريدية إخوان، بيروت، ١٩٨٢م.

ثالثاً : الدوريات :

- أبو دياك، صالح محمد فياض، المظاهر السياسية والحضارية للدولة الرستمية في المغرب، (١٤٤- ٢٩٦هـ/٧٦١- ٩٠٩م)، **مجلة دراسات تاريخية**، السنة ١٧، ع ٥٥- ٥٦، آذار- حزيران، ، جامعة دمشق، سوريا (١٩٩٦م).
- إسماعيل، محمود، المالكية والشيعة بافريقية إبان قيام الدولة الفاطمية، **المجلة التاريخية المصرية**، القاهرة، مجلد ٢٣،(١٩٧٦م).
- حاجيات، عبد الحميد، تاريخ دولة الأدارسة من خلال كتاب (الدرر والعقيان)، لأبي عبدالله التنسي، (ت٨٩٩هـ/١٤٩٤م)، **مجلة التاريخ**، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، (١٩٨٠م).
- زكار، سهيل، الدولة الرستمية في تاهرت، **مجلة دراسات تاريخية**، جامعة دمشق، دمشق، سوريا، شعبان ١٤٠٣هـ/أيار(مايو)، (١٩٨٣م).
- زيود، محمد،التجارة بين مصر والشام في العصر الفاطمي، **مجلة دراسات تاريخية**، السنة ١٧، ع ٥٧-٥٨، أيلول — كانون أول ، جامعة دمشق، سوريا (١٩٩٦م).
- السامرائي، خليل إبراهيم، إمامة الدفاع الثانية عند خوارج المغرب العربي، **مجلة التربية والتعليم**، ع ٤، بغداد، (١٩٨١م).
- السعداني، عبد اللطيف، إدريس الإمام منشئ وباعث دعوة، **مجلة كلية الآداب**، ع ٤-٥، ، جامعة محمد بن عبدالله، فاس، المملكة المغربية(١٩٨٠-١٩٨١م).

- السعيدي، عمر، محاولات الفاطميين الاستيلاء على مصر (الأبعاد الدولية والاستراتيجية)، **مجلة دراسات تاريخية**، ع ٧، ربيع أول ١٤٠٢هـ/كانون الثاني ، جامعة دمشق، سوريا (١٩٨٥م).
- السيد، رضوان، الأحزاب السياسية الدينية قبل الخوارج والشيعة في القرن الأول الهجري، **مجلة تاريخ العرب والعالم**، ع ٥٨، أغسطس (آب)، ، بيروت، لبنان (١٩٨٣م).
- شعيرة، م.ع، تقسيمات إقليمية في العصر العباسي الأول، **مجلة كلية الآداب**، جامعة الإسكندرية، جمهورية مصر العربية ، ١٩٤٤م. مقال حول لوبية ومراقية، مجلة كلية الآداب والتربية، بنغازي، الجماهيرية الليبية، المجلد الأول، (١٩٥٨م).
- العبادي، أحمد مختار، سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس، **صحيفة معهد الدراسات**، مدريد، إسبانيا، المجلد الخامس، (١٩٥٧م).
- العرباوي، محمد مختار، ظهور البربر في شمال افريقية، **مجلة دراسات تاريخية**، جامعة دمشق، ع ٧٩، السنة٢٢، ٢٠٠٢م. د. عبد الوهاب التازي، مجلة الوثائق، العدد١١، الرباط، المغرب، (د.ت).
- القاضي، وداد، الدعوة العبيدية الإسماعيلية في افريقية والمغرب (نموذج للحركة الثورية المسلحة)، **مجلة تاريخ العرب والعالم**، السنة الأولى، العدد ٣ كانون الثاني (يناير)، ١٩٧٩م.
- مكي، محمود علي، التشيع في الأندلس، **صحيفة المعهد المصري**، مدريد، اسبانيا، المجلد الثاني، (١٩٥٤م).
- مبدأ الشورى في نظام الحكم في المغرب العربي خلال العصر الوسيط، **مجلة التاريخ**، ع ١٢، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، (١٩٨٢م).
- اليماني، محمد، سيرة الحاجب جعفر بن علي وخروج المهدي من سلمية إلى سجلماسة وخروجه منها إلى رقادة، (تحقيق و. ايفانوف)، **مجلة كلية الآداب**، الجامعة المصرية، القاهرة، (١٩٣٦م).

رابعاً: الموسوعات:

- حسن، احمد، **موسوعة تاريخ مصر**، دار الشعب، القاهرة، ١٩٧٠م.
- زيب، نجيب، **الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس**، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.
- الروضان، عبد عون، **موسوعة تاريخ العرب**، الدار الأهلية، عمان، ط١، ٢٠٠٤م،
- شاكر، محمود، **موسوعة الفتوحات الإسلامية**، دار إسامة، عمان، ٢٠٠٢م.
- الغنيمي، عبد الفتاح مقلد، **موسوعة تاريخ المغرب العربي**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٤م.
- مارسيه، جورج، (مادة تاهرت)، **دائرة المعارف الإسلامية**، طبع في جيهان، طهران، الجمهورية الإيرانية، (د.ت). (مادة الزاب)، دائرة المعارف الإسلامية.
- **الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي**،إعداد فريق من البحوث والدراسات الإسلامية، مكتبة علاء الدين، الإسكندرية، ١٩٩٨م.

خامساً: وقائع المؤتمرات والندوات:

- الجنحاني، الحبيب، محاضرة حول العلاقات السياسية الاقتصادية بين افريقية والمغرب الأوسط بين القرنين الثاني والخامس الهجريين، **ندوة الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي**، محاضرة، رقم (٤٦)، باتنة، الجزائر، دولة الجزائر، ١٩٧٨م.
- المدني، توفيق، محاضرة حول: (مدخل لدراسة الدولة الرستمية وإسهامها في التطور الفكري والحضاري)، **محاضرة القيت في ندوة الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي المنعقد في بوارجلان، الجزائر**، الجزائر، مطبوعات، ملتقى الفكر الإسلامي، الجزائر، ١٩٧٧م.

سادساً: الرسائل الجامعية:

- امبو سعيدي، عبدالله بن سعود بن حمد، **عُمان في عصر الإمامة الإباضية الثانية**، ١٧٧-٢٨٠هـ/٧٩٣-٨٩٣م، رسالة ماجستير، إشراف أ.د محمد عيسى صالحية، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.
- بحاز، إبراهيم بكير، **الدولة الرستمية**، (دراسة الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية)، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، بغداد، الجمهورية العراقية، ١٩٨٣م.
- البطاينة، محمد، **العلاقات بين العلويين والعباسيين في العصر العباسي الأول**، رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر- القاهرة، ١٩٧٥م.
- التميمي، أيمن سليمان خالد، **السجون في العصر العباسي**، ١٣٢-٣٣٤هـ/ ٧٥٠-٩٤٥م، إشراف أ.د محمد عبد القادر خريسات، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٩٧م.
- جهلان، عدوان، **الفكر السياسي عند الأباضية من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف اطفيش، ١٢٣٦-١٣٣٢هـ/١٨١٨-١٩١٤م**، رسالة ماجستير، إشراف أ.د أبو عمرو الشيخ، جامعة مسقط، عُمان.
- الحتاملة، عبد الكريم عبده الطالب، **خلافة المعتضد بالله ٢٧٩-٢٨٩هـ/ ٨٩٢-٩٠٢م**، أطروحة دكتوراه، إشراف الأستاذ الدكتوره نشأت الخطيب، جامعة القديس يوسف، بيروت، ١٩٨٢م.
- العزّي، محمد فياض محمد، **الخلاف بين الجيش والدولة في ظل العباسيين خلال الفترة ٢٤٧-٣٣٤هـ/٨٦١-٩٤٥م**، رسالة ماجستير، إشراف أ.د محمد ضيف الله البطاينة، جامعة اليرموك، إربد، ٢٠٠٢م.
- محب، محمود قاسم، **الحياة الفكرية في عهد الأغالبة** (١٨٤-٢٩٦هـ/٨٠٠-٩٠٩م)، رسالة ماجستير، إشراف أ.د عبد الواحد ذنون طه، جامعة الموصل، الموصل – العراق، ١٩٨٩م.
- نحاس، وفيقة، **نشوء الدويلات في المغرب**، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف الأستاذ الدكتور عمر فروخ، كلية الآداب، الجامعة السورية، ١٩٥٣-١٩٥٤م.

سابعاً: المراجع الأجنبية:

أ) باللغة الإنجليزية:

- Lewis, Bernard., The Origins of Ismailism, Combridge University, British, 1940.
- Daftary.,F., Ismailis their history And Doctoring, Combridge-United Kingdome, 1990.
- Shaban. M. A., Islamix History A. D 750-1055, (A.H 132-448) Anew Inter pretation, Combridge University, U.k., 1976.
- Stem,S., Merodox, Ismailism at The time of Al-Muizz, Bosus XVII, 1955.

ب) باللغة الفرنسية:

- Vonderhyden, L'Barberis Orientale sous ladyastie des bonou, l'Arab-800-900, Paris, 1937.